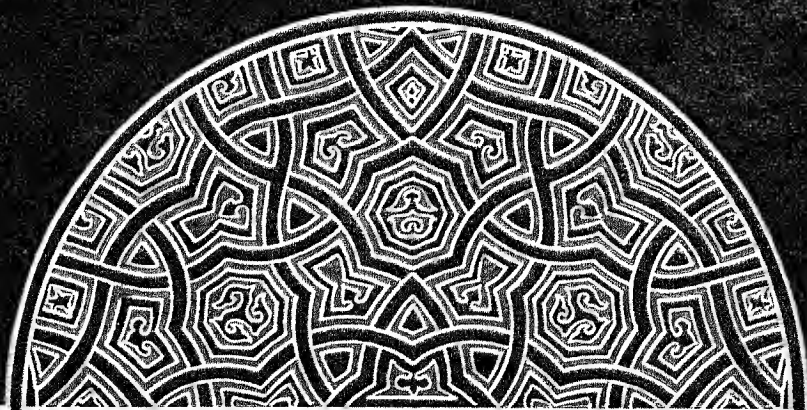


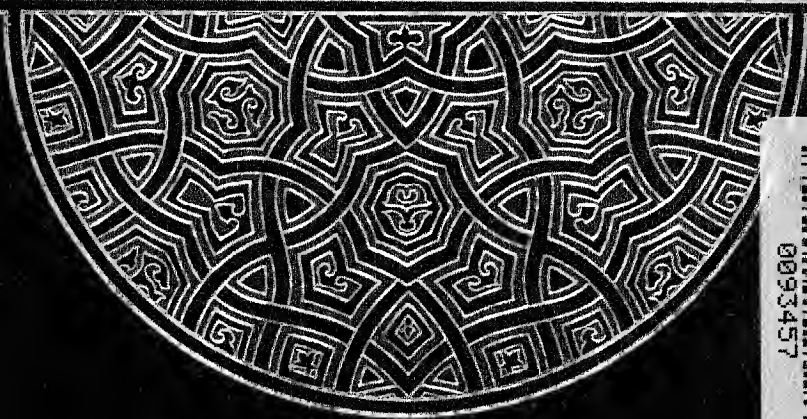
موسوعة الحكومت العالمية المجلد ٢



الحكومة العالمية

المجلد ٢

تأليف
د. جواد جعفر الخليلي



دار الأضواء



الحكومة العالمية
المشلى

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع

كازة حريك - شارع دكاش - صرب ١٠٤/٢٥ - برفيتا، غبري - حسنكو - بيروت - لبنان

مَوْسُوعَةُ الْحُكُومَةِ الْعَالَمِيَّةِ الْمُشَلَّى
«٢»

الْحُكُومَةُ الْعَالَمِيَّةُ الْمُشَلَّى

تَأَلِيفُ
د. جَمَالِ جَعْفَرِ الْخَلِيلِيِّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تقديم)

بسم الله الخالق المصور المبدع المهيمن القائم الدائم ، الأزلي
الأبدي ذو الكمال والجمال المطلق ، الذي لا يغرب عنه شيء في
السموات والأرضين ، أعدل البر الرحيم ، أستعينك اللهم وأستغفرك فزدني
اللهم علماً وحكمة ، ومعرفة وطاعة لأوامرك ونواهيك ، والحمد لك لما
وهبت لنا من الإحساس والشعور والغرائز والعقول ، وعرفتنا بها سبل الخير
من الشر ، والفضيلة من الرذيلة ، وزدتنا برسلك هداية ورحمة ، فقنا
برحمتك من الغواية من شرور أنفسنا وأعدائنا من الجن والإنس ، وقنا من
الجهل والجهلاء ، والغاوين والمنافقين والشيطان الرجيم وحبائله ومكائده
برحمتك وعظمتك وإحسانك آمين يا رب العالمين .

وبعد ، فإنني أقدم كتابي الثاني المصلح المنتظر من موسوعة
(الحكومة العالمية المثلى) وهو مجموعة من المقالات بلغت ست عشرة
مقالة .

المقالة الأولى

الصراع المادي وضرورة دمجه بالمعنوي

شعوب العالم الثالث ، بل شعوب العالم بأجمعه ، العربات بيد طغمة أقلية من دول العالم الكبرى الملحدة ، المنافقة ، الماردة المتطاحنة ، وتنجرف جميعاً لسلوك تلك الأقليات الانتهازية المنقادة بغرائزها البهيمية البعيدة عن المنطق ، تنجرف جميعاً إلى الهاوية ، الأكلة والمأكولة ، ومن المأكولة المستهانة هم المسلمون ، لابتعادهم عن روح الدين الفطري السماوي الرفيع القائل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وهي الآية العاشرة من سورة الحجرات الواردة في القرآن المجيد ، وما جاء في سُنَّة محمد (ص) : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ويؤيد ذلك الآية القرآنية : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ . لأن المتقين متضامنون صادقون مخلصون إنسانيون متعاونون يأتمرون بأوامر الله ويتهون عن نواهيه ، يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولو جعلنا هذه أصولاً اجتماعية وشرنا عليها لوجدت غير ما ترى اليوم ، ولأيقنت أن سبب الشقاء إنما هو السلوك البعيد عن روح الدين القويم والمنطق السليم للدين الذي جاء به أولو العزم .

فما هو الداعي الواقعي للصراع والخلاف إلى هذا الخصام بين الدول الشقيقة بالجنس والعقيدة وانقسامها إلى زمر شتى متخاصمة متحاربة ، وهي تحمل نفس العقيدة والوصايا والسُنن ، وتود إصلاح شؤونها الداخلية والخارجية ، وكل منها تنوء تحت حكم استبدادي وسلطة مطلقة غاشمة ، ويا

للأسف جميعها العُرىات بيد دول مستعمرة ملحدة لا تحسب لله حساباً .
الدول التي تتظاهر بالحق وتعمل بالباطل ، وإن كلاً من الظالم والمظلوم في
تناحر ، وويل لهم جميعاً إن قامت الحرب الذرية الثالثة .

والحق إنها جاهلة بروح الدين وما يلزم سلوكه ، والجاهل عدو نفسه
دوماً إذ يضع الشيء في غير موضعه ، ويعمل بنفسه كما يعمل العدو
بعده . والواقع إنهم جميعاً يفقدون العقل والمنطق السليم ، ومن لا عقل له
لا دين له ، ولا دين لها لما أبدته من التعصبات الجاهلية على أتباعها من
المنابزات والمنافسات اللغوية والقبائلية والشعبية ، تلك التي ترفضها الأديان
الساوية من اليهودية والمسيحية والإسلام مما ورد في الآية ١١ و ١٣ من
سورة الحجرات في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ
وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم
خبير ﴾ . والدين الإلهي تابع لعقيدة واحدة أصلاً حسب الآية الكريمة في
القرآن : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد
إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ .

وكلها إنما تسير على الدين الحنيف ملّة إبراهيم الخليل . بل جميعاً
عنصر واحد ومن أصل ومادة وجنس وأجزاء واحدة كما جاء في الآية ١٣ من
سورة الحجرات : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ .

بيد وللأسف كلها جميعاً ، على اختلاف عقائدها وجنسياتها ، تنوء
اليوم تحت أحكامٍ وقوانينٍ موضوعية خطها الجنس البشري بعيداً عن
القوانين الطبيعية تسوقها دوماً تحت كبت واختناق في البلاد الشيوعية ، أو
إغراء وتجاهل واستهتار في الأخرى ، من فقد الحريات البدنية والفكرية
والاقتصادية بما يضر شعوبها أفراداً وجماعات إنقياداً لرغبات الأقليات
الحاكمة ودعماً لأيديها الجائرة ورغباتها الماكرة ، تريد ابتزاز ثرواتها ، متحينة
بها الدوائر بشتى الطرق من إغراء وتدجيل في شعوب الدول الكبرى نفسها ،
والقاء الفتنة وبث التفرقة وتأجج نيران الحروب والعداء في العالم الثالث ،

بعيداً عن أوامر ونواهي العقل والأديان القويمة ، مما مرّ ذكره مثيرين انعرات القومية والمنابزات ووصم الواحد الآخر بالكفر والفسوق ، والعداء والمروق ، بعيداً عن المنطق والحكمة والتدبير والوجدان والضمير الحي الذي ينهي عن تلك ، فتقاتل الواحدة الأخرى باذلة النفس والنفيس ، وإزهاق الأرواح البريئة ، فتذهب أشلاء وأموالها نهباً ، دون عائد سوى الخراب والدمار والبلاء . كل ذلك لإسناد قيادتها لتلك الزمر الخائنة من أبنائها لتسيرها وتستثمرها استثمار المستعمر الانتهازي الغشاش .

أرسل نظرة عميقة فاحصة إلى الشعوب ، مثلاً العربية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، تلك التي تشترك بالعقيدة واللغة والمصالح ، بيد ومع الأسف ترى على رأس كل منها حكومة تسير مخالفة لغايات شعوبها ، نصبت العداء لأخواتها من الدول العربية والإسلامية الأخرى ، باذلة قواها للخصام والعداء لها دون كسب مغنم ، بل كله مغرم ، سائرة طبق ما حدده لها المستعمر الغاشم بقوله وقصده فرق تسد . وتعال معي لنعدد المتخاصمين من هذه الدول من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، وقس عليها ما ذكرت ثم عد وأرسل نظرتك إلى الشعوب الإسلامية ، أمثال بنكلادش وباكستان وأفغانستان وتركيا وحوّر نظرتك في الشرق الأوسط وإلى دولة ذات المصالح المشتركة والأديان السماوية ذات الكتاب المقدس لترى التطاحن لا بينها وحسب من الخارج بل وحتى في داخلها وما تشمل عليه من التفرقة والشحناء بين المسلمين والمسيحيين في لبنان والحروب المدمرة بين إسرائيل ومن جاورها من مسلمين ومسيحيين وهم من عنصر واحد ، وكلهم يتمون إلى دين إبراهيم الخليل الداعين لله ورسله ، خصام دائم وقاتل قائم وجدال صارم تتلخص في كلمة أو كلمتين ، « فرق تسد » ، تحت تأثير رغبات شركات الترسن والكارتل لسلب ثروات وخيرات هذه البلاد ، أخص النفط دون معارض وإبدال ثمنها بأسلحة مدمرة تستعيد بها ما منحت بل وقبل منحها من أثمان ثرواتها ، أسلحة مبتذلة لديها وغير متطورة تفرضها فرضاً على هذه الشعوب البائسة ، عوض ما ابتزته منها . وبقصد إقامة الحروب بينها انهاكاً لقواها المادية والمعنوية وخلق

مستضعف منهوك بئس لا يجد مناصاً إلا بالطاعة العمياء ، والانقياد والامتثال ، وإن مس بكرامته ومزقه أشلاء ، من قتل الأبناء والأخوة والآباء والأمهات دون أن يعطيه فرصة التفكير للمصير والعاقبة المشينة ، وخير مثال على ذلك لبنان المتشعب على نفسه لفرق متناحرة تمد كلاً منها مصادر من الحكومات والدول الإسلامية ، ومن مكاسبها النفطية بوحى من المستعمر الغاشم بصورة مباشرة وغير مباشرة .

وبعد هذه الخلاصة المجملّة تعال معي لنضع من جديد بعض هذه الدول والدويلات الغالبة والمغلوبة على بساط البحث ونستعرض بعض الحقائق ، لترى كيف تغلب الهوى وأطاح بقوى العقل والمنطق ، وكيف تنخر الأوضاع الاجتماعية بنفوس الأفراد والجماعات ، وكيف يسير النفاق البغيض فيهم جميعاً فيقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون خلاف ما يعلنون ، أنخص بعد إعلانهم حقوق البشر ، وكيف انتخب المستعمرون في كل دولة منهم ، أي من الشعوب المقهورة ، أفراداً أنانيين إنتهازيين للزعامة مستبدّين ، سلبوا من شعوبهم كل حرية وعدالة اجتماعية فكرية وعملية مادية ومعنوية ، وانتحلوا لأعمالهم الجائرة أعذاراً لا تركز لحكمة ومنطق سليم ، وإذا ضاقت الرحاب بالشعب من يد طغاتها أطاح بهم المستعمر شرطيحة وأبدلهم بأشد منه اغواءً وجهلاً وأنانية حتى يترحم أفراد الشعب على الماضين كما قال الشاعر :

دعوت على عمرو ولما فقدته وعاشت أقواماً بكيت على عمرو
وأعني بذلك الدولتين العظيمين :

١ - روسيا : زعيمة الكتل الشيوعية والضاربة على نفسها بالنطاق والصور الحديدي تحت قيادة الحزب الشيوعي .

٢ - أمريكا : زعيمة الكتل الغربية ، المسيطرة بالقهر والغلبة سيطرة الدكتاتور الجبار .

أمريكا مستعمرة أم مُستعمرة؟ : أهى في يقظة نومية؟ تقدمها العلمي!

تقدمها الاجتماعي ! تقدمها السياسي ! من يتزعمها؟ من يسيرها؟ أيجب لها أن تتزعم العالم؟ كيف تتحكم؟ وما هي نتائج هذا التحكم؟ ما هي أدواؤها؟ أيصح للمعلم العليل والناقص تعليم غيره قبل تعليم نفسه؟ ما هو سبيل خلاصها؟

١ - أقول إن أمريكا مستعمرة ومستعمرة ، وهي ومن تستعمره مستعمرات لسيدها المستعمر . على حد القول ان العبد وما يملكه لمولاه . والدليل أن أمريكا مستعمرة أنها في كثير من الأحيان تسير خلاف مصالحها ، ورئيس جمهوريتها على رأس الحكم والبيت الأبيض جميعاً ترغب على مسيرة تضر بمصالح الدولة من حكومة وشعب ، وكثيراً ما تراها تتورط مرغمة في مسيرة تضر بها مادياً ومعنوياً ، وتحجم عن أخرى تضر بها مادياً ومعنوياً ، تقول مرشدة بالسلوك السوي وتنشر حقوق البشر ، وتدعو لنشر الإصلاح ومنع الإستعمار ، وتدعو لمساعدة مستضعفي البشر ، بيد تسلك سلوكاً يحطم الأمنين ومدّ وتثبيت الحكومات المستبدة بغية سلب موارد وثروات الشعوب الضعيفة ، سيما تلك التي تجد فيها الثروة المعدنية أخصّ النفط ، وبالسوق ترغمها على شراء الأسلحة ، وتتحكم بها تحكماً بعيداً عن العدل والانصاف بخلق الفتن والقلاقل الداخلية وتحويلها إلى حكومات عسكرية يديرها أفراد مستبدون وضعتهم رغم أنف شعوبها بعد أن اشترت ضمائرهم وغسلت أدمغتهم من أية رحمة ووجدان ، رجال يزجون بمصادر ثروة بلادهم جزافاً لها ولشركاتها ، ويشترون أسلحتها الغير المجدية لها بعد أن أصبحت متأخرة ، ويا ليتها تركت لتبلى . ذلك وشعوبها تجهل عمل رجالات سياستها وما تقوم بها شركات الترسست المسيطرة المستعمرة . أخصّ شركات النفط والأسلحة وغيرها من تحطيم مواردها المادية والمعنوية ، أخصّ سمعتها ، تلك التي استحوذت على شعوبها بالدعايات الكاذبة على مختلف أنواعها من إذاعة في الراديو والتلفزيون والصحف وغيرها وما تبذله من موارد هذا الشعب لتثبّت أغراض عصابات مجرمة كالسيا (C.I.A.) تسير بعيدة عن الحق ، عن المنطق ، عن العدالة والانصاف ، وكثيراً ما تتأثر بتحريض شعوب أقوى منها كيداً ودسيسة لمحض اضعافها وجرحها إلى مآرب تسد رغباتها وغاياتها بل

غايات طغمت ماكرة منافقة بعيدة عن روح الإنسانية والخلق السامي ، وهي كاذبة مما تدعيه عن حقوق البشر وما تذرعه من دموع التماسيح ، ولونظرنا إلى نكبات العالم ومنها الحروب الدائبة في الشرق الأقصى والأوسط ، ومجاعات العالم في إفريقيا وآسيا وفقدان العدالة الاجتماعية لوجدناها تنبع من نفس أولئك الذين يهتفون بحقوق البشر ، وعلى حد قول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وعلى أثرها سرعان ما ألقت الفتن الداخلية أو ألقت الفتن بين شعوب الأمة الواحدة كما حصل بين الشعوب العربية ، أو الدين الواحد كما حصل بين العراق وإيران أو العقائد والأديان السماوية التابعة لأصول كلية كما حصل بين إسرائيل والمسلمين في الشرق الأوسط ، مما خلفته من البؤر الانسانية لوضع المشاكل الاجتماعية والحروب المدمرة ، وإنهاك الشعوب وإضعافها وإشغالها بالتفرقة والمؤامرات ، من قتل الشباب الناهض في الحروب وتشريد المثقفين من البلاد ، وإنهاكها كي لا تثور على أسيادها المستعمرين أو أذنانهم ، من خونة البلاد الذين سلطتهم على أبناء جلدتهم . فأين دعوتها للحرية ، وأين حقوق البشر ، وهي أول من فجرت القنابل الذرية وقتلت الأبرياء من أحياء فيهم الشيوخ والأطفال والنساء ، وشوهت من بقي على قيد الحياة ، وأعمالها في كوريا وفيتنام ، وأعمالها بالأمين في الشرق الأوسط ، واستمرارها بالفتن ، باسم إسرائيل ، ومن هي إسرائيل ، ومن هم اليهود وهي التي جمعتهم ، وهي التي أثارتهم ، وهي التي شردتهم من بلاد كانوا فيها أمينين ، وإن كنت لا تدري فسل يهود بغداد وكيف كانوا سادة البلاد المتنعمين فيها ، وفي إيران وفي أي بلاد غربية وشرقية ولا زالوا هم سادة الاقتصاد في الولايات المتحدة ، حركت عليهم الشعوب اضطراباً وجمعتهم بفلسطين بأسماء لما يقرها العقل من أرض الموعد ، وهل فلسطين خير من كل بلاد الله من أوروبا وأمريكا وغيرها؟ ولماذا بقي مثرى اليهود وعلماءها وأقطابها في أوروبا وأمريكا ، ويدهم الحل والربط الاقتصادي وإن خفي على أحد فلا يخفى على المثقفين والعلماء والسياسيين أن مصائب

العالم وتدهوره إلى النهاية ، والفاجعة إلى الحرب إنما هو بأيدي المنافقين من هؤلاء ، الذين طالما خانوا البلاد التي نشأوا بها وترعرعوا هم وأبنائهم وأحفادهم . هؤلاء الذين حاربهم هتلر لخيانتهم بالتجسس على ألمانيا ، وهم ساكنون بها ، نقلوا الأسرار الحربية وأخيراً منها القنبلة الذرية منها إلى أمريكا وإنكلترا ، ويا ليتهم اكتفوا بذلك بل عادوا ونقلوا أسرارها إلى روسيا وخلقوا للعالم أعظم المشاكل السياسية والاقتصادية ، ووضعوا العالم على شفا جُرفٍ هياو من الحروب النووية المدمرة ، وبالتالي ولا يحق المكر السيء إلا بأهله ، ولا زالوا هم زعماء الشركات العظمى لاستنزاف ثروات البلاد الآمنة وإرغامها لشراء المعدات الحربية وخلق الفتن وبث النفاق والحروب فيها . ولسوف لا يعتبرون بالصبر وقد وجدوا في أوروبا وألمانيا نتائج كيدهم أن هتلر قتل الملايين منهم ، وقبلها المذابح التي قاسوها في فلسطين على يدي نبوخذ نصر وقيصر امبراطور روما ، ورغم ما وجدوه من عطف الشعوب التي بستطت لهم يد الرحمة في إيران بعد بختنصر كيف أعانوا فيها على إقامة الفتن ، وسيجدون نتائج منكراتهم ومكرهم اليوم في فلسطين مع أبناء عمومته العرب وما بذروه بمساعدة الأيادي المستعمرة من المكر وأبشع الأعمال في العالم ، وأخص في فلسطين ولبنان وغيرها . وكل هذه الأعمال تخالف أصول دينهم ، دين موسى وإبراهيم ونوح ودين عيسى ومحمد القائمة على الرحمة والمساواة والعدالة .

أعود لأقول إن أمريكا المانعة للاستعمار والمستنكرة له والداعية لتحرير الأفراد والشعوب ، هي اليوم وبتأثير شركات الترسات والجمعيات الهدامة المتجسدة والفاشية للفساد في الداخل والخارج ، هي اليوم أشد المستعمرين لبلاد الله واستعباداً لعباده ومكرراً لهم وأشدّهم هولاً وظلماً وطغياناً ، وهي ومن تستعمره مستعمرة بيد هذه الأقلية من اليهود زعماء الترسات والشركات العظمى كأعداء للبشرية . الأنانيون القائمون على خلاف الدين الحنيف الذي أمر به الله على لسان رسله من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وما أمر به من الوحدانية والعدالة والمساواة والخلق الكريمة . وان البشر إخوة من أب وأم متساوون بالحقوق والإحساسات

والشعور وتركيب الجسم والروح ، فمن أين جاؤوا بهذا القسر على البشر ،
ودينهم ينهاتهم عن الظلم والطغيان

نعم إن أمريكا مستعمرة للشعوب الضعيفة وتستعمرها شركات الترتست
ومن ورائهم هذه الكتلة التي جمعت زمام الحكم وقبضت على اقتصاد
العالم ، ولسوف ترى ان كلمة الله هي العليا وأنه لا يحق المكر السيء إلا
بأهله والله لكل ظالم بالمرصاد .

٢ - أمريكا في يقظة نومية وهي مغلوبة على أمرها ، نست الله
وأحكامه ، وان الفطرة تحكم بالمساواة والعدالة وتأمربها وانها سوف تقتض
لا محالة من هذه التي تقول بالعدالة وحقوق البشر وتعمل خلافه ، فأين
وعياها؟! أليست في سبات ، في غفلة تسير بحكم أهوائها كما يسير النائم
طبق أهوائه لا حكم لسيطرة العقل عليه . هذه هي اليقظة النومية التي
يتحكم بها المنوم على الوسيط ، فمن هو الوسيط غير أمريكا ومستعمراتها ،
ومن هو المنوم غير هذه الشركات وزعمائها الجشعين الفاسقين للحكمة
والمنطق السليم ، الذين لم يجنحوا لدين الله ولا لفطرته ، ولا يخشون من
القصاص ، وقد مرت عليهم تجارب التاريخ فلم يرعوا .

٣ - تقدم أمريكا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والصناعي
والعلمي :

نحن لا نشك بالتقدم المادي فيها في العلم والتكنيك والاقتصاد . بيد
أن أمريكا بحاجة إلى العدالة الاجتماعية والتواضع الاجتماعي ، والخلق
السامية للأفراد والجماعات ، فإطلاق أسماء لحقوق الإنسان والقول المجرد
بالعدالة والمنطق والدعوة إلى الصدق والأخذ بالإحسان كلها أقوال ، وأما
الأفعال فهي خلافها ، والكل إلا النادر والأندر منجرفون إلى أسفل وأحط
الأخلاق ، طالما يسمح للفرد حرية تضر به وبغيره مستباحاً ما يضر به من
استعمال مواد مخدرة وكحولية وحمل أسلحة واستباحة التحايل على القوانين
الفردية والاجتماعية ، وإطلاق الحرية الجنسية دون قيود منطقية ، وإرسال
عشرات بل مئات الآلاف من الأطفال الحاصلين من الاتصالات الجنسية في

المجتمع دون أن يعرف الآباء والأمهات من خلفوا . والأنتس دون أن يعرف
ويألف الأبناء الحنان الأبوي والأمومي في الصغر والكبر ، والتربية المتفسخة
هذه التي تترك في العوائل وأفرادها خلقاً يقل بل يفقد بها الحنان والعاطفة
الرفيقة ، تلك التي تخلق في المجتمع الإنساني عقداً نفسية للآباء والأمهات
والأطفال إذا ما كبروا ولا يعرفون آباءهم وأمهم ويصبحون وبالأ يتقمون
فيه من المجتمع الإنساني الذي أوجدتهم محرومين من عطف وحنان الآباء
والأمهات .

إن البشرية بقدر تقدمها من الناحية المادية فإنها متأخرة من الناحية
المعنوية ، وتتأخر عن الفطرة والعدل الاجتماعي أكثر فأكثر يوماً بعد يوم .
وكل أسباب الحروب والصدمات النفسية ترجع لأسباب التباعد عن
المعنويات الرفيقة والأخلاق السامية والتمسك بالماديات وحسب . إن هذه
الحقيقة بالغة الأهمية ، ويجب أن يحسب لها المركز الأهم في المجتمع
البشري ، وخلق روح العدالة والحرية الواقعية ، ونشر الحب بين الأجيال
البشرية ، وبث البر والإحسان والتواضع ، والشعور بالمسؤولية الدينية
والوجدانية .

٤ - أما من يتزعم أمريكا ومن يسيرها؟ بعد أن شرحنا ما مرّ فهو في
الواقع ليس رئيس الجمهورية الذي لا يستطيع القيام بإصلاح اجتماعي
واقعي كالحظر على المخدرات والمسكرات ، ومنع حمل الأسلحة وبيعها
إلاً تحت رقابة وشروط والبت في المساواة بين البيض والسود والألوان
والأجناس والأعراق الأخرى ، أو منع حرب أو أمثال ذلك من كل شيء يضر
مادياً بالشركات العظمى مهما جلب نفعاً مادياً واجتماعياً للفرد والمجتمع
الأمريكي أو البشري .

كلاً وألف كلاً ، ليس لرئيس الجمهورية الرأي ولا للمجلس الأعلى ،
طالما تتحكم فيه الماديات دون المعنويات ، وطالما ينظر فيه للمصالح
الخاصة دون العامة .

نعم إن الزعامة بيد ذوي الرأي في الشؤون المادية وإن جلبت التعاسة

والمرضى المعنوي والشقاء للمجتمع الأمريكي والإنساني ، ولو صحَّ غير ذلك لمنع انتدخين ومنعت الكحول التي تبينت أضرارها . ولمنع القيام ببيع وحمل الأسلحة داخل البلاد دون قيد أو شرط ، ولمنع بيع أكذاس الأسلحة الحربية في الخارج ، ومنع الاستعمار الاقتصادي ، وإقامة الحروب المصطنعة بقصد سلب ونهب الشعوب ، ولحرم إشعال الفتن والقلاقل والفرقة ودس الفتن والشقاق والنفاق ، ولمنع رئيس الجمهورية الانقلابات العسكرية الدكتاتورية في الشعوب الآمنة في شعوب ودول الشرق الأوسط .

فمن يدفع أمريكا^(١) إلى كل هذه ويقودها ويسيرها ، ومن هو القادر على منعها فهو المتزعم ، والواقع أن العالم يدرك خيره وشره . فلماذا لا يستطيع زعماء البشر من التقارب وحل المشاكل المادية والاقتصادية ، لماذا لا يجتمع « ريغان » وزعيم روسيا وملكة انكلترا أو رئيسة وزرائها ، وزعيم ألمانيا الغربية والشرقية ، ورئيس جمهورية الصين وفرنسا وغيرهم ممن يعينهم الأمر ، ويحلون الاختلافات الواقعية التي تقود البشر إلى الهاوية؟ لماذا؟ لأنهم أنانيون؟ لا يريدون أن يقولوا ان ليست بيدهم السلطة ، أو ذلك يضر بمصالح خاصة التي تتلاعب بمقدرات الشعوب على حساب مادي ، وانهم جميعاً بعيدون عن المعنويات ، تلك المعنويات التي تقوم على المنطق والعقل والوجدان ، وعلى العدالة الواقعية ، على الفطرة والطبيعة المتكاملة ، على ما أمر به الله على يد رسله من أولي العزم .

٥ - فهل يحق لأمريكا ، وهذه صفاتها ، أن تتزعم كتزعم الأب الحنون على حد زعمها؟ هنا نقرب الأمر ونعود إلى جمهورية أفلاطون حينما قسم حكومات العالم حتى بلغ إلى أحطها وأتعسها ، وهي التي يحكم فيها الرعاع باسم الديمقراطية ويقودهم ويسيرهم فرد إنتهازي . تلك التي يتحكم بها زعيم ثوري التف حول الرعاع المخدوعون باسم الأكثرية ،

(١) وإذا قلت أمريكا فهو كمثل لأنها زعيمة الكتلة الغربية بل هي الأقوى وتمثلها فرنسا وانكلترا وغيرها من بائعي الأسلحة ومثلها روسيا زعيمة الكتلة الشرقية المتابعة لنفس المفكرات من بيع ونشر المواد الحربية وبث نفوذها بشتى الوسائل المنكرة مثل عملها في أفغانستان .

وتقمص بلباقته لباس الزعامة . تلك التي أبعدت الأقلية الحكيمة العالمية الجديرة بالزعامة التي أبعدت مرغمة تحت ضغط الرعاع ، وفقدت فيها المقاييس المنطقية والعقلية ، وعندها اختفت هذه الأقلية الفذة خشية الجماهير الهائجة ، ووقع الأساتذة تحت ضغط طلابهم وهم يخشون التناول عليهم ان منعوهم ، ويخشى الآباء من رعونة أبنائهم ، نعم الكل متحمسون ماديون عميت أبصارهم عن المعنويات ، تقودهم غايات خاصة للزعيم المتنفذ ، وويل لمن اعترض ، لاتهام من أراد القول بالإصلاح بالخيانة ، والعقاب الصارم ، واتهامهم عوض الإصلاح بالافساد .

أرأيتم ماذا عملوا بالرئيس نكسون حينما اقتضت مصالح خاصة ، وكيف أخرجوه من معقله ؟ أرأيتم كيف قتلوا ابراهيم لنكولن وكندي ، وأرادوا قتل ريغان؟! .

إن الزعامة الطبيعية الفطرية هي أعظم الزعامات التي تنص عليها الطبيعة وتنشؤها في الاحياء كحجيرات المخ بين حجيرات البدن ، تلك المصونة والمأمونة في معاقلها والمتمتعة بالحياة الدائمة الغير المتغيرة دون باقي حجيرات البدن ، ومن الزعامة الفطرية أميرة النحل ، ومنها أميرة الأرضة في مملكة الأرضة ، والعقل الأكمل والحكمة الجامعة عند أفلاطون في جمهوريته ، وأنبياء الله ورسله الإلهيون ، وهذا رسول الله محمد (ص) يقول : أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك . وهذه الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ، بل وكثير من آيات هذه السورة وأخرى في السور الأخرى الداعية لسعادة الإنسان وسمو المعنى والعدل الاجتماعي ، فكيف يجوز لأمریکا أن تتزعم العالم وهي تحمل هذه الصفات ، وفيها ما فيها من المعضلات والأدواء التي لا تعد ولا تحصى ، وهي بأشد الحاجة إلى علاج ، وما ذكرناه بعض أدوائها وعليه ، ان من شؤّه الحقائق وزيف المبادئ ، ووضع الشيء في غير موضعه هو الجاهل وإن أصرّ فهو الجاهل المطبق .

٦ - هل يصح للمربي والمعلم الناقص أن يكون مربياً ومعلماً وهو يفقد أمثال تلك التي يريد أن يعلمها لغيره وقد قيل : « فاقد الشيء لا يعطيه » !!؟؟

فالآب الذي يريد أن يربي أبنائه على الصدق يجب أن يكون صادقاً ، وإلاً فمتى وجد الولد فيه كذبة ، لم يقبل منه ذلك ، وإن قبل كرهاً أصبح منافقاً يتظاهر أمام أبيه بما أراد وخالفه في غيابه ، يعني يكون منافقاً مرئياً ، وهذه أخس الأمراض الاجتماعية كما قالت الآية القرآنية : ﴿ يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ﴾ ، وقال : ﴿ المنافقون أشد كفراً ﴾ .

نعود للقول : إن أمريكا الزعيمة الداعية للعدالة الاجتماعية ، وإقامة حقوق البشر ، هل طبقت ذلك عملاً في بلادها أو باقي بلاد الله؟ وتلك صفاتها المارة .

إننا نعرف أن أمريكا منبع كبير للخبرات والثروة التي تستطيع أن تسيّر أبنائها إلى السعادة وتفيض على البشر من خيراتها . بيد الكذب والنفاق والجشع والفساد الأخلاقي للمتنفذين والأقلية الانتهازية ، ومتى استطاعت معالجة هذه الأدواء وعدلت السلوك إلى خلق كريمة حق لها الزعامة مادياً ومعنوياً ، فالنفوس تأبى أن يتزعمها من لا ترى فيه الكفاءة ، وإن الضغط والقوة لها مفاسدها ونكباتها للظالم والمظلوم . تلك لها تجاربها في الحياة ، والعلاج الوحيد لخلاصها إصلاح مفاسدها المارة الذكر صادقة مؤمنة بدينها السماوي ، الحق العادل الواقعي الذي هو فوق الضمير والوجدان ، ذلك الذي يعترف بالعقل والحقيقة وكما قال محمد (ص) : إنما بعثت لإتمم مكارم الأخلاق ، والقاتل : « أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك » .

ومن اعتقد بالله الواحد الأحد المحيط المهيمن ، التقدير البر الرحيم ، اتقاه وسار على هداه وطلب الخير واتقى الشر لنفسه ولغيره . على حد قوله (ص) : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، وقوله : أحب لأخيك ما

تحبّ لنفسك واكره له ما تكره لها ، وقد جاء في القرآن : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ .

٧ - الدول الرأسمالية الأوروبية ، وفي مقدمتها إنكلترا وهي الأم المحنكة المجربة التي مرّ عليها الزمن وشاخت ، بدأت معتدية ظالمة وتحنكت بتلك المزايا واتخذت لتقويتها نفسها أصولاً إيجابية من العدة والعدد وأصولاً سلبية لإضعاف غيرها مادة ومعنى ، فهي الخالقة للفتن والتفرقة العنصرية والعقائدية وحتى القبائلية والجنسية وإضعاف من تريد الاستيلاء على مقدراتها واستعمارها ، كما فعلت في الهند وأينما راق لها ، ومن ينظر إلى تاريخها وتدرجها الحكومي والدولي يرى فيها مثلاً فريداً للحذق المادي ، وأماً للدول الرأسمالية في الشرق والغرب والشمال والجنوب .

أما الولايات المتحدة وكندا وأفريقيا الجنوبية وأستراليا فهي (أي إنكلترا) بالنسبة لها ، لا زالت مركز الثقل والرأي ، والقطب المحرك فيها جميعاً للأهواء والنزعات وهي الخالقة الأولى للمخاضات المادية الصناعية والتجارية منذ القديم لاستيلائها على الشعوب الآمنة باسم الشركات الغربية والشرقية ، وقراصنة البحر ، والاستحواذ على الثروات ومقدرات البلاد الأخرى ، وزج رجالاتها المدربين أمثال لورنس وعبدالله فليبي وغيرهم ، للإطاحة بالدول وخلق المشاكل والفتن ، وعقد المؤامرات في الشرق والغرب ، ومن تتبع تاريخها أدهشته أفعالها وقسوتها ومظالمها في الشرق والغرب . ومن دقق تدقيقاً أعمق وجد في هذا الشعب الصغير الكامن في جزء من جزيرة انجلند أدهش الحوادث التاريخية ، وعظم بلائها ومظالمها في الداخل والخارج ، وكيف استطاع بحبك الآراء وبث المصائد والتغلب على شعوب كبيرة ربما فاقتها عشرات الأضعاف وسعة ونفوشاً ، استطاعت من شباكها العنكبوتية لاقتناصها اقتناصاً لا تطيق حراكاً ، بعد أن مزقتها شر ممزق وفرقتها أمر تفريق على حد المثل المشهور (فرق تسد) ، نعم ترى كيف مدت أطرافها كالأخطبوط ناعماً ثم بدأ يتصلب ويحكم قبضته ويمتص دماءها ، وقبض أرواح الأبرياء الأمنين من بشر يستحق الحياة مثلها ، وتراه

يخالف البشر والحيوانات المفترسة ، فالأسد والنمر يأبى أن يفترس أسداً أو نمراً وحسب لسد جوعه ، ولا كإنسان يحمل في نفسه روح الكرامة الإنسانية وحتى لا تشابه الحياة والحيثان التي تلتهم فريستها التي تقاربها في الشكل والهندام والشكل والخلقة والجسامة ، ومتى تم التهامها لها انزوت وقنعت ولا تعود إلا متى جاءت ، لا ولا يشابهها من الكواسر والضواري ، فهي عوض أن تتحكم بغرائزها أمام عقلها الجبار تعكس الأمر وتتحكم بعقلها تجاه غرائزها الجامحة ، ولا تكتفي بقنص فريستها وحسب ، ولا بمجموعة مما تحتاج إليه ، بل ترصد بالأقوياء والضعفاء الأمنين ، تستغل أمنهم والمكافحين ، تكيد لهم محتالة قاضية عليهم حتى لو لم يكن لها بذلك نفع في الحال أو المثال تضعيفاً لشوكتهم وتقويضاً لهمتهم ، وبث أنواع الفساد ، مظهرة بالتقوى ، ومتميزة بالحكمة ، ومترتلة في أقوالها ما يفعله الواعظ المدلس والشيطان المارد ، وتفعل ما يفتت الأكباد ويفت في الاحشاء وينخر العظام ويوهن الأجسام ، كأنها تحس بالفرحة من آلام الآخرين وشقائهم دون جدوى ، حذار أن تنهض عن هذه الشعوب من ينافسها ، متعمدة أولدت ودرت أبناء حانقين من مستعمراتها السابقة ، يحملون في طيات نفوسهم تلك الروح المتجاوزة الظالمة فأصبحوا وبالأعلى البشرية .

والدين المسيحي الرؤوم ، لها برقع تتجلبب به بالدعوة لحقوق البشر وإظهار الأخلاق السامية حيث تفيض في أقوالها ورسائلها ، وأما أعمالها فهي تنافي كل ذلك ، فكأنها تغري غيرها ، وتفجر فيه روح الرحمة والعطف كسلاح تثبط به حماسها لتسلل من نقاط تلك الرحمة والاطمئنان إلى معاقلها لتدكها ، وهذه الدعوات الإنسانية الكاذبة لا تخفى وإن استمرت طويلاً بيد لا بد وإنه وإن طال الزمن لا يحقق المكر السيئ إلا بأهله ، وهي ومن شاركها الصراع بالدم والعقيدة اليوم أمام أهوال الأخطار والأسلحة المدمرة التي إن قامت حرب لا تبقي ولا تذر ، وأمام ألد الخصوم الذين اتخذتهم درعاً واقياً لضرب خصومها الآخرين ، هؤلاء هم الشعوب السوفيتية والدول الشرقية التابعة لها ، أما الدول الأخرى الغربية المعاصرة لأمريكا وإنكلترا فهي تكاد تكون منقادة خوفاً وطمعاً ، وتجمعها العقيدة السياسية مع بعضها

كما تجمعها العقيدة المادية أمام الكتلة الشرقية من السوفيت ومن يتبعهم ..

أما الكتلة الشرقية وهي الروس والدول الشيوعية الأخرى والقائمون على المصالح الجماعية ، تلك المسورة نفسها وشعوبها أفراداً وجماعات بنطاق حديدي تحت كابوس اقتصادي وفكري عصب ، مسلوبة من الحريات المادية والمعنوية ، وتسير كحكم آلة صماء مفتاحها بيد الكرملين ، كأنها خلقت لتستعد للخصام وتجمع ثروتها وتزجها لصناعة الأسلحة الفتاكة تحت غطاء سري فقدت فيه الأفراد والجماعات أرق العواطف والغرائز البشرية بحكم سيطرة الهيئة المهيمنة ، وأشد مادية من الكتلة الغربية وأبعد عن المعنويات ، من الوجدان ، والإيمان بالقدر الإلهي التي تؤثر على بعض سلوك الأفراد والجماعات الغربية الرأسمالية . فهي تطبق قانوناً موضوعاً من لديها ما هي إلا نظريات مادية بحتة وحسب ، لا يمنحها رادع ديني أو وجداني أو تعترف قولاً أو فعلاً بحقوق الإنسان المادية الأخرى والمعنوية ، وقد حددت ملكية الفرد بقوت لا يموت ، كما حددت سلوكه في أقواله وأفعاله ، بشكل لا تفرقه الطبيعة والفطرة والمنطق السليم ، تحت كابوس وضغط لا يطيق أن يحيد عنه ، والويل لمن حاد ، وكأن المرء في محيطها يعيش في حياة أخرى غير إنسانية وغير بشرية ، والحقيقة أن للحرية الفكرية والحرية البدنية والحرية المالية والتجارية والحريات الأخرى التي يتمتع ببعضها الرجل الرأسمالي ، لها مزاياها الحسنة التي لا تنكر ، إلا ما ينكر على الشركات الكبيرة المحتكرة في الشراء والبيع التي مر ذكرها وكلاهما خارجان عن حد الاعتدال .

فالرأسمالية تجاوزت حرياتها للاعتداء على الأفراد والمجمعات والشيوعية قضت على كافة الحريات ، ورغم ما يؤخذ عليها من السيطرة العظمى في احتكار البيع والشراء والتحكم في شتى نواحي الحياة ، ومشاطرتها الحكم في الأمور الاقتصادية والسياسية ، وعيها في الداخل والخارج على أفراد الشعب وجماعاته في الداخل ، وتلاعها في شؤون الدولة لكسب الربح وأثرها على الشعوب الأخرى ، أخص العالم الثالث ،

كما مرّ ، مما يجلب الأسى والفساد لكسب المغانم دون أن تحسب حساباً لمغارم شعوبها أو غير شعوبها كما مرّ ، وذكرت ذلك عند الحديث عن الرأسمالية ، نعم هذه الأوبئة والأمراض الاجتماعية ، فإنها بما تفرضه من الضغط وتجلبه من الأضرار ، إنما هي أقل من القليل بالنسبة للشعوب الشيوعية المسلوبة من أي حق أو إبداء رأي مهما كان ، فهي تعيش في حالة اختناق مفروض عليها من الضيق لحد المشاعر والعواطف وأجل التضحيات في سبيل الدين والعقيدة والإصلاحات مهما كانت طالما تخالف الآراء والنظريات الشيوعية وأساليبها الاحتياطية ، وبهذا تكاد تفقد روح الإبداع والابتكار الفطري الطبيعي مهما حكم به العقل ووافق الحكمة والمنطق السليم ، كأن الإنسان آلة صماء أمام أنظمة وقيود فردية وجماعية لا يجوز له تخطئها ، أو يسمح له أن يفرّج عن نفسه التوافق لنزعة الحياة والعيش في الأجواء الوسيعة ، قد فقد روح الطلاقة ، وكبّل بقيود عظمى لمدروحه ومشاعره التوافق لما حوله أو الافاضة على الآخرين أو الكسب منهم بما يزيل عقد الحياة الممضة وينهه نكداتها من الجوارم المغلق والأنفاس الخائفة والمحاجر والمحابس الضيقة .

ومن تصفح الحياة في البلاد الشيوعية المكبلة وأقربها ما يحصل من الضحايا في برلين الشرقية إذا ما سولت له نفسه التخلص والهروب إلى برلين الغربية عرض نفسه للقتل والموت ، ورغم ما في ذلك من خطر فلقد وجدنا من عرض نفسه للموت عساه أن ينجو من ذلك السجن أو يموت ويستريح مما هو فيه ، وكم سمعنا بأفراد انطلقت من محاجرهم وأقلامهم فلتات مكبوتة ، فحكموا بأشد العقاب تلك أعز ما للإنسان العاقل المفكر المبدع من عذاب في الحياة أن يبقى في مثل هذه السجون .

هنا تستطيع أن تدرك ما ترمي إليه الأديان السماوية من سعادة البشر وتريد تحقيقه وهو الحد الوسط بقول الإمام الباقر لابنه جعفر الصادق حفيد محمد خاتم المرسلين حين يوصيه قائلاً : (خذ الحسنة من بين السيئتين) ، أي خذ الحد الوسط دوماً ، فلا إفراط أو مغالاة ولا إحجام أو مقالة ، إذ في

كل شيء يجب رعاية الحد الوسط في مسالك الحياة حتى في الأكل والشرب ، ومن أحسن الوصايا الواردة حول ذلك ما ورد في القرآن المجيد الآية : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وتعتبر من أبداع القواعد الصحية وأعظمها للوقاية فيما يخص الجهاز الهضمي ، وما ورد في النواحي الاقتصادية قوله تعالى في القرآن : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ، وفيها أجمل التعاليم الاقتصادية المتزنة والسلوك المحمود ، ومنها الآية المنسوبة للقمان الحكيم ووصيته لابنه الواردة أيضاً في القرآن الكريم ، قوله تعالى عن لسان لقمان موصياً به ابنه : ﴿وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتُ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ .

انظر إلى هذه التربية النفسية الإنسانية في الدين إلى مكارم الأخلاق والسلوك السوي ، ترى في كل منها الحد الوسط ولهذه القواعد آثارها المهمة البليغة في سير الحياة المادية والمعنوية الصحية والاقتصادية والاجتماعية ، وترى في القرآن والأديان السماوية صنوف الحكمة والجمال وصنوف الجلال العقلي الذي يطنب بها الله كما جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ، وكم كرر أفلا تعقلون وألا تدبرون ، وقوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ، وقوله : ﴿صَمٌّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ في الآية ١٧١ من سورة البقرة ، وهناك الغرائز التي وضعها لنفع الأحياء وأخص منها الإنسان فهي مقيدة ما استعملت في الحد الوسط دون زيادة أو نقصان ، ومتى أفرط بها الإنسان في أية غريزة أصبحت سيئة ومضرة وكما لو أهملها ومنعها كـالغريزة الجنسية وحب الذات وغريزة الأكل والشرب بل جميع الغرائز المادية والمعنوية فمن قالها وفعلها واستقام كما فرضتها الشريعة في القرآن والسنة فهو مسلم ومؤمن كملت مروءته وطابت سيرته ، ومنعت غييته ، وبرئت ذمته ، وإن كان حاكماً أو إماماً وجبت طاعته ، ومن قال وخالف قوله

عمله فهو منافق وكذاب قد بانت حيلته ووجبت فرقته . فالعمل بعد النية والقول يظهر الواقع ويجلو الحقيقة ويكشف الطريقة ، والنفاق أشد أنواع الكفر والمنافقون في أسفل درك من الجحيم .

ولا يجوز الطعن بالدين أبداً إن صدر العمل الفبيح من منافق باسم الدين ، ومزلق تبرقع ببرقع التقوى ، وإذا بأفعاله تخالف أقواله ، ومن هذا قد حذر القرآن في قوله تعالى : ﴿ أَمُرُّونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ آية ٤٤ من سورة البقرة ، وفي سورة الصف الآية (٢ و٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وفي سورة البقرة ، آية (٤١) : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وكم شكوا رسول الإسلام وخليفته الإمام علي من المنافقين ، وكم ذمهم الحكماء والشعراء ، ومما قاله الشاعر :

« يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب »

والحقيقة مهما أراد أن يراوغ ويخادع المنافق فسوف تظهر للملأ وللرأي العام أخص في رأي العلماء والحكماء خير شاهد والله من ورائهم رقيب وحسيب ، قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

إذ قد يبلغ الزعيم المنافق المخادع درجة من الدقة والحذر في الغش والخديعة حيث تنطلي مبدئياً منوياته وأسراره الواقعية بيد هيهات أن تبقى مكتومة ، وسرعان ما يدركها العارفون المخلصون ، ويعرفها المحصنون الفاسحون الحكماء والمحققون المدققون من أهل الفن فيعلنون زيفها ، وهيهات أن يستطيع المغرضون قلب الحقائق لمتقي وزين وفقه أمين ورباني في الدين في طمس أفكاره وإخفاء أنواره ، وإذا قيل : الحق يعلو ولا يعلى عليه ، فذلك قانون طبيعي وفطري من رسوب ما نقل وسمو ما خف ، من

بارد كثيف النوع وزين، ومشع في الأجواء مبین ، وكما جاء في الآية ١٧ من سورة الرعد قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ فاما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴿ .

المقالة الثانية

الانتظار المير للمُصلح !

حيرة العام ! من هو الجدير بالزعامة؟ أي المسالك والمذاهب أجدر بالاتباع؟ علل الشقاء ينبعث من استحواذ الغرائز على العقول ! الباعث للأنانيات والنفاق والمظالم وسلب الحقوق . ما أجدر الإنسان باتباع سلوك حكومة البدن الإنساني من حجيرات وأنسجة متضامنة . واتباع دين الفطرة وحكومة الله المنبعثة من حكمة وجدانية أو نبوة ربانية . ومزج الماديات بالمعنويات . من هو منقذ البشرية من الهوات الساحقة والمكائد الماحقة؟ .

حيرة العالم ، تجاه هذه الحياة الزاخرة بالماديات والنفاق والاعتداءات والتجاوزات والقسر والحروب الطاحنة .

حيرة العالم لوقف المظالم والحروب ! لمنع التسليح ، لتدمير الأسلحة الفتاكة ، على اختلاف أنواعها! لوقف التنافس . وكم هي أضرار هذا التنافس ؟ وما هي منافعه ، وما هي علله؟ هل بالامكان وقفه كلاً أو جزءاً؟ كيف الوقاية؟ ما هو العلاج القاطع ، اغتنام الفرص! اغتنام فرصة الزعماء من الدول العظمى ، المعول عليهم سعادة العالم !

من هم هؤلاء الزعماء؟ أهوزعيم أمريكا؟ ومن هوزعيم أمريكا؟
 رئيس الجمهورية ، أم هو نقيب شركات الترس؟ أم رئيس القصر الأبيض
 أم غيره؟ أزعيم روسيا؟ ومن هوزعيم روسيا؟ . أو زعيم الصين؟ إنكلترا؟
 فرنسا؟ أهو البابا؟ أم هم علماء الدين في كافة الأديان والمذاهب؟ الحكماء؟

الكتاب؟ أم مجموعهم متحدين؟ أم هو نور وحكمة ويقين مقرون بإرادة وعزيمة يلقيه الله في قلب فينهض بها بحول الله وقوته؟ أم هي قوة طبيعية مكنونة في قلب المجتمع الإنساني والخلقة؟ أم هو سر يظفر به ذو أهلية متفوق ، فأخص باحث حكيم مُصلح ، شريف ، عطوف ، مجد دؤوب ، موثق ببلوغ الهدف لانفاذ البشرية؟ أم هي قدرة ربانية يودعها من يشاء ويجمع فيه القدرات لإحرازها؟ .

الكلمة الطيبة ! أصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي أكلها كل حين بإذن ربها ، فأين هذه الكلمة التي تلم الشعث وتصد المظالم وتدعو إلى السلام؟ ما هي هذه الدعوة؟ ومن يدعو لها فيطاع رغبة أو رهبة أو كليهما؟ .

كيف تبدأ؟ وكيف تدخل البيوت من أبوابها؟ ومن يكلم الناس على قدر عقولهم؟ وقد قال الحكماء : الناس معادن . وهناك من شبههم بشتى الأحياء . فقالوا فيهم الأرواح الطيبة والشريرة ، وفيهم الضواري الكاسرة ، وشتى أنواع الحشرات النافعة والضارة ، وفيهم كل الطبقات المشابهة لشتى صفوف الأحياء ، فيهم من يركن للطيب وآخر للعفن ، ومن يصغي للمعروف وآخر للضغن . وقالوا لكل باب مفتاح ولكل حرب سلاح ، ولكل حرفة أداة، ولكل نبتة نواة، والعاقل من وضع الشيء في موضعه زماناً ومكاناً وراعى شروطه ، فأين هذا العاقل؟ وإن وجد فكيف يطاع؟ أبالرغبة أو الرهبة أم كليهما؟ ومن أين تأتي بهذه القوة وذلك التدبير؟ أنجده بالبحث؟ أم تولده الضرورة؟ أم يولد باكتمال الشروط المادية والمعنوية؟ .

ما ذكرته من الأسئلة يمر بخاطر كل من يحفزهُ الشعور والاحساس ، حين يقف مذهولاً أمام هذا العالم الطبيعي المنسجم في هياجه وصخبه ، وهدوئه وسكينته ، وهذه النفوس الإنسانية الدائبة على نواميس الحياة ومعترك قواها من الغرائز والأهواء والشهوات والعقول والأفكار والملكات ، من سائبة أو كابحة ومستترة وجامحة ، ومسيئة وحسنة ، تقودها تارة الغرائز باعتدال أو تخرجها عن ذلك الميزان المعتدل في الزيادة أو النقصان ، بين مستهينة

بائسة خاسرة ، أو جامحة حائرة ، فقدت وعيها واتزانها ومنطقها من عقل وحكمة وإرادة وهمة .

راجع التاريخ ، وتابع سير هذا البشر خليفة الله في أرضه ، وانظر إلى سيرته وسلوكه وكيف قادته غرائزه التي وضعها الله فيه لقوامه وسلامه وسلامته ، أوكلها إلى عقله وحكمته وتجربته وإرادته ، وقد أراه طريق الخير والشر كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ .

بيد ومن المؤسف ، ومنذ اللحظة الأولى تخرج الغرائز البشرية عن اعتدالها للافراط والتفريط وتأسر العقل المدبر الحكيم وتستخدمه لأغراضها ، ولا تفلح الإرادة المريدة الحازمة ، وتفرض بديلها الأهواء الجامحة ، من حرص وشره وجشع وطمع ، وقد سدت نافذة العقل الجبّيس وما يرسله من الصرخات الإنسانية ونذير وتحذير^(١) وأوغلت للصدام والخصام ، والنزاع والصراع باسم العقيدة والقومية والعنصرية والنخوة الجاهلية ، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وشتت بين البشر ، بين الاخوة المتجانسين في الروح والمادة والحس والشعور وباينت بينهم باللون والجنس والعرق والعادة والعرف والحسب والنسب ، فقال : هذا أبيض وهذا أسود وذاك أصفر ، وهذا شرقي وذاك غربي وهذا ذو دين وعقيدة كذا .

فرضت أنظمة وقواعد وقوانين لا تركز إلا إلى مقاصد وغايات تسند أهواءهم وترضي اغواءهم ، لا يرتضيها العقل السليم والمفكر الحكيم ، وكل يدعي الصواب وأن الحق إلى جانبه (وهو خلي منه) .

(١) في ٨١/٢/١٩ في هذا اليوم أعلنت الإذاعات تحذير الدكتور كولد والدهايم سكرتير الأمم المتحدة ، أعلنه للعالم الإنساني أجمع من التطاحن والحرب . قائلاً : إن المعدات الحربية المدمرة لدى الجهات المتخاصمة بلغت درجة مخيفة تكفي لتدمير مضاعفات البشرية القائمة ، وقال : توجد اليوم ما يساوي مليون قنبلة ذرية أشد هولاً وتخريباً من القنابل الأولى التي ألقيت على المدنيين اليابانيين ، وقد ظهر بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية أنها تساوي ٢٥٠٠ ضعفاً من الشدة التي تحويها القنبلة الذرية الأولى .

وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر له بذاكا

وكل منهم يقوم باسم المصالح الإنسانية والحق والعدالة بجرائم وفجائع تسود وجه البشرية من مظالم واعتداءات وقتل الضعفاء والأبرياء ونشر الفتن وبيث المحن وتخريب البلاد وتعذيب خلقه في الشرق والغرب لسلب ثرواتهم وصد اعتراضاتهم ، فمرة ترى تدمير مدن بكاملها كما فعلت ذلك في هيروشيما ونيازاكي بما فيها من أحياء وما حوته من أطفال وشيوخ ونسوة غير محاربين ، وبما فيها من حيوان ونبات ، وبعدها تدمير فيتنام ، والفتن والحروب المقصورة في الشرق الأوسط من مركز البؤرة الانتانية المصطنعة (فلسطين) لمحض سلب أهم ثروات هذه البلدان من نفط ومعادن واستبدال أثمانها بالأسلحة الفتاكة وبعد بث الشقاق والتفرقة بين الأمة الواحدة والشعب الواحد وإثارة الخصومات فيما بينهم وقيامهم بأشد أنواع الهجمات البربرية الواحدة على الأخرى دون مبرر ، وضرب الأمنيين من مدنيين فيهم الأطفال والنساء والشيوخ العزل ، ومذابح ومجازر بين الأهل والجيران من السكان لتضعيف شوكتهم ، وتدمير قوتهم ، وتحطيم نهضتهم ، وتركهم بلا حراك أدلاء خانعين وصغراء خاشعين لا حول لهم ولا قوة .

وإذا تعمقنا وتساءلنا عما أدت إليه القنابل الذرية في هيروشيما غير استئصال الحرث والنسل ، وما تركته في هذه البلاد بعد القتل من المشوهين والناقصين والقاصرين . ومثله ما قامت به الطائرات الأمريكية ذوات الثمانية محركات من القصف على المدن الآمنة في فيتنام من تدمير البلاد وفي لبنان شمالها ووسطها وأخص جنوبها على السكان الأمنيين من قتل وفتك ، وفي الحبشة والصومال وأفريقيا الجنوبية وأمريكا الوسطى ومئات البشر المتعوس الهارب إلى المعتقلات الباقدة للزاد وحتى الماء ، وهناك في شتى بلاد العالم من إفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية كما مرّ ثم تعود للدول العظمى المتناحرة وما تعدّه من وسائل الحرب المخيفة ، وما تنفقه على هذه المعدات من الثروات الهائلة في الحين الذي هناك الملايين بل عشرات الملايين من هذا البشر الحامل لنفس الشعور والإحساس والأعضاء والخصال

والاحتياجات يتضور جوعاً والذي تعتوره أشد عاهات الأمراض لسوء معيشته وتربيته والفاقد لأعز ما منحه الله مثل ذلك للأوروبي والأمريكي من وسائل الحياة والحس والشعور، فأين الصرخات الداوية لحقوق البشر؟ وماذا تعني هذه الدول العظمى المجتمعة في جامعة الأمم المتحدة؟ وما معنى حق الفيتو وأي إصلاح تعنيه؟ وأي فائدة من المؤتمرات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية والمفاوضات لوقف ومنع الأسلحة الاستراتيجية بين الشرق والغرب؟ وماذا تعني الجاسوسيات في الدول العظمى وآثارها؟ هل لقصد الإصلاح أو الإفساد؟ وهذه الشركات العظمى الأمريكية، أخص منها المتجرة بالذهب الأسود (النفط) ، وتلك التي تعد الأسلحة الفتاكة من طائرات ومدمرات وصواريخ ودبابات ، وهي تنهب وتسلب الشعوب المستضعفة نفطها وثرواتها ، وتبعث في صفوفها الوهن بالتفرقة والمخاصمات لتجردها من ثرواتها وتقدم للمتخاصمين أهول أنواع الأسلحة لتفتك الواحدة بالأخرى ، وتقضي على نفوسها وثرواتها ، وتعيد بها القمعري ضعيفة مهورة مسلوبة بعد الثراء والقوة لترضى بما تفرضه هذه الشركات الغاشمة وتعود رابحة غنية فارهة تعيش بها عيشة الكبرياء والبخثرة على حساب كادحي ومستضعفي العالم ، فأين حقوق البشر؟ أين حقوق البشر في تلك الجاسوسية والدكتاتوريات المصطنعة على أيدي طغاة مترفين يعيشون في بلاد الله ، لسلب الحريات وإذلال الأحرار والمنادين بالإصلاح ومن بينهم أولئك المكبلين بالقيود والمدحورين في الزنزانات لقطع دابر الإصلاح والمصلحين ، وحد نشاطهم وفسح المجال للظلمة الغاصبين للعبث بمقدرات الشعوب ، وتلك روسيا وما فيها من أسرار وأهوال وحريات مسلوبة . .

حقاً لا تكاد تحصى وتعد الحقوق المسلوبة من البشر بيد البشر ، وهذا البشر المتجبر المنافق الذي يهب غاضباً مستصرخاً مستغيثاً لوضع أفراد وقفوا معززين مكرمين كالرهائن الأميركيين في إيران ، ويملاً وجوه الصفحات من مجلات وجرائد وشاشات التلفزيون واجواء السماء والأرض بالعويل والبكاء لفرد أو أفراد جرحتهم قبلة طائشة في فلسطين ويوصمون الفاعل

بأشع وأخس ما يمكن أن يوصم به من وحشية ، وبأشع ما تمجده النفوس وهو المدافع عن حقه بما تقره العدالة ، في حين يفتك الغاصب يوماً ويُدمر المدن والقرى ويقتل السكان الأمنيين عدواً وعدواناً فلا ترى القائلين بحقوق البشر في الدول العظمى وفي مقدمتهم أمريكا وروسيا لا تُسئل الأولى عما تحدثه في الشرق الأوسط أخص لبنان وحرب الخليج والأخرى أخص في كمبوديا وأفغانستان .

نعم في إيران والعراق وجنوب لبنان بيد أوباش وعمّال وأذئاب الدول العظمى فلا ترى لدعاية حقوق البشر سوى السخرية والاستهزاء والمرور بها مرور اللثام (لا الكرام) ، وإذا وجدت كلمة تؤثر فهي دموع التماسيح أو بسمة الذئاب الكاسرة المكشورة عن أنيابها .

إن العالم اليوم يمر بأدوار عصيبة لا عهد له بها من الأخطاء ويستعد لحرب فوق الحرب الشعواء كل منهم للقضاء على خصمه ، بل الحقيقة القضاء الأكيد على نفسه وخصمه والمحايدين . إذ ربما كانت في الماضي البعيد في حروب السيف والرمح غارات ونهب وسلب تفقد بها جماعة أو جيش أو مدينة بعض ثروتها ، ويقتل بها المئات والألوف بالسيف والرمح ويستعبد شعب شعباً وبأسره ، وتلقى الشعوب الواقعة على ممر هذا الجيش الأمرين من سلب ونهب وقتل تلك أشدها ، بيد لم تجد أبداً ولا سمعت في العهود الغابرة البعيدة حادثة تشابه بما فعلته القنبلة الذرية في هيروشيما ونيازاكي ، تلك التي أصبحت اليوم من أخف الأسلحة المدمرة إذا قيست إلى ما ابتكرته الدول العظمى بعدها من الأسلحة الهيدروجينية والكوبالت والكيماوية والشعاعية والمكروبية ، وغيرها التي لم تبق ولم تذر في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولم يسلم فيها لا بحر ولا محيط في أعماقها وسطوحها ، ولا أرض ولا سماء مما تشعبت من أقمار دائرة في الأجواء ، وغواصات في الأعماق ، ومعدات السمع والبصر والعقول الالكترونية الحاسبة وما خفي منها أشد وأنكى . وبعد هذا فماذا يقصد بها الشرق ودوله ، وما يقصد بها الغرب وملله ، أهي تريد وضع سيطرتها بعد هذه

الحرب الكاسحة على حضارة مدثرة ، وشعوب محطمة ، فقد المتخصصان كل مباحج الحياة من نفوس عالمة ونظم قائمة وثروات جسيمة ومدن عظيمة . فلم يبق منها إلا فلول ناقصة وأجسام بائسة ، تطاردها الأوباء ، وتشلها الأعضاء ، مشكلة بالازواج والآباء والأبناء . وبعد هذا ؛ فهلا يجدر بزعماء الدول العظمى في هذا العهد الجديد الذي لم يسبق له مثيل من بلوغ العلم والفن هذه الدرجة التي سيطر بها البشر على المحيطات وأعماقها والأجواء وآفاقها، وتقارب ما يشمل السمع والبصر ، وما شمله من مشاعر وفكر ، من أدوات مسجلة وحاسبات مكملة واشتات موعلة ، واشعاعات موصلة ، ما يقرب البعيد ويسهل الشديد ، ويلين الحديد ويحيل الغاز إلى جليد ، في هذا العصر الذي يعكس للعالم في اللحظة أوامره ويتلقى خواطره ، الذي دقت معايير وأصابت مجاهيره ، في هذه الجامعة الإنسانية المتجانسة والمتشابهة بجامعة البدن الإنساني المترابطة بأعضائها وأجزائها ، من أجهزة متساندة وأعضاء متواردة وحجيرات لخدمتها صامدة ، دائبة على عملها لا تخور ومخلصة في كل الأمور ، إن تألم عضو شاركته بقية الأعضاء بالآلام وجدت في شفائه متضامنة حتى يشفى من الأسقام ، لا تفتأ جميعاً مجدة في وظائفها ، دون كلل ومطبعة لما يرد لها لتسديه دون ملل ، تبعث بأنبائها صادقة وتردها أوامرها بالجد بارقة ، كلها للكل خادمة ، وفي حقوقها بالعدالة قائمة ، ويعطفها الواحدة للأخرى دائمة ، هكذا خلقتها يد الحق فسارت ممثلة سعيدة وجادة في خصائصها فهي رغبة .

أما الإنسان فما أجدر به أن يماثلها بإقامة العدالة الاجتماعية ويسير مثلها دائباً لخدمة بني نوعه الذي يخدمه لا تغريه الغرائز ولا تهزه المغريات والهزاهز ، ويعمل لغيره كما يعمل لنفسه ، ويطيع منبع الحق ويوحى العقل .

نعم آن للإنسان أن يعود للعدالة الاجتماعية ويعمل بها ، ليسعد هو بسعادة أبناء جنسه ذلك حكم الله عند الموحدين المؤمنين . وحكم الطبيعة العادلة التي قامت من الخلقة الإلهية المسيطرة ، وما شقاؤنا في هذه

الحروب وما نلقاه من الآثام والآلام إلا لإعراضنا عن المنطق السليم والعقل الحكيم ، عمّا فرضه علينا دين الله الواحد الأحد ، الذي أعطى كل إنسان رشفة على حد قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

ولم نجد داعياً واقعياً لحفظ حقوق البشر والعودة إلى العدالة الاجتماعية والعدالة الطبيعية الباعثة لخير البشر ونشر الرحمة والسلام والسعادة إلا ممّا أمر به الله رسله والذي ختمه برسالاته في القرآن ، وما أحلى قوله : ﴿ وبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ .

ويا للبشرى والسعادة للمصغين لمنطق الحق ، فالمنطق السليم هو الذوق الصادق المتساوي عند جميع العقلاء ، والعامل الذي يضع الشيء في موضعه . ومتى وضع الشيء في موضعه أعطى أحسن النتائج ، وهذا ما نرجوه في سيرة الإنسان وسلوكه سبيل الحق على حد ما قال رسول الله محمد (ص) : « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، والله أقرب للمرء من حبل الوريد ، والله يعلم السر وأخفى ، ومتى اطمأن الفرد بهذا كله وعمل به كان قد أحرز كل واحد منا العدالة الاجتماعية كالحجيرة في جسم الإنسان : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ﴾ سواء أكان للخير أو للشر .

وبعد هذا كله فمن هو الذي يسير هذا البشر ويربط أعضائه ويعيده إلى العدالة الاجتماعية وينطق صدقاً ، وتكون له الهيمنة الصادقة لربط أجزائه إلى بعضها ، ويضمن اعتداله في هذه الحياة العنصرية المتكاملة . من هو الذي يستطيع أن يمتلك زمام هذا البشر ، زمامه المعنوي والمادي ، فيقوده قيادة أب رؤوف رحيم ، ويده القدرة على تأنيب من خالفه وعصاه ، فيسير البشر رغبة وإلاً رهبة ويبعث فيه تلك الروح الواقعية التي يعمل الله وللحق دوماً لا تغلب عليه الأهواء .

لقد ثبت منذ بدء التاريخ أن خير دعوة للخلق إنما وجدت من

منبعين : إما منبع حكمة وجدانية ، أو منبع نبوة ربانية ، والأخيرة خيرها ،
وستضرب مثلاً على كل منها .

١ - منبع الحكمة الوجدانية : تلك التي نجدها في جمهورية
أفلاطون التي وضعها نظرياً ولم تطبق عملياً ، وقد دعاه لكتابتها ما خامره وما
حس به من الاجحاف الذي وقف عليه من الحكومات البشرية الدكتاتورية
والمطلقة على أبناء البشر . وما يلزم في وضع حدٍ لذلك الاجحاف ، ولم
يطبق أفلاطون جمهوريته لا في عصره ولا بعدها على الشاكلة التي أرادها ،
ولقد أراد في أواخر أيامه أن يعطي هذه الجمهورية تعديلاً فلم يؤاته القدر .

٢ - أما المنبع الثاني فخيرها المنبع النبوي الرباني : ولم يستطع أن
يقوم بها ويجريها نظرياً وعملياً أحد الرسل سوى محمد (ص) . ومن يحجم
عن العصبية الدينية والعقائدية الأخرى ويمعن بعين الانصاف والحقيقة دون
أن تأخذه عزة في الاثم : بنظرة فاحص خبير من نواحي عديدة ، تاريخية ،
اجتماعية ، أخلاقية ، علمية وعملية ، ويعرف حياة محمد (ص) ومحيطه
الذي نشأ فيه ، وأنه يتيم وأمّي ، في ذلك المحيط المتناهي في الفقر
والجهل . ويتبع سيرته ومراحل دعوته ، والوحي والكتاب المنزل وسنته في
أقواله وأفعاله ، وإدارته وتربيته لصحابته ، وأهل بيته وتدرجه في الحكم ،
لوجده خير من ظهر وجاء بشريعة جامعة لتأسيس حكومة عادلة اجتماعية
طبيعية ، تجمع بطيها المساواة ، والحريات ، والعدالة والرحمة والاخوة
والحب وسعادة أفراد البشر وجمعهم جميعاً تحت لواء واحد بما فيهم من
قوميّات وعناصر وأجناس وألوان ولغات تحت لواء واحد لا يميز بينهم سوى
التقوى ، والتقوى مجموعة الفضائل الإنسانية والأخلاقية والعلم وهي أعظم
معاجز نبوته ، بيد وكل الأسف وقد انطبقت الآية القرآنية الشريفة بعد موته
في قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . ﴾ وقد انقلبوا على الأعقاب ، ونحن بحاجة
ماسة للثبات وشعث البشرية تحت أصوله وفروعه ، وكتاب الله وسنة خاتم
أنبيائه وما أمر ونهى في جميع كتبه المقدسة وعلى لسان رسله وأنبيائه ،

واليوم وهذا العالم المتقدم من الناحية المادية والمتردي من الناحية المعنوية والاجتماعية ، المتناصر في الشرق والغرب ، الماكر المحتال ، الخارج على جميع الصفات المثلى الإنسانية ، إلى الكذب والنفاق والمكر والخديعة والجشع والتجاوز باسم القانون الذي وضع أسسه لترسيخ سيادته من هضم حقوق الضعفاء والاعتداء على الأبرياء وسلب حرية الأحرار أخص أولئك المنادين بالإصلاح ، قائماً بالفتن والفساد بين الشعوب وإقامة المجازر ، بقصد الغارة والاستحواذ على منابع ثرواتهم وموارد رزقهم ورفاههم غير آبه بمصائبهم من فقر وجهل وأمراض . كالذئاب الكاسرة ، تدمر القطيع وتفتك بالعشرات والمئات بغية الاستحواذ على واحدة لالتهامها ، بل هي أشد ، تسلب حياة القطيع كله وتفتك براعيه .

ومن الغريب ترى رجالاً يتزعمون دولاً عظيمة ، وقيمون المؤتمرات ويتبادلون الأفكار ويطعنون بزعامة دول أخرى وهذه الدول لا تخلو : إما ضعيفة أو قوية ، عدوة أو صديقة ، أما الضعيفة فياويلها من تأمر القوية لالتهامها والعدوة الخصمة من افتراس ضعيفة أخرى ، وهيهات أن ترى بين الأقوياء أسداً يكفي باقتناص ما يسد به رمقه ويترك القطيع يسرح ويمرح ، كلا وألف كلاً فالنهم والجشع ديدنهم ، والظلم والطمع معدنهم ، ولو أوتوا ذرة من الشرف والانصاف لاكتفوا بسد حاجتهم ، ولو أنهم أصغوا لصرخات العقل ، لدبروا الأمر واتجهوا للبر والعطف والمنطق الإنساني وعلموا أنهم اخوة من أب وأم ، واتخذوا سبيل الألفة والسلام والوحدة والوئام ، وأحلوا الصفاء بدل العداء ، وأبدلوا نفقات التسليح بما يعود عليهم وعلى أبناء جلدتهم بالصلاح ، ومد البعض للبعض الآخر يد المحبة والوفاء وأحسنوا العشرة وأقاموا الحسنة مكان السيئة وكيفوا أنفسهم تحت إدارة دولة واحدة عالمية حكيمة ، ذات مبدأ واحد وراية واحدة ، يتساوى فيها الأفراد والجماعات ، كل على قدر طاقته وعمله وصنعه وبالتالي حاجته ، وأصلحوا عوض المخاصمات ألفهم ، ووقوا أنفسهم من الجهل والأمراض والفقر والعوز .

ولكن ، هيهات فقد دلت التجارب أن ذلك لا يكون إلا بتدبير خارق
ويد رحمة إلهية تمده بكل الملكات المادية والمعنوية ، شأنه في إرسال من
أرسله في أخرجها للعلاج إسعافاً وبالوقاية انصافاً .

كما يصف ذلك الفقير الأمي في أخرج الأزمات الزمنية ، وأرسله من
أحط البيئات فقراً وجهلاً واعتداداً بالعادات والخرافات الجاهلية ، ليسط
قواعد العدالة الاجتماعية ، ولينير الشرق والغرب وينقذها من الانحطاط
الاجتماعي والخلقي بعثه ساعة عسرة ألمت بالعالم ، يوم بلغ الظلم بأبناء
البشر مبلغاً كان حقاً على الله إسعاف البشرية بمثله .

أما اليوم فالعالم على شرف هار وفي أخطر وأخرج عصر من عصور
البشرية ، أقل أسلحته كما قال سكرتير الأمم المتحدة سنة ١٩٨٠ الدكتور
كولد والدهايم ما يساوي مليون قنبلة ذرية موزعة بين فريقين متخاصمين كل
يعد الوقعة بالآخر ، وهذه الأديان السماوية جميعها تبشر بظهور مصلح مدير
قدير يسيطر على جميع قوى الأرض ويملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً
وجوراً ، وأحسب أن تلك أمنية لكل فرد من أفراد البشر أجمع حتى من شب
على المادية وأنكر الخالق المبدع للكائنات ، نعم بذلك وحدة ويتكونه دولة
عالمية مثلى تحت لواء واحد وشريعة سمحاء عادلة من قدرة خارقة لها
وحدها حد وحجز الأسلحة وصد عادية الطغاة المتبخترين ونجاة البشرية من
ويلاتها ، ذلك ما ترجو وتدعو الله بقرب فرجه قبل أن تقوم الطامة الكبرى
للحرب الثالثة التي لا تبقي ولا تذر ، وندعو بدعاء ذوي الأديان السماوية
المقرة بقدرة الله وخوارقه وهيمته ورحمته ووحدانته وصمديته داعين :

اللهم عجل بظهور ولي العصر المصلح واملاً الأرض به قسطاً وعدلاً
كما ملئت ظلماً وجوراً يا أرحم الراحمين . وليس معنى ذلك أننا وقد عرفنا
سبل الحق في شريعتنا من الكتاب والسنة الغراء أن نستسلم للباطل الضارب
أطنابه شرقاً وغرباً منتظرين صاحب الأمر للإصلاح .

لا أبداً فما لا يدرك كله لا يترك كله وهذه الآيات القرآنية الجمّة الآمرة

باتباع أوامر الله ونواهيه ، ومنها الآية ١٠٣ من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ صدق الله العلي العظيم ، وعلى المرء أن يسعى بمقدار جهده صدعاً لأمر الله وامثالاً له : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، والعاقبة للمتقين .

المقالة الثالثة

هل من مُصْلِحٍ عادل ؟

متى يظهر والبشرية في مظالم مستمرة؟ ما هي علامات وشروط ظهور المصلح ؟ كيف يراه ذوو الأديان ثم أهل الأديان ؟ .

حقيقة؟ أم خيال؟ أصبح أن هناك مُصْلِح يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟ كما يعنيه المبشر؟ والذي يتصفح تاريخ البشر يرى عجائب الظلم وغرائب منذ قامت قيامة البشر على الكرة الأرضية! ومنذ بدأ الإنسان يُسجل تاريخه ويذكر الوقائع الفردية والجماعية ! منها تلك التي حدثت بين الأفراد البشرية البربرية وحتى آكلة لحوم البشر وهي ربما كانت أقفلها ، وأشد منها العادات القبائلية للقتل والنهب والسلب والأسر ، وتغلب الأقوياء على الضعفاء ما تعد ذلك من قتل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال وأقفلها الأسر والغارة على ثرواتهم وسلبها . والظلم كلما توسع الإنسان في طموحه وطمعه أخص حينما قامت الدول في الشرق والغرب تحت قيادة فرد جبار فهو لا يكتفي بسلب أفراد أو عوائل أو قبائل ، بل يتعرض لشعب وأمة ودولة ، وبعد القتل استعباد الأرض وما فيها وأخذ من نساء أسارى عبيداً أرقاء بما فيهم من عالم وجاهل ومحترف . .

وتكفينا لمحة بسيطة إلى التاريخ القديم لعهود الفراعنة في مصر والآشوريين في العراق واليونان والقيصرية والأكاسرة وأباطرة الصين وغيرهم وما شادوه من حكومات وخلفوه من مبانٍ ضخمة كأهرامات مصر والآثار

الحجرية من أبنية وقصور رخامية في مصر ونيونى وتخت جمشيد للصين ، وروما وغيرها الدالة بزعمهم على عظمة حكوماتهم . بيد لو دققنا الواقع لوجدناها مظهراً من الأنانية والتجبر والكبرياء والغطرسة من أهواء أولئك الجبابة وإرضاء لشهواتهم وغرائثهم على كاهل الأسرى ، وإرهاق الأرقاء المستعبدين من أبناء البشر المأسور الذليل الكادح تحت نير الظلم حتى الموت ، وعندئذ تعرف . أتحسبها فضائل أم رذائل؟ ومفاخرة أم معايرة؟ حسنات أم سيئات؟ وسر ولا تقف في تصفحك للتاريخ حتى تدرك عصورنا الذهبية وأجلها هذا عصر النور وعصر الذرة . دققها وتصفحها ، استعباد الشعوب الضعيفة وتكالب القوة ، جنایات وجرائم ما قبل الحربين العالميتين وما بعدهما ، وما جرى خلالهما ، قتل الملايين في السلم وفي الحرب ، المذابح الهتلرية لليهود قبل الحرب وخلالها وما أحدثته الحرب في أوروبا وروسيا ، القنابل الذرية على المدن الآمنة في هيروشيما ونيازاكي وما وقع في كوريا وفيتنام ، واليوم وما يجري في أفغانستان وبولنده والقاء الفتن بين العراق وإيران وما تأن منه الشعوب من فقر وجهل ومرض ، كل هذه المظالم أين منها المصلح المرتقب ذلك الذي يجمع شعوب الأرض كافة تحت لواء واحد وراية واحدة وحكومة واحدة ، وعندها يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فأين هذا المرتقب العظيم؟ ومتى أوان ظهوره؟ أهل هناك شروط وحدود؟ وعلامات وشهود؟ عند إكمالها وقيامها يتم له الأمر وتحين الفرصة المرتقبة المؤملة؟ وهل انتظار ظهوره حدث مرتقب ورجاء وأمل للمظلومين والمنكوبين ، أم تنبؤ ومغيبات سماوية وضعت علائقها وكتبت معالمها ، أم هي من الضروريات الطبيعية ومكملات فطرية ، أم له حساب عند ذوي العلم والحكمة كما لو اجتمعت بعض العناصر الكيماوية مع بعضها فلا بد أن يكون نتيجة تفاعلها كذا مثل مزج حامض الليمون مع كربونات الصوديوم فلا بد من حصول مركبات جديدة منها سترات الصوديوم ، أم يمكن الوقوف على تلك الحقيقة من استعراض كل ما ذكرناه وأنها لا بد وأن تأتي طبيعياً بظهور مصلح يوحد قوى الأرض تحت لواء واحد ودولة واحدة ، وهل آن الأوان؟ لهذا علينا أن نستعرض هذه الفكرة من كل

وجوهها ، وكيف استغلها بعض الانتهازيون لأغراض شخصية وسياسية
ونفسية وما حصل من ذلك . . .

ثم البحث عن هذه الحقيقة وهل تصدق الأيام ، وكيف وضعت الأديان
السماوية علامات ظهور مثل هذا المصلح؟ وكيف بعد كل هذا نستطيع أن
نتقبل هذا علمياً ونقتنع به وما هي الضرورة لذلك؟ .

لقد بحثت في كتابي « الحكومة العالمية المثلى » عن توفر الشروط في
هذا العصر لقيام حكومة عالمية مثلى واحدة تضم الشرق والغرب تحت لواء
واحد وسأبحث إمكان ذلك وشروطه التي توفرت في هذا العصر أو غيره .
وضرورة ذلك ، وكيف يجب أن تقوم وتشكل لتستأصل الظلم وتحل محله
العدالة .

البشارة بظهور المصلح :

١ - أبدأ بما تنبأ به وبشر الأنبياء والمرسلون لقيام مثل هذه الدولة
الصالحة وكشف عن علائم ظهورها وشروط قيامها .

٢ - وكيف يترقبه المضطهدون من البشر .

٣ - ما استغله الانتهازيون من سياسيين ومنافقين ذوي الغايات
الخاصة للاستفادات المادية والزمنية .

٤ - الحقائق المتوفرة لتشكيل مثل هذه الدولة مصدقين تنبؤ أهل
الأديان السماوية .

٥ - المبنى العلمي الطبيعي والاجتماعي لضرورة وحصول مثل تلك
الدولة .

التنبؤات حول ظهور المصلح :

أولاً - تنبؤات ذوي الأديان السماوية ، من أنبياء ورسل وأولياء من
الدين اليهودي والمسيحي وأخيراً الإسلام . وهذه كتبهم وبياناتهم طافحة

بقيام ذلك المصلح القدير الذي سوف يهيمن على حكومات الأرض ، وتلك الحكومات القهارة المتنايزة الجائرة ، التي خلقت على وجه الأرض للأكثرية المضطهدة جحيماً ورعباً وإرهاباً وفتناً وحروباً ، أفضت مضجع الجميع متنافسة حتى تبلغ لحد تشعل نيراناً وتضرمها فتكون هي وعدوتها كلاهما حطاماً في أتونها لا ترى لها مخلصاً ولا ملجأ . وكفينا تصفح الحروب في التاريخ القديم والحديث وما نحن عليه الآن من خوف ورعب من هذه الأسلحة الجديدة المدمرة الفتاكة من ذرية وغير ذرية ، التي أعدها كلٌ لخصمه والوسائل الجبارة من طائرات وغواصات وصواريخ وأقمار وسيارات وأدمغة الكترونية وغيرها. كل هذه المعدات لمن؟ نعم ليقض البشر بنفسه على نفسه ويفتك بها رغم ما بلغ من العلوم والمخترعات التي قربت البعيد وسهلت العسير وما أحدثه العلم من معاجز ، كلها وكلها اليوم وضعت في الجهة المعاكسة الضارة وكلها بحاجة لمصلح قدير مهيم يوحّد شتاتها ويدفعها طوعاً وإلاً كرهاً إلى حياة الألفة والمحبة والعطف والحنان والوحدة ، وينزع منها تلك الغطرسة والأنانيات والخداع والنفاق والحرص والعجشع ويكون منها أعضاء وأجهزة تخدم بعضها بعضاً بدافع المصلحة العامة كالتي تقوم بين حجيرات وأنسجة وأعضاء البدن الواحد في الجسم الإنساني . . .

البشارات :

وقد بشر بقيام المصلح أنبياء بني إسرائيل كما تنبأ بذلك رسل المسيحيين ومنها ما ورد في كتاب « بشارة » من مواضيع وذكره فيها ما ورد في الأناجيل والمزامير من استئصال الجريمة وقيام دولة إلفة على وجه الأرض وقلب الجحيم نعيماً في (لوقا ١٢ : ٢٧) و (٤ و ٨ اشعيا) و (أعمال ١٤ : ١٥ و ١٧) وما ذكره الكتاب المقدس وتنبؤه عن توفر المسكن والأعمال والأطعمة ورفع الحواجز العرقية واستئصال الجريمة ، وإبطال الحرب وإزالة المرض وحتى الشيوخوخة والموت ، وبالتالي إدارة الأرض بالبر ، وما جاء في الرؤيا (٢ : ٦ ، ٢٠ : ٤) أن يسوع لمحاته أعظم من داود بكثير ، سيخرج العالم الشرير ثم يحكم أعظم وأحكم بكثير

من سليمان وسيملك بسلام ألف سنة) ، (لوقا ٢٤ : ٢٥ - ٢٧) ومتى (٢ : ٤ - ٩) و (يوحنا ١٨ : ٣٦ و ٣٧ و ١٩ : ١٩) وأيضاً (لوقا ٢١ : ١٠ و ١١ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨) و (مرقس ١٣ : ١٠) و (دانيال ٢ : ٤٤ و ٤٥) و (اشعيا ٢٦ : ٢٠ و ٢١ و ٩ : ٧) وما جاء عن (يوحنا ١٨ : ٣٦ و ٣٧ و ١٩ : ١٩) ، وهي جميعها تنبئ بظهور المسيح وإقامة دولة واحدة تسيطر على كافة الأرض ويبدل النزاع والسؤام إلى الفة وسلام .

وأما ما ورد في الإسلام عن قيام دولة الحق والعدل فهو كثير وكثير وانه إذا ما ظهر المصلح المنتظر فإنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وأن ذلك أمر حتمي .

علائم الظهور عند الإسلام :

ويسبق ظهوره علامات كانت بنظر القراء عسيرة قبل اكتشاف الكهرباء والوسائل الحديثة من قطارات وسيارات وطائرات وغيره ، ومنها تقارب المسافات ، وروي أن « عند ظهوره وتحديثه يشاهده ويسمعه الجميع كما يثبت ذلك اليوم بالراديو والتلفزيون ويتزيًا الرجال بزي النساء والنساء بزي الرجال ، وظهور الدجال (الكذاب) ومن أين يبدأ ظهوره وكيف يقاوم؟ وبمن يبدأ بالقضاء عليهم؟ وفي مقدمتهم المتشبهون بذوي الدين المنافقون بأزياء مصطنعة وهم أول من يكذبونه ويقاومونه .

المصادر :

وهناك كتب عديدة تضم أحاديث نبوية عند كافة الفرق الإسلامية الشيعة والسنة ، وهم ينسبون المصلح المنتظر إلى حفيد من أحفاد رسول الله محمد (ص) من سلالة علي (ع) وزوجته فاطمة الزهراء (ع) وتختلف المذاهب الشيعية عن السنة أن المصلح هو الإمام الثاني عشر من سلالة علي أمير المؤمنين وأنه حي منذ القرن الثالث الهجري وفي غيبة وبانتظار الوقت الموعود بينما يقول بعض السنة من نفس السلالة بيد لا يشترطون أنه حي وقائم ، بل يولد لوقته ويرد في الأخبار ظهور السيد المسيح واشترائه

معه في الإصلاح ، وهنا تفاصيل في مصادر كثيرة أذكر منها المجلد الثالث عشر من بحار الأنوار للعلامة المجلسي يفصل فيها مشخصات المصلح وعلامات ظهوره المسبقة ، وبعدها الأعمال الإصلاحية التي يقوم بها للمجموعات البشرية تحت لواء واحد ، وكيف يحقق الخبر المختصر « إذا ظهر المهدي المنتظر ملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » ، وكيف يقوم السلام والوثام محل الحروب والخصام وكيف تشمل السعادة كافة الطبقات البشرية ، هناك تقام حقيقة وتثبت الحقوق البشرية ، وتنتهي دول الطغاة المستبدين بالضعفاء وعندها لا مكر ولا خداع ولا نفاق ولا قسر ولا تجاوز ، وهناك المساواة والبر والإحسان تلك الأمنيات البشرية وفيها القضاء على الفقر والجهل والأمراض البدنية والنفسية والاجتماعية ، وفي هذا نرى التقدم الطبي والصحي والاقتصادي والزراعي والصيدلاني وغيرها من العلوم ، ومن المصادر ما ذكره الفقيه المحقق والقانوني الضليع الأستاذ محمد جواد مغنية في كتابه (علي بين العقل والقرآن ص ٢٢) ، قال :

جاء في كتاب الشجرة المباركة ، كما جاء في المجلد الثاني عشر من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي عن النبي محمد وأهل بيته (ص) .

« لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة ولا يظلم أحد ولا يخاف شيء من شيء ولا يُراق محجمه دم ، وحتى تستوي الأرزاق بين الناس ، ويقتسمون بالسوية ويكون الجميع على أحسن حال ، وفي أمن وأمان ، ويرعى الذئب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالوحوش والسباع ، وتزيد الخيرات حتى تصبح كالتراب ، فإذا سافر مسافر إلى مكان بعيد لا يصحب معه زاداً أو مالاً ، فالسما تنزل بركاتها ، والأرض تخرج كنوزها وطيباتها ، ويستغني الفقير ولا يعلو بعض الناس على بعض ، وتنزع الحمة من الهوام البرغش والذباب والسم من الحشرات » أقول : يظهر ان كل ذلك يتم بالعلم والحكمة التي تشمل البشر آنذاك تحت سلطة حكومة عالمية واحدة مثلى ، تحت قيادة حكيمة عادلة تقيم الأصول الاجتماعية بالمساواة والرأفة والبر والإحسان والمنطق السليم . ونشر العلوم والفنون والمعارف .

الكذابون الانتهازيون قبل الأوان :

ولقد قام أفراد انتهازيون قبل الأوان قبل توفر الشروط التي مرّ ذكر بعضها والشروط العلمية التي سوف نردها فيما بعد .

قام هؤلاء بدعوى كاذبة إما بتحريض سياسات دول خارجية بقصد بليلة في الأفكار وخلق فتن تبعث بالأمة الواحدة إلى التفرقة والضعف بغية التغلب عليها ، فإما كانت هذه الدول هي المحرض الأول، أو وجدوا في أفراد هذه الروح الانتهازية فمدوهم بالعون المادي والمعنوي لخلق ما ذكرناه من مشاكل عقائدية ومذهبية جديدة ومنها البابية والبهائية في إيران، والمتمهدية في السودان ، وعلى هذا الطراز قامت القاديانية في الهند ، والقصد منها الانقسام والتفرقة في المذاهب والأديان، وقد سبقتها في أوروبا ما فعله الانتهازيون للتفرقة الدينية على الكنيسة وظهور الفرق البروتستانتية على الكاثوليك بيد هذه تختلف عن تلك في القصد والمرام، ونحن اليوم نعود لنمحص الواقع وتعرف الحقائق على حد قول الإمام علي بن أبي طالب في أحد حكمه : «إذا اشتبهت عليكم الأمور فانظروا إلى نتائجها» . وعندها نعود ونرى في هذه الفرق التي ادعت المهدوية والإصلاح هل حققت ذلك وهذا خير ميزان نأخذها من نتائجها وإذا تركنا التعصب الأعمى لوجدناها كلها فاشلة، كلها لم تأتِ بالإصلاح المنتظر قد خلفت المشاكل وفرقت الجماعة وأضعفت الشعوب فجعلتها لقمة سائغة للمستعمرين وعونا لهم ...

الأصول العلمية المؤيدة لضرورة قيام مصلح ، وبعدها دولة عالمية مثلى :

كانت المخاصمات والحروب تقوم في الماضي بَعْدَ وَعُدِّ تختلف عما تقوم به اليوم . إذ كانت وسائل القتال قبل خمسمائة سنة تختصر على السيف والرمح وأنواع الأسلحة الباردة ، وتنتهي في ساحة القتال بالقتل والنهب وإن تجاوزت تجاوزت إلى مناطق محدودة من مدن ومقاطعات ثم ازداد الوعي والعلم وتبدلت وسائل الحرب بأسلحة فنية من بندقية ومدافع

وسيارات ودبابات في البر ، وطائرات في الجو ، وسفن بخارية وغواصات في البحر ، بيد أنها تكاد تكون محدودة في ساحات الحروب وما جاورها ، ومتى سلم أحد الخصمين انتهت الحرب ، واستمر تقدم العلوم ، فكشفت عن القنابل الذرية والاشعاعات المختلفة والصواريخ عابرة القارات والأدمغة الالكترونية هذه إلى الحروب الكيماوية والحيوية والوسائل الفيزيكية ، والوسائل الأخرى التي تستهدف لا فقط محلات الجيوش بل لا تأمنها المدن الآمنة والمؤسسات القرية والبعيدة وتلوث المياه والهواء والقضاء المبرم الجماعي كل على خصمه ، هذا إلى توسع العلوم الاجتماعية والنفسية والسياسية وأصبحت الأرض على وسعتها تدورها الأقمار الصناعية واليوم سيارات الفضاء أقل من يوم من الشرق للغرب ومن الغرب إلى الشرق ، وترى بالعين كل مناطقها وتحدد كل ساحاتها الآهلة وغير الآهلة ، وهذه الأسلحة الفتاكة التي لا تعد ولا تحصى ، وربما أقلها تلك التي صرح عنها الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور والدهايم أن القنابل الذرية اليوم تجاوزت المليون ، فلمن هذه المدمرات وهل هناك من ينجو من هذه الحرب إن شب أوارها ؟ فإن لم تصبها مباشرة تعمّها غازاتها وإشعاعاتها ولم ينج منها ذو حياة ويعرف كل مصائبها العلماء الواقفون على حقائقها ، وكل يعرف بما أوتي من عقل وإدراك كم هي الفاجعة والنكبة فادحة وعامة . وما هي الفائدة من تدمير الواحد للآخر وما هي الغاية بعد هذا الفناء ؟ وأي مفخرة وهدف وريح من قضاء يشمل الجميع وما يخلف وراءه هذه المخاطر تهز الأبواب وتدفع بذوي القيادة لدقة أشد وعياً وحيطة وتقارباً وإحساساً بالضرورة إلى الألفة عوض الفرقة ، والسلام عوض الخصام والتفاهم عوض التنافر والتشاؤم . إن ما يحصل من التدمير والخسائر المادية والمعنوية فالحساب أثبت أن ما يعرض للحرب من الجانبين كالألوج في جهنم تحرق الأخضر واليابس ، فإن أقل من هذا الصرف لو صرف للسلام وسد العوز وإصلاح ذات البين ونشر المعارف وتحقيق نشر وإقامة حقوق البشر لساد النعيم للجميع بلا استثناء . ولو اصبحت في الأرض دولة واحدة تنظر بعين المصلحة لكل أفراد البشر وكل الطبقات بدون حساب ، وتميز عنصري

وجنسي ولغوي ومنطقي وأعطت كل ذي حق حقه للحياة دون ميزة إلا في درجة العلم والعمل المجدي وروح البذل وتقديم الخدمات الإنسانية والتضحية مقرونة بنشر الإلفة والمحبة والبر والإحسان والأخلاق الفاضلة ، والحد من الرذائل والسلوك المنطقي الحكمي وتلك يقرها العقل البشري والمنطق السليم ، وهذا ما يدركه اليوم زعماء البشر رغبة ورهبة .

توفر الشروط لقيام دولة واحدة عالمية :

كنت ذكرت في كتابي الحكومة العالمية المثلى إن من دواعي الغبطة والبهجة هو تقارب الأبعاد في نشر الأخبار وتلقيها وانتقال الأفراد والجماعات خلال سويحات من أقصى هذه الكرة الأرضية لأقصاها وتقدم العلوم ، فقد كان الماضي من المستحيل أن ينتقل فرد من بلد إلى بلد آخر سواء في البر أو البحر إلا على ظهر باخرة شراعية مع ما يتحملة من مخاطر ولو واثتها الظروف الطبيعية لكان لزاماً أن تخترق المسافة بين أوروبا وأمريكا شهوراً وأطول مدة من غرب أمريكا إلى آسيا أي اختراق المحيط الهادئ من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، ولم يكن البر على ظهر الخيل والجمال بأقرب مدة ذلك رغم ما يتحملة الأفراد والجماعات من المخاطر الطبيعية وغير الطبيعية . ولم تكن وصول الأخبار وارتباط الصلة الفكرية إلا شعبة من هذه الجماعة ، أما اليوم فالمخابرات السلكية واللاسلكية والراديو والتلفزيون في نقل الحوادث والأخبار ووسائل النقل والانتقال بالطائرات السابقة لسرعة الصوت والأقمار الصناعية وتعميم المعارف والعلوم تلك جهزت الأفكار والأبدان وبلغت من الحس والإدراك في الحل والربط وهيأت للهيكل الإنساني بهذا العصر هيكلاً يمثل الجسم الإنساني في نفوسه وأجهزته ومصالحه ، فمجموعة حجيرات البدن الإنساني ومراكز الحس والحركة والمصالح المشتركة نجدها تتعاون مع بعضها لمصالح مشتركة من وصل ضروريات للبدن الإنساني قائمة دائبة كل جهة لخدمة الجهة ومصالح الجهة الأخرى بالدرجة التي تخدم بها نفسها لنقل الضروريات والكماليات ورتق وفتق ما لها وما عليها والدفاع والهجوم بروح وإحساس واحد من

الأخبار الشعورية واللاشعورية بصدق وإخلاص ، كما تكون التضحية الغذائية الضرورية والوقائية بين أفراد هذا البدن كوظيفة تسييرها المراكز الخاصة للبدن في اليقظة والمنام دائبة دون وقفة ، ما داهمتها أعداء عضوية أو غير عضوية ، مادية أو معنوية ، هيئت دفاعاً بادئ من مراكز الحس ونشر النفير العام بسرعة البرق للتأهب والقيام بالواجب على قدر الضرورة ، وترى سرعة وصول الامدادات الغذائية والدوائية والوقائية المادية والمعنوية على أشدها ، لبلوغ المركز والمنطقة المحمولة له والأنباء صارمة في الصدور والورود والخدمة صادقة وظيفية لا تحميلية وهذا التشابك في التعاون وهذا التماسك الجاري للبدن الإنساني الممتاز على بقية الأحياء بمناطق الفكر والإرادة والعقل والحافظة القابلة للتوسع فهو أبرزها للمجتمع الإنساني الذي يجب الاقتداء بمادياته ومعنوياته من وضع هذه المساواة والعون المتبادل بين أفرادهم وجماعاته حذو النعل بالنعل كما هو بين أفراد وجماعات الحجيرات والأنسجة ومراقبة الحس للبدن العمل على مثلتها في المجتمع الإنساني للربط بين أفرادهم وجماعاتهم ومراكز الحس والحركة والأجهزة الأولى وربطها بالمصالح الضرورية من احتياجات ومعالجة ووقاية وكلما يحتاجه لإدامة الحياة السعيدة من موارد مادية ومعنوية بصورة عادلة ، وتجد المساواة كوظيفة لا يتقاعد الواحد عن الآخر وللجماعات بالنسبة لبعضها أو الأفراد ، وكما أن تقاعس حجيرة أو عضو أو جهاز في البدن الإنساني يضرب به وبقاى الحجيرات والأجهزة ويكون مرضاً تهتم له كافة طاقات البدن لإصلاحه كي يصلح البدن كله ، هكذا يجب معاملة الأفراد والجماعات في كافة مجموعة البشر على وجه هذه البسيطة على حد قول الشاعر :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

بل هي واقعية ، وهذه الأديان السماوية الفطرية القائمة على منهج الدين الحنيف لشيخ الرسل إبراهيم الخليل (ع) تسري على نهجه طبق النعل بالنعل كافة الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والمسلمة عليها الارتباط في العقيدة والخدمة الصارمة الطبيعية على شاكلة الحياة الطبيعية في

جهاز.البدن الإنساني ، حيث توفرت كل الوسائل والسبل من التقارب والقدرة العلمية في هذا العصر لخدمة البشر ومد الأفراد والجماعات البشرية على نفس المساواة للبدن الإنساني وهذه المساواة طبعاً نسبية ، قال : يجب أن يعيش لخدمة نفسه والمجموع . بيد أن هناك فرقاً تحكمها العدالة الاجتماعية والطبيعية في البدنين البدن الإنساني والبدن البشري ، إذ ترى أن حجيرات مختلفة في البدن الإنساني كحجيرات المخ والمخيخ وحجيرات الكبد وحجيرات القلب وحجيرات الكليتين ، وحجيرات الغدد الصمام وحجيرات الأعصاب وعضلات الحس والحركة وحجيرات البشرة ، وهكذا . . وكل منها تخدم نفسها والجميع بيد يختلف مركزها ونوع غذائها وحراستها والدفاع عنها بالنسبة لأهميتها ومقامها بطرز تغذيتها وما يليق بها ، تختلف أمداً للبقاء والحياة فحجيرات المخ ربما كان دوامها بلغ مدى الحياة البشرية في مركزها الشامخ المحاط والمحفوظ بأمنع الأنسجة الوقائية من أنسجة وألياف وحجيرات شحمية وأنسجة صلبة عظمية ، وطبقات سميكة من الجلد وأقل منها مركز القلب ثم الكلية وأقلها الجلد والتي حجيرات أقل أمداً وأشد تعرضاً للعوارض بيد الاهتمام وبلوغ الغذاء يشمل الجميع بالنسبة له على حد سواء على قدر دوامه وخدمته .

لقد آن الأوان للمجتمع الإنساني في كافة أنحاء المعمورة أن يتمتع بالمساواة والخدمة الصادقة أينما كان مع المحافظة على كل في مركزه سعيداً مع العلم أن البدن الإنساني كما يحتاج لبشرة سالمة تكون أول مانع له وسوراً لوقايته وما يحتاجه إلى أجهزة وضرورة المحافظة على كل منها يجب العمل الدائب للحفاظ وظيفياً على كافة أفراد وجماعات المجتمع الإنساني . وقد آن الأوان للمجتمع الإنساني أن يقاس كوحدة ويشعر بذلك ويحافظ كمركز واحد أمين على شؤونه، يحافظ على بقية مراكزه، وأن تكون بقية المراكز والأفراد طوعاً في خدمة الكل ولها جميعاً قياده وإحساس وشعور ومصالح متحدة ضمناً لسعادته وحياته الرغبة .

المقالة الرابعة

ما هي أعظم بشارة يمكن أن يبشر بها العالم البشري؟

لنجيب على السؤال ، لا بد لنا أن نتصفح آمنيات هذا البشر ، وما يتوق إليه من الحياة السعيدة وما يخشاه ويتوقاه وما يقاسيه من الاضطرابات الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية فرداً وجماعةً ، وما يخشاه من مجابهات الدول العظمى في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وما يقض مضجعه خوفاً ورعباً من تسابق الدول للتسلح وإعداد العدة لأهول الأسلحة الفتاكة من ذرية وشعاعية وكيمياوية وفيزيائية وحيوية مكروبية وغيرها ، بغية تدمير الواحدة للأخرى أنانية لكسب الحرب والقضاء المبرم على الخصم دون رحمة ولا هوادة ، ودون أن تترك قوة على الحياد تستطيع الفصل بينهما ، لها ذلك النفوذ والقدرة وسمعة الكلمة والشكيمة . والقول الفصل يطأطئ لها الأطراف اطاعة رهبة أو رغبة أو إجلالاً واحتراماً .

تلك الدول العظمى المتكاملة والمعتدة كل بشكيمتها وعدتها وعددها وتفوقها العلمي والعملية الغاصبة الجشعة المتطاولة الكائنة على مد نفوذها للغصب والسلب والاستحواذ على الضعيفة بما لديها من قوى مادية ومعنوية لا يمنعها ضمير ولا وجدان ولا عقيدة صادقة بدين منذر بعقوبة دنيوية أو أخروية . كل دولة يقودها أفراد يشار إليهم بالبنان . إنهم دهاة السياسة والإدارة والفكر الثاقب موسومون بالحنكة والبصيرة والحقيقة خلاف ذلك ، الفرقان/ ٤٤ : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْبَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَمْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ

بل هم أضل سبيلاً ، فالعقل والحكمة تأبى النفاق والخداع والمكر والأنانية والجشع والظلم والغصب والتجاوز باسم العدالة والحقوق البشرية ، وتطبيق قوانين وضعوها وأداروها حيث تدور مصالحهم الشخصية لا المصالح الإنسانية والبشرية ، ولا القوانين الطبيعية ومكارم الأخلاق . (الدين لعق على ألسنتهم يديرونه حيثما دارت معائشهم) إن كان لهم دين يتكلمون به متخذين أي وسيلة وخروج على روح الرحمة والرفق والعدالة الاجتماعية ، مهما بلغت من الرذيلة والخسة والحطة لبلوغ مآربهم الدنية البشعة المزرية ، ودوماً يلبسون أعمالهم وجنایاتهم أجمل البراقع وينسبون لأنفسهم الفضيلة ولرذائلهم كل المبررات مهما جاءت وضیعة وينسبون لأعدائهم كل خسة وإن كانوا بريئين منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولا تهمهم الفضیحة وكشف الحقائق طالما تسندهم القوة ويدهم مقاليد الأمور ، ولو سألتهم عن قصف المدنيين الأمنین في هيروشيما ونيازاكي وأفغانستان وويتنام وغيرها وحرق النساء والأطفال والشيوخ واليهود في ألمانيا النازية وسحق السكان الأمنین لبولندا في العهد الهتلري لقدموا لك الأعذار وإلى جانبها أفواه المدافع والمدمرات وقالوا : وآية السيف تمحو آية القلم ، ولو سألتهم ما ذنب فجائع الحرب التي يقاسيها البشر في الحروب القائمة في جنوب افريقيا وشمالها ووسطها وما يقاسيها البشر المتعوس في آسيا وما هي هذه الأسلحة المشحونة للعالم قهراً ، قالوا : تجارة حرة ومثلها المخدرات والسكرات وكل المخربات البشرية قالوا : الحرية تقضي بذلك .

وما تراه من الفتن في الشرق الأقصى والأوسط ، وخلق بؤرة انتائية باسم إسرائيل في فلسطين ، وخلق الفتن والخصوم لمحض سلب ثرواتهم المعدنية وبيع فضلات أسلحتهم تقتل الأبرياء وخلق الذعر والخوف وتحطيم المعارف الإنسانية وسحق الحريات بما فيها من حريات فكرية وبدنية ومالية وغيرها وإقامة حكومات دكتاتورية بيد أفراد ذوي هياكل آدمية وقلوب الضواري الكاسرة لا يحسون بتأنيب الضمير ووخز الوجدان مثل أسيادهم جانبوا العقل السليم والرأي الحكيم . فاین هي حقوق البشر؟ .

وهناك في الغرب الغرابة في أقصى أنواع الضراوة والدعايات الفاضحة من الطعن والشتم والنكابة والدسيسة والخداع والمكر بين زعماء يمثلون شعوبهم يقودونهم إلى الهاوية ، لأجل الحروب المدمرة والمخربة ، وجميعاً يقولون ما لا يفعلون ويفعلون خلاف ما يقولون بقلوب مشحونة بالحقن والبغضاء والهمجية والكبرياء ، كل يدعو عدوه لوقف التسليح لجانب واحد فقط وكل يعرف الخديعة ويحاول إطلاع ذلك على خصمه ، كتب كلاهما وحادوا عن الصدق والصداقة وكيف ذلك وهم يفقدونها؟ هكذا عُلِّمُوا وُدِّرُوا ماديين بعيدين عن المعنوية ، عن اليقين وعن الصدق وعن المحبة وعن الله وعن دينه ، عن الفضيلة السماوية ، عن الدعوة الإلهية عن الإيمان بحساب الله ونظمه وكتبه ورسله عن العقل الواعي والضمير الإنساني الرشيد .

هذه الموبقات، هذا التكالب ، هذا الإنجراف إلى الحضيض ، إلى الدمار ، هذه الدول المتميزة المتناحرة ، والطبقات المتباينة المتناهية في الترف والتبذير والبطر والأخرى المتداعية في الفقر والعوز ، واليوم يكاد الكل يعلم الحقائق ، ويدرك المصير الذي ينقاد له مصير هذا البشر ، والهاوية التي ينجرف إليها ، ذلك الذي ينخر في قلوب العقلاء والحكماء ويرسلون الصرخات الداوية في الصحافة الحرة للدعوة إلى السلام ، إلى حقوق البشر ، وكأن صرختهم في واد ودعواتهم لا تعني البلاد والعباد ، كأنهم يدعون وحوشاً ضارية ، أو هياكل من الضمير عارية .

هؤلاء المستغيثون من البلاء هؤلاء المتعطشون لرحمة السماء! إذا : ما هي أعظم بشارة يمكن أن يشرُّوا بها؟

أليست البشارة بظهور المصلح الأكبر الذي يملأ الأرض قسطاً ومساواة وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وقسراً وجوراً؟ مصلح يقبض على قوى الأرض ومقاليد بني البشر ، ويسير رغم الغواة المترفين والأوباش المستهترين ، رغم العناصر الجامحة عن الحق والمنطق والمنحرفة في تيار الشهوات ، هذه القلة الحاكمة الخارجة عن الأصول الإنسانية والآراء السليمة . هذه القلة التي هي علة العلل في استمرار الفساد وغواية العباد وشقاء البلاد ، الغير الآبهة لما

يقاسيه البشر المنكود على هذا الكوكب السيار الذي ملأه الله بخيراته ومبراته فأحالت هذه الطغمة الحاكمة ديارها خراب ونعيمها تباب ، تكبّل أحرارها ، ونفسي أشرارها ، وتغيّر أطوارها ، وتزيد أضرارها لتستغل خيراتها الوافرة ، وجناتها العاطرة ، رغم ما تشعر وتحس به من ضيم وظلم جسيم ورزء وخيم ، تزجها في لظاها وتتمادى في أذاها بزعم بقاء سيادتها قائمة وسطوتها دائمة ، كأنها تتلذذ بشقاء أبناء جلدتها وتهتز اعتزازاً بتذليل أقران ندوتها ونظائر جلدتها وصنو إحساساتها وفكرتها الحاملة لمشاعرها ونزعها .

فما أعظم بشارة يمكن أن يبشر بها الأكثرية المحرومين ! والغالبية المضطهدين سوى التخلص من أولئك الجبابرة القساة المنافقين ، وقيام حكم العدل الطبيعي والمساواة الفطرية والبر والإحسان بيد أعلم وأتقى وأبر وأرقى من الكل . هذا الذي اختاره الله خليفة على أرضه ينشر السلام والأمان ، ويقضي على الظلم والحرمان ، ويقم المساواة في الحقوق الاجتماعية الفائقة والأخلاق الإنسانية الشائقة فلا مترف متجبر أو مسرف مستهتر ولا معدم بئيس أو مظلوم تعيس .

فمن هو ذلك المنقذ المأمول والعدل المقبول؟

من هو ذلك الإنسان الأكمل والحكيم الأمثل والزعيم الأعدل؟ أهو حقاً آية من مبدع الخليفة ومعجزة من معجزاته الأنيفة تلك التي بشر بها الرسل في التوراة والزبور والإنجيل ، وختمه القرآن بالوحي والتنزيل في سورة الأنبياء الآية ١٠٥ : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

وقد مرّ وذكرنا ما ورد في الكتب المقدسة وما ورد في كتاب البشارة من العهد القديم والجديد ، وما ذكرناه عن الكتب الإسلامية وما تبشر به اليوم كافة الأديان السماوية المارة الذكر بقرب ظهور ذلك المصلح ، ذلك ما تقول فيه الأخبار عن الأديان السماوية .

وهناك ما تحكم به الفطرة والطبيعة والحياة الاجتماعية حيث قيل

الحاجة أم الاختراع ، وإن حكم النشوء والارتقاء يدعو لبلوغ الارتقاء . وإدراك يوم تضع فيه القوانين الطبيعية بحكم قوانينها بما تحمله من التكامل سداً يقيها عادية هذه الحروب والأمراض الاجتماعية كما نجده من قيام البدن لمجابهة الأمراض والمكروبات المهاجمة من تشكيل عناصر مدافعة وواقية ، لصيانة وحفظ البدن والتغلب على الأعداء والأوباء المهاجمة ، حتى إذا بلغ السيل الزبا وتغلبت العوامل الداخلية المدافعة على العاديات أقامت هذه الحروب أجهزة البدن وأقعدتها وأنهكتها صرعت عوامل الخير المدافعة عوامل الشر القائمة والمهاجمة عليها ، وبدأ دور النقاهة للبدن وعادت له الصحة والسلامة . هدأت القوة التي أقامت البدن وأقعدته وأنهكت قواه استجد بالترميم والإصلاح والهدوء والسكينة وتوزيع قوى البدن إلى ما فيه خيره وصلاحه ، واستعاد الجسم سكينته والروح قرارها وهكذا الاجتماع ، وهذه الأمراض الاجتماعية بلغت فيه بلوغ السيل الزبا، والظلم والنفاق أقصاه بينما ترى علائم الوحي العام والتكامل العلمي من كل نواحيه المادية والمعنوية على أهبة للدفاع ، وكل التنبؤات بل قل كل العوامل لظهور مصلح حكيم حازم فريد وجهه من أفراد عالمه ، واعية مريدة مليئة وأجهزة جامعة تسهل الحركة الإصلاحية مساهمة ، من كلما يقرب البعيد ويسهل الشديد ويخضع العنيد والزعة للخلاص والنجاة واليقظة لدعوة الحق بعد السبات والاتحاد بعد الشتات بارزة . فمن هو هذا الجامع للشمل المتأهب للحمل والصراع للأمر والمتحفز بعد السر للجهر . ليفك أكبالها ويزيل أثقالها ويحطم أغلالها ويصعق الظلوم ويسعف المظلوم .

هل تكاملت الشروط لقيام الدولة العالمية المثلى :

دولة الحق تحت راية واحدة ، تضم الشرق والغرب والشمال والجنوب ، بقيادة واحدة وشمل واحد وعقيدة واحدة ، تسلك الصراط المستقيم وتطبق نظم الكون الفطرية يحدوها الإيمان والعقيدة الراسخة بوحدة الله وصمدانيته وهيئته وكماله ، وانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يغرب عنه السر وأخفى ، المحيط المبدع البر ، قاصم الجبارين

ومبيد الظالمين ومدرك الهارين وصريخ المستصرخين وموضع حاجات الطالبين ، مالك يوم الدين يوم الرجعة يوم الدينونة يوم الحساب يوم الجزاء ، الطالب لعباده اليسر والمبعد عنهم العسر ، الذي هدانا وأثار سبلنا بالعقل والهداية وطرق الحق والصواب .

فهل تكاملت الشروط لقيام الدولة العالمية المثلى؟ وما هي هذه الشروط؟ ولقد مرّ وذكرت في كتابي الحكومة العالمية المثلى من توفر الشروط في هذا العهد الذي لم يسبقه عهد مماثل يمكن فيه مثل هذه الدولة وجمع شمله تحت لواء واحد ، لما يحتاجه من السيطرة والاحاطة في أية لحظة للإشراف على أية رقعة وبقعة وفرد وجماعة ، ودخول وخروج وانسجام أو انحراف عن سنن الكون القائمة ونواميسه الدائمة ، فلم يميز على البشر عهد كعهده هذا من توفر كل الوسائل التي تحيل البعيد قريب وتبت بلحظة في حل كل عصب .

عوامل الفساد :

إن أهم علة لشقاء البشر هي اختلاف الدول واختلاف العقائد واختلاف الأحزاب ، والمنابزات القومية والعقائدية والأنانيات الفردية والجماعية وعدم رعاية الأصول الإنسانية ونبذ الخلق الرفيعة واتباع الرذيلة والابتعاد عن الفضيلة ، فاختلاف الدول واعتداد كل منها بشعبها دون الشعوب الأخرى بل محاولة رفع مكانتها والحط من الأخرى بكرامتها بما أوتيت من قوة مادية ومعنوية وفي هذا ما يؤدي إلى التناحر والمشاحنات والعداء ويذل كل منها من طاقاتها المادية والمعنوية لدرء الاخطار الأخرى من جهة وإحباط أعمالها ، وتهيئة العدة والعدد وقاية ودفاعاً ، وما في ذلك من بذل جهود عبثاً فيما هي في غنى عنه لو كانت مع الأخرى في وفاق وأعظم من ذلك لو كانت الواحدة تساند الأخرى ومثل ذلك اختلاف العقائد الفاسدة والأغراض الشخصية الخاصة ، وما تجره من بذل جهود وطاقات دون جدوى تذهب هباءً أكثرها مخربة ومدمرة ومسيئة عوض أن تكون محسنة وسبباً للشقاء والتعاسة عوض بذلها للهناء والسعادة ، هذه النفوس وهذه الأغراض

المبذولة لتدمير الواحدة للأخرى وتحطيمها ، وتلك الزعامات الفاسدة القاسية والسالبة للحريات في العالم أجمع ، فتارة تكون أسداً ضارباً على شعوبها لتحكمها بالقوة والقهر والغلبة ، كتلك الحكومات الدكتاتورية التي تستمد قدرتها مما جهزته به الدول العظمى بغية أن تكبل شعوبها وتستثمرها اقتصادياً من بث بذور الشقاق والنفاق فيها داخلياً لتضعيفها وإشغالها عن المقاومة وسلب قدرة المعارضة منها ، ومرة أخرى تكالب الأقوياء منها والتناحر في ميدان البراز وإظهار القدرة في ميادين النزاع لضم الغنائم وسلب النعم وتكديس المخازن ، واستهتار المترفين في الحين الذي يتضور أفراد وجماعات بشرية لا تقل كفاءة وإحساساً عنها ، تتضور جوعاً ومرضاً وتعاسة في فقر مدقع وجهل مروع ، وقيود مادية ومعنوية مسلوية الحريات التي منحها الله لها فطرياً وأغلبهم أبرياء من أية مخالفة أو جنحة أو جناية ، لمحض إطفاء جذوتها وإخماد نهضتها وكم أفواهاها ، وخنق أصواتها ، ودرء اعتراضاتها ، قصاصاً مفتعلاً دون جناية ، وتأنياً للآخرين عن إعلان حقيقة أو دراية . فيا للسعادة لو انخرطت كلها وانضمت إلى حكومة واحدة صالحة تحت لواء رجل الحكمة والعدالة والمساواة بغية نشر السلام والوئام ، ولم الشعث وتوحيد القوى ومحاربة الفقر والجهل والأسقام لخلت من التعصبات والأنانيات .

واليوم وقد تضافرت الجهود العلمية والعملية وإمكان تكوين حكومة أقرب شياً بجسم الإنسان كل بأجهزته وطاقاته أفراده الحجيرات على اختلاف تخصصياتها ، كل في مقامه وصلاتها مع بعضها البعض على أساس الخدمة المتقابلة دائبة ليلاً ونهاراً ، متعاونة منصاعة يشملها جهاز واحد للإدارة لا يفتر لحظة قائماً دائماً يتلقى الأنباء صادقة ويرسل الوقاية والعلاج بارقة خارقة ، خلت من الرذائل الجشعة الماكرة الخادعة ، فكلما تقوم به وظيفة خلت من المنة والاستكبار والتخاذل والاستدبار أو الجشع والحرص والطمع ، لا كما يعمل الفرد في المجتمع اليوم من الاحتكار والاختزان لموارد الثروة عن اخوته . بل كل ما في البدن ملك للجميع يوزع على الجميع كل حسب حاجته ومكانه ، فحجيرات المخ في مقرها الأمين المكين

الحصين ، يأتيها رزقها وحاجاتها وغذاؤها بما يسد عوزها ، ويضمن فوزها في حياتها وأعمالها من نوع يخصها دون سواها . وحجيرات الجلد المعرضة للنهش والخدش لها ضمان رزقها وغذائها وحاجاتها بما هي أهل له ، كافيه وإن اختلفت بنوعه عن سابقتها بيد سادتها تماماً بسد العوز وإدراك الفوز ، دون أن يكون لكليهما ذخيرة دون سواها أو امتياز يرفعها عن نواها ، كل منها يخدم الآخر ، والجميع يخدم الجميع والذخيرة للجميع لا تترفع هذه على تلك أو تقصر عن خدمتها بل هي الوظيفة وهي الطاعة الغريزية ، فغذاؤها ودفاعها وهجومها وما يلحقها من الخير والشر تشترك فيه جميعاً على حد سواء ، وهكذا الفرد والجماعات في الحكومة العالمية المثلى ، فالיום تكاملت الشروط دون سواها لقيام الحكومة العالمية المثلى . . .

فما يحدث في أقصى الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب أو في الفضاء أو أعماق المحيطات وكل تلك التي بلغها البشر تصل أحداثها وأخبارها وتصاويرها بدقة مضمونة إلى مراكزها وتنتشر في اللحظة إلى كل مكان بحذافيرها تسجلها أدمغة الكترونية وهذه مجهزة في أية لحظة لتحل باللمحة مشاكلها . تحفظ خواطرها وتدلي بما يلزم لها ، إلى جانب ذلك وسائل النقل السلكي والبري والجوي والبحري واللاسلكي وما لا يعد ويحصى من أجهزة يسّرت كل عسير وجبرت كل كسير ، ولا زال العلم والعمل في تقدم دائم إلى جنب كل ذلك الأدمغة البشرية الدائبة المخترعة والمكتشفة لكل ما يحتاجه البشر . هذه الشروط وهذا التقدم الذي لم يسبق للبشر مثيله من قبل ، له كل الوسائل اللازمة لإقامة حكومة عالمية مثلى ، تديره يد حكيمة مريدة ، تسوقه طوعاً أم كرهاً إلى الوحدة والإلفة والمحبة والبر والإحسان والفضيلة والحقيقة .

وقد كانت النبؤات الدينية المارة الذكر من ظهور مصلح عالمي يبدل حياة البشر المتردي في أحضان الرذيلة في الولايات الاجتماعية والحروب الجماعية المتطاحنة والمنافسات المتباينة والظلم والجور والخصام ، إلى العدل والوثام والبر والسلام ، وقد كانت أمنية البشر هذه بعيدة المنال عقلاً ،

وصعبة التحقيق فعلاً ، إذ لم تنسجم وما للبشر من مشكلات وعوائق وما يمنعها من عقبات ومآزق ، من بعض البقاع وانعدام الوسيلة .

بيد أن كل تلك المشكلات حُلَّت والمعضلات قُلت ، وأصبح تحقيق العسير وتذليل الخطير ، وتقريب البعيد والإحاطة بما يضر وما يفيد واتخاذ الأهبة السريعة ، والوقوف علماً على ضروريات الحل والربط والمزج والخلل والوقاية والعلاج ، وبلوغ الحيطة بالسرعة الخاطفة وإدراك الأهداف حقيقة لا مصادفة ، وكلما تستلزمه هذه الدولة العالمية المثلى من عدة وعدد للدفاع والوقاية والعلاج والعناية .

والكل يرقب ساعة الخلاص وتحقيق البشارة بإخلاص لهذه الدولة المرتقبة الموحدة وزعامتها الأمينة المسددة ، فقد اكتملت شروطها المكانية والزمانية والمادية والمعنوية .

الضرورة الحاكمة للإسراع بقيام الحكومة العالمية المثلى :

نعم وأية ضرورة هي أعظم مما يلزم لوقف هذا الصراع والتزاع وضبط المدمرات من الأسلحة الفتاكة التي لا تبقي ولا تذر وربما في لحظة خاطئة ، أو نزعة طائشة في جانب ، وإذ العالم قد انجرف انجرافاً لحرب كل يحسب بها السرعة الفائقة والضربة القاصفة على خصمه ليحرز النصر . .

وأى نصر هذا الذي لم يترك بعده إلا الموت والدمار للأحياء والباقيين والانقراض والأشلاء من مصابين بشتى العاهات وشتى الأوبئة مدى الحياة . من نفوس مضطربة وأجسام مخربة وضمائر معذبة ، كل هذه وأشد منها يتربص مصيرها رجال السياسة وقوادهم ودهاة القوم وأسيادهم .

فيا لله لهم من الطيش والرعونة والأنانية المكنونة واللجاجة الملعونة والزعافنة المجنونة . نعم رغم كل ما تحسه وتعرفه من سوء العاقبة ودقة المحاسبة وما مرت عليه من التجارب القاسية في الحروب الماضية فهي علي كيدها باقية وفي خداعها متمادية ، وكم وجدت ان المكر السيء لا يحيق إلا بأهله وأن النار تحرق اليباس والرطب . وبعد من هو العدو؟ أليس نظيرك

في الخلقة إن لم يكن أخاك في الخلقة؟ ولماذا تضرر له الشر ولا تصدقه بالخير وبهذا تشملك بالتأكيد سعادته؟ وتسعدك ضراوته ، ولماذا تحرص ان تكشر له عن أنيابك الشنيعة لتشد عناده ولا تريه ابتسامتك الودية لتجلب وداده ، والذي يتحرى سياسة الأقطاب ويتصفح بدقة يرى أطفالاً ما زالوا في عهد الطفولة من الجهل المطبق يغالطون وينافقون ويخادعون ، كل أكاذيبهم مفضوحة للصديق والعدو ، وحتى لا يستسيغها البسطاء الأذنون ، كذابون متحيزون بذئثون بعيدون عن روح الإصلاح والخلق السامية والبر والرحمة ، متعصبون متجاوزون جشعون ، يحرفون كلمة الحق بالباطل ويستبدلون الباطل بالحق ، يعملون ما ينهون عنه يمتنعون عما يدعون إليه ، تالله لا يصلحون كلهم لزعامة البشرية لأنهم خائنون للبشرية ، فاقدون للعدالة ، بعيدون عن الحق والحقيقة ، لا ترى فيهم أبداً من حداه ضميره لخدمة البشرية واستجاب للعقل الداعي والضمير والوجدان . ولو صح لما استمرت الشحنة والبغضاء بينهم وهم يجرون العالم من سيء إلى أسوأ .

نعم ، تلك هي الضرورة الماسة لظهور مصلح واقعي يجمع الشمل ويوحد الكلمة وينهي الصراع ويفك النزاع ويقيم القسط والعدل مقام الظلم والجور في هذا العالم الصاخب ، وينهي الفتنة والفساد ويوحد القوى في كل البلاد .

المقالة الخامسة

ما هو واجبنا ؟

هناك واجبان :

١ - واجب يفرضه علينا المنطق السليم ! بحكم العقل والنفس المريدة ، وبحكم الحس بالحاجة والشعور بالضرورة لاتباع الحسن والأحسن ، واجتناب القبيح والأقبح ، وبذل المجهود على حد بلوغ الدرجة والاستمرار في التكامل حتى الأكمل .

٢ - واجب شرعي ، ديني والدين الذي يحكم العقل السليم باتباعه ويسدد الواجب الأول ويشد قوى الإرادة والتصميم ، ومن طالع الكتب السماوية ومناهج الأنبياء والأولياء الصالحين ، دون التحيز والأغراض المبتذلة لوجد القرآن المؤيد للكتب السماوية الأصيلة من التوراة والإنجيل وسيرة الأنبياء ، وأخص في قوله تعالى : ﴿ وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ ، ﴿ وإنا هديناه النجدين ﴾ .

وقول محمد صلى الله عليه وآله : من لا عقل له لا دين له .

وقول علي عليه السلام : العاقل من وضع الشيء في موضعه .

وما ورد في الكتاب والسنة في العقل والعلم والحكمة أمثال قوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ، وقوله

تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ . والكثير الكثير مما ورد في الكتاب والسنة مما يشيد بالعلم والعلماء ورفع مكانتهم .

وما وردت من الأوامر على الجِد والسعي والجهادين الأكبر الأصغر :

الأكبر : في جهاد النفس لكسب الفضائل وقمع الرذائل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والجهاد الأصغر : في جهاد الغير لكسب الخير وقمع الشر والفساد ، وما فرضه الدين من الشهادة ومن الثواب والعقاب في هذه الدنيا والآخرة على حد قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ أهو في طريق الخير أو الشر ، وقوله تعالى : ﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ ، وقوله تعالى في الآخرة : ﴿ وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ . . . وهو مؤمن بالله الواحد الصمد وبنواميسه وقوانينه وشرائعه التي بشر بها الأنبياء والرسل عليهم السلام .

ومما مر نجد أن الشروط المكانية على الأرض والشروط الزمنية ووجود الحاجة الملحة لقيام مصلح ذاتي حقيقي بدافع العدالة الاجتماعية الإنسانية ، لانفاذ البشرية من برائن الشر القائمة في الشرق والغرب وتوجيه البشرية الحائرة المضطربة دون تحيز ، لمنابزات وتكتلات عنصرية ولونية وعقائدية ، وأهداف وأغراض خاصة ، وتوجيه الجميع بالرغبة وإلّا بالرهبة نحو الصيانة والسلامة . ونحن لا نشك أن التوجيه المنبعث من روح العدالة والإنسانية الخالية من الأغراض الحاجة القائمة في يد عالمة حكيمة مؤمنة بالله الأحد الصمد ذي الكمال والقدرة والإبداع المطلق لا بد لها من الظهور ، وقد بشرنا بذلك الله في كتبه المنزلة بقوله تعالى : ﴿ إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ كما بشرت بذلك كتب السماء والأنبياء أولي العزم أخص محمداً (ص) من قيام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وقد مرّ ذكر ذلك وتظافر على ذلك أهل الأديان كما مرّ . وإن ذلك حتمي بنظر أهل الآراء من الحكماء والعلماء ، وإذا ما ظهر لسنده

قلّة من المصلحين من الأنبياء والحكماء . ولعلّ أنّهم لم يتوصلوا للآن إلى توحيد البشرية تحت لواء واحد ، فإن ذلك لفقد الأسباب والشروط المكانية والزمانية وأحياناً الذاتية .

أما اليوم فكلها جاهزة من مكانية وزمانية وبانتظار مصلحها المؤيد من الأرض والسماء ، فالحاجة ملحة والضرورة ماسة أكيدة ، وأحسب أن الأديان والمذاهب مجمعة على ذلك ، غير أن هذا المصلح الموهوب بالعلم والتجربة المديدة أحسب أنه الجامع والمستكمل والواقف على كافة الشروط ، وبانتظار توافرها جميعاً ليتقدم بوعي ووعي نفسي أو منبعث من جهة غيبية مهيمنة قديرة إلهية .

وكم بهذا الكون من أسرار أعيانها كنهها من مخلوقات ونواميس وألغاز متضافرة متضامنة ، كلها تسير سيرة منظمة وحكيمة خلت من أي عشوائية ، تلك التي يحسبها الجاهل عشوائية ويرميها بالصدفة ، وما القضاء والقدر والاحتم إلا موارد تتصافر فيها شروط تلك النواميس للظهور والتحقيق ، ولم تأت أبداً عشوائية ، بل جميعها لها نوااميسها وأسرارها وأصولها المتقنة المتضافرة .

أما واجبنا فهو دوماً السلوك المستقيم والاهتداء بالعقل السليم ومشورة الحكماء والعلماء الإنسانيين أخص منهم المعتقدين برعاية ووقاية الله الأزلي القائم الصمد ذي الكمال المطلق ، وكما أمرنا بالسعي والجهادين الأكبر والأصغر ، والبحث عن الصلاح والمصلحين وشد أزهرهم وتبع أثرهم وجمع شملهم والضرب على يد الفساد والمفسدين وقطع دابرهم وإفشاء سرهم وضرهم .

أما إطلاق يد المجرمين وشد أزهرهم ، أو السكوت بعد معرفة الحق فهو والحق كشيطان أخرس ، ولا بد لكل فرد من اتباع شريعة الحق قولاً وعملاً ، ولا بد لنا بعد التفكير لهداية أنفسنا وغيرنا ، ولا بد لنا من بذل النفس والنفيس على قدر انجاحه وتعميمه ، وعلى قدر ما أمكننا أن نتقي

الشر والتهلكة على حد قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾
ورب كلمة عدل عند سلطان جائر تكفي لنجاة النفس والغير من الناس . .

واليوم ، ونحن نميز بعقولنا وبعد التجربة والدراسة العميقة ، ووقوفنا
على سبل الخير وتدهور البشر إلى الهاوية لا بد لنا من سلوك طرق السلام
ودعوة من استطعنا دعوته من هذا البشر الضال إلى مسالك النجاة ، بل ونشر
سبل الصلاح وإفشاء مواقع الفساد ودرك مراكز الأوبئة المادية والمعنوية
وتجنبها قدر الإمكان ، وبالعكس توجيه من يمكننا توجيههم إلى سبل السلام
والوثام ، واستقاء الماء من منبع رائق خلا من التلوث .

وواجبنا : يحرضنا للدعوة الفردية والجماعية أمام هذه الجحافل
المغيرة على الأفراد والجماعات ، أمام هذا العالم المتطاحن من دول كبرى
كاثدة وجشعة مثل الذئاب الكاسرة على الشعوب والدول الضعيفة للكيد بها
بغية نهب ثرواتها ، باسم العدالة وحقوق البشر ، وإلقاء ألفتن بينها ومدھا
بالأسلحة وإغوائها للتجاوز على بعضها وبيعها تلك الأسلحة لها وسلب ما
لديها من ثروات معدنية وقوى عقلية ، لتدميرها مادياً ومعنوياً سالبة ثرواتها ،
مشردة أبنائها الواعين ، بيد من نصبته على مقدراتها من أرادل القوم ومن
بقي بين حبس وتعذيب وقتل ، فماذا علينا آنذاك ؟ أهو الإنصياع
والسكوت ! أو إلقاء أنفسنا في اتون هذه الفتنة والنار المستعرة ؟! الحق أن
لكل داء دواء ولكل حرب سلاحاً ، فنجاة من يمكن نجاته ونحن واعون عند
بدء اشتعال النار ، الاهاية بالمخفلين وإرشادهم وانقاذ من يمكن انقاذه ،
والذهاب إلى البلد الآمن وفضح المطالب المزيفة وإعلان الحقائق ونشر
الوعي العام بين بني البشر من مغفل وجاهل ، ونشر الحقيقة ، وبعث روح
الإرادة والاهابة بالنفوس الصالحة الحاملة للإيمان الرباني والتقوى للذب عن
حياض الإنسانية المهانة بيد الأرجاس العابثين والشياطين المخذلين .

والتأهب لنداء الحق ودعوة البشير إلى المصلحين ونذير المنذر من
الفساد والمفسدين ، فهذه الشروط المكانية والزمنية الجامعة مهياة ، والحاجة
ماسة ، وكم بعث الله من بشير ونذير بيد أنه في هذه المرة ، تدعو الحاجة

والضرورة الماسة لقيام المصلح الأعظم الذي يلم الشمل ويصلح الجامعة البشرية الواقعة على شفا جرف الحرب المدمرة التي لم تبق ولم تدر ، هذا المصلح المنتظر الموهوب العادل الحكيم والعالم المجرب العظيم القادر بعلمه وفنه وموهبته على شل حركة الفساد والمفسدين وضبط جماهم وشد عضد المصلحين وتسديد وتدبير سراحهم .

مغزى الانتظار لظهور المصلح :

إنه لا يعني ترك السعي والاعراض عن بذل المجهود ، لا أبداً ، بل يلزم الجهد والسعي في الجهادين ، وبحس المسؤولية الفردية والجماعية دوماً ، لا الرضوخ والخنوع واليأس ؛ فتلك هي العقيدة الخاطئة في تفسير القضاء والقدر ، فالقدر ما قدر وحصل بالقدر من بذل المجهود الفكري والعملي وسار طبق نواميس إلهية طبيعية مرسومة ثابتة ، وإلا لما أمرنا بالسعي والجهادين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبهذه ندري ونطبق السير الطبيعي المقرر والذي يبنى عليه القدر الموزون بالمقاييس المتطابقة لنواميس الله الكونية الثابتة ، وكل شيء بقدر ومقدار ومتى تهيأت الشروط والأسباب فعلينا اغتنام الفرصة لربطها وتركيبها ، فالميكانيكي الذي يريد عمل أداة لا يمكنه إلا متى تهيأت قطع المعدن وأجزاؤه والمواد الرابطة ليعمل منها مثلاً كرسياً ، والكيمياوي الذي يريد ايجاد سترات الصوديوم فعليه احضار مثلاً : حامض الليمون وبيكربونات الصوديوم ، والماء ووضع مقاييسها ثم السعي لخلطها بمقاديرها المتناسبة وبدرجة حرارة متناسبة وعندها بالسعي والعمل بالخلط يحصل القدر المطلوب المقدّر ، وهكذا في الموارد الفيزيائية ، ومنها قوانين (أرخميدس) والقوانين الميكانيكية وكل القوانين المادية والمعنوية ومثلها في التلاقح في الأحياء وفي كل مسالك الحياة ، ونحن بوعينا وعلمنا وسعينا نسرع بالقدر والقضاء ويكون محتوماً عند تطبيق المقاييس والأسباب بشروطها اللازمة ، ولو تركنا الأجزاء إلى جنب بعضها وانتظرنا دون شرطها العملي بالخلط أو المزج أو العمل الميكانيكي أو المعنوي اللازم فلا يتم الأمر أبداً إلا بحدث

طبيعي يكمل شروط القضاء والقدر ، تلك هي الوسائل والشروط المهيئة والحاجة ماسة لاجرائها للحل والربط ووعينا وحركتنا وسعينا من أصول القدر .

الحاجة أم الاختراع :

وبالتالي الحاجة أم الاختراع ، فالحس بالبرد يدعونا لكشف وسائل الدفء من شتى الوسائل الخاصة والعامة ، من البسة ومدافئ وتنويعها ثم تكميلها والجوع دعانا للبحث عن شتى أنواع العمل الزراعي والطبخ وتربية الدواجن ، وأعمال فنية أخرى وكل ما له صلة باتباع ضرورات الغريزة . والخوف ، دعانا لتهيئة وسائل الهجوم والدفاع المادية والمعنوية وكل ما مرر دعانا للوصول إلى علوم وفنون تشبع تلك الغرائز والتكامل لأحسنها . وغريزة حب الجنس بعثت بنا إلى فنون التجميل المادي والمعنوي في الجنسين لبلوغ الأهداف والتلاقح وإبقاء الجنس وتكاثره وتكامله ، وحس حب النفس وغريزة حب الظهور ، وطلب الحريات ، كل منها بعث فينا شتى الابتكارات والاختراعات لبلوغ شتى الأهداف ، ونزعة العقلاء لتصميم المعرفة والحكمة وسير التكامل إلى الأرقى والأعلم ، ونزعة حب الجمال على اختلافه الطبيعي والمصنوعي المادي والمعنوي كل منها بعث لإيجاد عالم جديد وابتكارات واختراعات ، وهكذا نرى الروح البشرية والغرائز والعقول سارت بحكم الإحساس بالحاجة للإبتكار والاختراع والجد إلى التكامل .

وهكذا تسير الخصائص المادية والمعنوية في داخل جسم الإنسان كما سارت خارجه لبلوغ الحاجة وترميم التلف وإصلاح المخرب ودفع الأخطار والأضرار وجلب الصحة والسلامة والهناء والسعادة ، وفي كل منها تصل إلى الهدف حتى الكمال متى تمت الشروط وتهيأت الأسباب وهكذا في الموارد الطبيعية من حدوث الزلازل وتفجير البراكين ، وهبوب الرياح ، وهطول الأمطار ، واشتعال النيران ودوران الكرات وتوالي الفصول من شتاء إلى ربيع ثم صيف ثم خريف وتكرارها ، وتكاثر الأحياء من حيوان ونبات وزوالها ، وأثر الحرارة والبرودة وازدهار الطبيعة عند اعتدال المناخ وهطول الأمطار

والعكس عند اشتداد الحر وجفاف المناخ أو شدة البرد . وقد يحقق الإنسان بجدته وعلمه لجمع شروط ما يرمي إليه من هدف أو أهداف في شتى المسالك ، وهكذا تقوم أعضاء البدن دوماً وبحكم الغرائز والعقل لدفع الفاسد وإقامة الصالح والجد للتكامل ، وهذه الرابطة قائمة في أصل وحدة الحياة والحب والبغض بترقيها روح الابتكار والاختراع لبلوغ الأهداف .

والنتيجة ، علينا مع الانتظار حسن التفكير والنزعة للقول والعمل بجد ومثابرة لتحقيق الهدف من الدعوة لظهور المصلح ، والجد لاستقباله وشده أصره بما لدينا من حول وطول مادي ومعنوي والمسؤولية شاملة « كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته » ، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرض الجهادين تلازمنا دوماً ولا تنفك عن أي فرد وجماعة منا ، لإقامة الفضيلة وقمع الرذيلة . وهذا ما يأمرنا به الدين والعقل .

المقالة السادسة

مميزات المصلح المنتظر الذاتية والمكانية والزمانية

١ - بنظر أهل الأديان . ٢ - بنظر أهل الآراء . ٣ - والجمع أولى أي الذي يتفق عليه كلاهما .

الأولى - الذاتية :

يجب أن يكون المصلح مميزاً بالعلم والتجربة والحنكة والتقوى محيطاً بالماديات والمعنويات ، له مؤهلات فطرية ومكتسبة ، ذو شخصية مرموقة وإرادة موثوقة ، يضع الشيء في موضعه ، فيختار الطيب من منبعه ويمقت الخبيث في مخدعه ، طاهر المولد وزكي المحتد ، يحفه الأخيار ويخشاه الأشرار . قد واثاه الزمان والمكان .

هذه الصفات لا تراها أبداً في زعيم من زعماء هذا العصر ، ولا العصور الغابرة . فهناك منذ القديم لهذا اليوم وجدنا زعماء على طريقين مختلفين :

(١) من نهج طريق العواطف والأهواء وحكّمته الغرائز فاستخدم الملكات النفسية لبلوغها وسلك سبلاً شتى لنيل أهدافه الخاصة دون رعاية مصالح عامة ، إما جهلاً بتأثيرها الضارة أو عالماً بها ، قد أعمت بصيرته الشهوات عن الحقائق والتأثير القريب والبعيدة وهم الأكثرية الغالبة .

٢) من نهج ودعا إلى طريق الصواب وهو الزكي الطاهر الواقف على الحق والعدل بيد أنه خذلته الظروف المكانية والزمانية أو إحداهما ، وأولئك هم الأنبياء والأولياء ورسلى السماء ، أو ذوو الحكمة والعلم من ذوي الآراء الصائبة والنفوس الزكية وهم الأقلية الخائبة .

نعم كانت الفرقة الأولى هي الأكثرية الغاصبة الغالبة ، والثانية هي الأقلية الصائبة الخائبة ، إذ لم توافقهم شروط المكان والزمان لتصميم سبل الخير والفضيلة وإدامتها ، وإنهم طبقات في نشر الفضيلة ولهم درجات ، منهم من لم يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، إلا شراذم معدودة مستضعفة لم يقيم لهم كيان ، وطمرت معهم بموتهم في الحين أو بعد حين كل دعواتهم الإصلاحية ، ومنهم من أسس فرقاً ومذاهب ظلت قائمة رديحاً من الزمن ثم محقت ، ومنهم من خلفهم من أحيى بعض تراثهم ونشر بعض آرائهم بيد عكرتها اختلاف الآراء ، وتشابك الأهواء ، فأحالت الماء الرائق عكراً ملوناً معجاً أجاجاً بما دست فيه من الشوائب كما جرى لبعض الأديان السماوية الموسوية والعيسوية فغيرت الأصول والفروع ، بضياح أصل كتبهم وتحريفها والدس بها . فلم توافقهم الشروط الزمنية ولا المكانية .

ومنها ما أقامت العدالة ونشرت الفضيلة ، ووضعت أصولاً وفروعاً ووصايا للعدالة الاجتماعية في كتبها المنزلة وسنتها المعلنة فانتشرت وعمت واتسعت في مكان وزمان محدود ، وكانت ينبوعاً من السراج المنير أضواء ذلك المكان والزمان المحدود وأقام زمرة مخلصه ، بيد والمبادئ في طريق الانشاء في المسالك الواضحة والمناهج الناصحة ، وإذا بالقضاء والقدر يسرع بموت الواعي الكريم وإذا بزمرة النفاق تستحوذ على الأمر وتحرف الطريق وتبدل الأنيق وتخلف العدو بالصديق ، وتضع سيرة مكان السنة ، ويقوم الغضب الدافق مكان العذب الرائق وإذا بالشوائب تعكر الرقراق المقام ، وتزحزح أركان الوثام والسلام ، وتدس التحريف في الإسلام ، فتخذل أعوانه ، وتضعف كيانه ، وتبدل الوفاق شقاقاً والإخلاص نفاقاً . فمازج الحق الباطل ، وساد المغرض والجاهل ، فوفقت كسابقتها ثمارها

اليانعة ، وتضاءلت جذوتها الساطعة ، وعاد العمار خراباً والإلفة سبباً ،
والواقع حباباً وسراباً ، فعادوا طوائف متناحرة ومذاهب متنافرة :

وكل يدّعي وصلاً بليلي وليلى لا تقرر له بذلك

والكل ينتظر المصلح المنتظر والموعود المعتبر ، لإعادة الحق إلى
نصابه ومعق الباطل وخرابه ، فأين هذا المصلح المنتظر؟ أين مكانه؟ ومتى
زمانه؟ نعم : الحاجة أم الاختراع عند البشر المتميز بالتفكير والتدبير ،
وهذه الأعناق مشرّبة ، والخلائق على أهبة ، والبحوث دائبة والأزمات
مناسبة ، فالجشع الإنساني بلغ أقصاه ، والظلم عمّ أبناؤه ، وكل الموجبات
الطبيعية والاجتماعية مؤهلة وجاهزة لتدعيم حكم حكومة عادلة شاملة تقطع
أيدي العابثين والمنافقين وتغيث السائمين الحائقين ، وتليي ذوي الحكمة
والبصيرة ، وتنقذ البشر من هذه الحيرة . . بإذن الله تعالى .

أما بنظر أهل الآراء :

نعم دلّت الظروف الخاصة والعامة الطبيعية والاجتماعية أن الحياة لها
نواميس وأصول وقواعد وليست عشوائية ، فالليل مهما طال يعقبه نهار ، وإن
الغيوث تلي الرعد والبرق والأعصار ، وإن العلوم والفنون نتيجة جهود
الأفكار ، وهي وإن كانت نتيجة بيد ستخلق نتائج ملموسة ، وهذا البشر
الحاس بالحاجة إلى مصلح سيولد مصلحاً بحكم الضرورة كدواء كما اكتشف
كثيراً من الأدوية لكثير من الأمراض لما أحسّ بالحاجة وجدّ في طلبها ، وقد
تكاثفت الظروف المادية والمعنوية لإرساله واستقباله ، ومن ثم توافر تلك
النواميس لبعث تلك النخبة الصالحة وقيامها بشد العزائم وإصلاح المعمورة
ومن عليها . نعم الحاجة أم الاختراع ولا بد للسلام بعد الخصام والقرار بعد
الهيام والصحة بعد السقام . بيد أن هذا المصلح المنتظر الذي أجمعت على
قبوله أهل الآراء وأهل الأديان والذي يقول أهل الأديان « أنه يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً » ، وانه من سلالة النبوة والعالم الزكي
العاقل الطاهر ، كيف هو بنظر أهل الآراء؟ ما هي مميزاته؟ نعم لا بد أن
يكون جامعاً لصفات الخير ، عالماً عادلاً مجرباً ، مريداً ، مديراً ، وفيه ما

يتوسمه أهل الأديان والآراء ، إذ لو كان غير ذلك لما استطاع من إقامة حكومة عالمية مثلى قوامها العدل والمساواة والعلم والخبرة ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه ، فاقد الشيء تنقصه الزعامة وتدير الأمور وإجراء الأحكام بالقسط .

إذن تتساوى صفات المصلح المنتظر وما يجب أن يحمله من مميزات على حد سواء بنظر أهل الأديان والآراء ليكون قادراً على إقامة حكومة شاملة مثلى وله كل المميزات الدالة على قدرته لضبط الحكم وإنهاء عبث المتلاعبين بمقدرات الخلق ، طبق آرائهم وأهوائهم ، له قدرة مادية ومعنوية فوق قدراتهم ، وسيطرة مادية ومعنوية تمتاز عليهم ، فليجمع حوله المصلحين الأخيار ويجتث أصول المفسدين الأشرار ، ويقيم حكومة عالمية على أساس العدل الاجتماعي يتساوى فيها مختلف الأجناس والأعراق والقوي والضعيف ، والقريب والبعيد ، والأبيض والأسود ، لا تعصب فيها ولا تفرقة ولا ميزة سوى بالعلم والتقوى والبر والإحسان ، حكومة إنسانية متينة تمتاز بالخلق الكريمة وروح التعاون والحب المتبادل والنزعة إلى الفضيلة واجتثاث الرذيلة ، فالناس على دين ملوكهم يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر يجاهدون الجهادين الأكبر والأصغر جهاد النفس وجهاد الغير . تلك هي مميزات المصلح المنتظر وأعوانه ودولته .

فكيف يأتي هذا المصلح ؟ وكيف تتقبله النفوس مطيعة راضية؟ أبقدرته المادية أم شخصيته المعنوية؟ أتقبله فرضاً ورهبة؟ أم تقبله رغبة وطاعة؟ أم كلاهما؟ .

نعم الأديب يفرض رأيه على المجتمع بقدرته الأدبية ، والفنان يفرض فنه بقدرته الفنية ، والمدير يفرضها بقدرته الإدارية ، ومثلهم الحكيم والطبيب وكل ذي علم واختصاص وعمل في علمه واختصاصه وعمله ، وكل ذي صفة وامتنياز يفرض ذلك ، لأن الكلام صفة المتكلم والفن صفة الفنان ، وهكذا الاجتماع يميزه ويعترف به ، ولكل طبيعة فروض ، ولكل علة معلول ، ولكل حادثة سائحة نتائج ، ولكل مصنوع صانع ، ولكل مادة وقوة

من أحياء وجماد خواص وحدود ، ولكل مرض دواء ، ولكل نقيصة كمال ،
ولكل جهاز اختصاص ، ولكل جهة خير وشر ، وهناك صالح وطالح ،
والصالح ما يرجى خيره والطالح ما يخشى شره ، وبالتالي إن الطيور على
أمثالها تقع ، ومتى ظهر المصلح المرموق حفّه الصالحون اختياراً وانتخاباً ،
وأقام حكومة عالمية واحدة مرغوبة من الصالحين ومرهوبة من الظالمين بيد
بصيرة قديرة مدبرة .

الثانية — الشروط المكانية :

المحيط والبيئة من أرض وما تظمه من مناخ وتحويه من آثار طبيعية
وتاريخية ، ومآثر بشرية قديمة وحديثة ، من عادات وأخلاق وأعراف وسلوك
وتربية وتشتمل عليه من علم وتجربة وفن وتقدم وتأخر ، وما يلم بها من شقاء
وهناء ونعم وبلاء ، ويحيط بها من سراء وضراء ويأس ورجاء ، من نعم رائقة
وجنات باسقة أو حروب طاحنة متلاحقة ، مما تثير في النفوس مختلف
النزعات والخواطر ، أو تبعث فيها شتى الهواجس والمآثر ، فتدفعها
للإستزادة من الرفاه والنعم والتوقي من المزعجات واللمم ، وعندها تدفعها
للابتكار والاختراع بحكم طبيعتها المجلوبة إليها ونزعته المجبولة عليها
والحاجة أم الاختراع ..

الثالثة — الشروط الزمنية :

وكما تمر الشروط الزمنية على النطفة لتكون جنيناً ، وتتوافر له الشروط
المكانية من النقل والانتقال ، والمكان الصالح وما يسبقه من تلقيح صحيح
وتغذية جامعة ووقاية وعلاج ، وعناية حتى يبلغ الكمال للإنتاج ، فلا بدّ له
لدى المرور من اللحظات الزمنية تلك التي سجلتها له اليد الإلهية كناموس
طبيعي ، لا بدّ من توافرها مكاناً وزماناً ، وقبلها ذاتاً وعنصراً ، لكل منها
شروطها ونواميسها حتى إذا اكتملت أعطت حصيلتها وتابعت فصيلتها .

وهكذا فإن هذا المولود الذي نترقب خطاه ونرجو هداه ، وهو المصلح
المنتظر الذي يلم شعث الأمم ويوحد الصفوف وتوآتيه كل الظروف ، ويجمع

لنا تنبؤات الأنبياء وحُددت الحكماء ونهج العلماء ، وبه يبلغ البشر المنكوب حاجته وتصلح خلته ، وتشفى علته ، والحاجة أم الاختراع ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى ﴾ ، وعلى حد قول الشاعر :

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

فلا بدّ بعد هذه الأزمان المتطاولة على وجه البسيطة ، والتي بلغ بها البشر أوج حضارة لم تسبق له من قبل ، واستطاع من التحليق في أجواء السماء حتى بلوغ الكواكب والتجوال في أعماق المحيطات ، واستطاع أن يقرب السمع والبصر فيرى ويسمع لا ما هو إلى جواره بل كل ما هو في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، حتى ما هو خارج كرتة الأرضية في أسرع من لمح البصر ، فيعلم المجهول ، ويبلغ المقصود ، ويدرك في سيره وسرعته وتجوّاله ، فيتغلب على الزمان والمكان ، ولم يبق لديه إلاّ في جمع شتاته ، والحل والربط والسير بما وضعت الطبيعة ويد القدرة لصالحه ، وبيد مريدة لا ترحزحها الأهواء ، ولا تمزقها الشهوات والأغراض . تلك اليد التي تبحث الإنسانية عنها .

نعود لتتابع مميزات المصلح المنتظر :

قد مرّ وذكرنا مميزات المصلح المنتظر ، وفي هذه المرة نسعى لذكر أجلى المميزات فيه ، تلك التي ترفعه وتميّزه عن سواه من الزعماء والقادة .

لو تصفحنا التاريخ منذ القديم حتى اليوم ، ودققنا في سلوك القادة مهما كانوا ومهما بلغوا ، وما توخوه من أنظمة وقوانين ورموا إليه من أهداف وغايات لما وجدت فيها ما يجردهم من روح الأنانية الشخصية والتحسس بروح العدالة الاجتماعية الطبيعية والخدمة العامة ، أخص خدمة الطبقات المحرومة ، ورفع مستواهم عملاً ، ونشر الحرية البدنية والفكرية ، مثل الحرية الملكية ، حرية النقل والانتقال ، حرية السكنى ، حرية العمل ، حرية الصناعة والتجارة ، حرية الزراعة ، الحرية الفكرية والعقائدية ، والتعليم وكل الحريات للحياة المادية والمعنوية الرفيعة المعتدلة المقرونة

بالمسؤولية الذاتية والاجتماعية للابتعاد مادياً ومعنوياً عن كل ما يضر بالنفس أولاً ، وبالعير ثانياً ، وهذا الضرر أكان يصيب الفرد أو الجماعة ، في الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد ، والسير بعين البصيرة والمنطق السليم المقرونة بقوة الإرادة ودقة الملاحظة للمنفعة العامة والخاصة ، المبنية على الأصول الصحيحة الروحية والقلبية ، التعاونية ، الراسخة المنبعثة من روح أخلاقية إنسانية رفيعة ، تلك التي استهدفها روح الإسلام من عهد آدم ونوح وإبراهيم لجمع البشر على عقيدة موحدة متماسكة ، بروح الحب والمعاونة ، تحت رقابة إلهية لا تغادر صغيرة أو كبيرة ، جاءت من تربية روحية أصيلة ، ذابت فيها كل عناصر الخير واجتثت منها كل عناصر الشر .

وإذا عدنا ندرس سلوك الزعماء القادة ، وما رسموه وسلكوه تجاه الأفراد والجماعات ، من الماضي للحاضر لما أدركت فيهم الغاية والبعية المطلوبة ، تلك التي يرفع بها الحيف من كاهل العامة ، والطبقات المحرومة في العالم ، ولا تراه يتمثل إلا في أقوال صفوة من الأنبياء المرسلين ، ووجدت البحث يمر بصورة ناقصة في أبحاث أهل الرأي من صفوة الحكماء كأفلاطون ، ولقد ذهب كل النظريات الرأسمالية والاشتراكية القديمة والجديدة ، والمطبعة اليوم ، ذهب كلها دون جدوى غير محرزة من الأهداف المقصودة لنشر العدالة الاجتماعية وإعطاء الحريات ، وتحريض الفرد على المسؤولية تجاه نفسه وغيره لمحض جلب الخير ودفع الضرر وإسعاد النفس .

أما الرأسمالية فباسم الحرية التجارية والصناعية مدت نفوذها في الداخل والخارج ، ودخلت في شتى أعمال التعسف تجاه الأفراد والجماعات من الاحتكارات ومنها مضايقة الشركات الكبيرة للصغيرة والأفراد ، بل قامت بالمداخلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية لانتخاب رؤساء الجمهوريات ، وقهر الشعوب بإقامة الدكتاتوريات العسكرية أو الغلبة على الحكومات الضعيفة بالانقلابات المصطنعة بغية الاستحواذ على تجارتها وصناعاتها ، واغتصاب ما لديها من ثروات معدنية أمثال النفط والمعادن

الثمينة الأخرى ، بالقضاء المبرم على الأحرار والكتّاب وذوي الرأي وإلقاء
الفتن والاضطرابات والحروب المصطنعة كما هو اليوم في دول الشرق
الأوسط وشعوبه وما يجري فيها من أهوال المعارك بإلقاء الفتن ونشر
المخاضات لغصب ما لديها من ثروة معدنية وتجارية ، وتحويلها للأسلحة
المكدسة المهملة بأضعاف الأسعار وإشعال نيران الفتن الداخلية والخارجية
وقتل شبابها وتشريد أحرارها وتدميرها وإعادتها ضعيفة فقيرة جاهلة خائفة ،
وإرسال الإذاعات الغير الإنسانية لتشويه سمعتها ، والدعايات الكاذبة هنا
وهناك باسم حقوق البشر وإعلان مساعدات لفقراء ومساكين ومنكوبين هم
أسس شقائهم وبلائهم حيث تعطيتهم فضلات لا تسمن ولا تغني لشرذمة بيد
ويده أخرى أو قل ألوف الأيدي تنبعث سالبة وماحقة لحرياتهم وكيانهم وما
وفرتهم لهم الطبيعة ، تلك هي شركات الترسست النفطية من جهة وشركات
الأسلحة بأيدي أخرى ، وغيرها من الشركات التجارية والصناعية ، وتدير
شؤون هذه الدول المنكوبة بعمالهم المسلطين على رقاب الخلق الفاقدين
لكل شيء من غيرة وشعور إنساني ونبالة ، سوى الطاعة العمياء لقهر شعوبها
وتقديم ما تؤمر به من أسياها المستعمرين الرأسماليين لمحض ملء جيوبهم
ولإشباع شهواتهم وغرائز حب المال والسلطة والجنس وويل لمن اعترض أو
استغاث أو اشتكى أو انتقد ، أو نطق أو كتب وشرح شيئاً عن الحقائق
أعلاه ، أو طلب علاجاً أو أمر بمعروف ونهى عن منكر ، ورغم أنه لا يجد
اذناً صاغية فهو معرض لأشد النكاية والقمع . فما هي الرأسمالية وتلك طرق
صغيرة من أعمالها المخزية؟

وهكذا نرى في كل عصر منذ بدء التاريخ لهذا اليوم والبشر يعاني من
السلطات القائمة التي فرضت نفسها فرضاً على الشعوب في الداخل
والخارج ، ولو استعرضتها جميعاً لما وجدت فيها من استطاع أن يقيم ويدير
حكومة عادلة عالمة نظرتها العدالة الاجتماعية والروح الإنسانية ، بعيدة عن
روح الأنانية والاستبداد . كلا إذا تصفحت ذلك لم تجد غير عهد محمد
صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يواته القدر ، وعهد علي عليه السلام

القصير الذي لم تواته الفتن^(١) والأغراض الخاصة الجاهلية المتأصلة والجهل المطبق ، وحقاً وكما قال الكاتب الشهير جبران خليل جبران حين يخاطب علياً لو جار الزمان بك علينا اليوم لاتبعناك متابعة العارف بحقك .

وأما أنا فأقول لجبران : كلاً فالشروط لا زالت في عهدك غير متواتية .

أما اليوم فأرى الشروط متضافرة ومواتية ، فالشعور بالحاجة والثقافة الاجتماعية والعلم والعمل وتقارب السمع والبصر وسرعة الحركة وانتشار العلم والصحة وتقارب الإحساس والأذواق على وجه البسيطة ، هنا إلى شعور بين كافة الطبقات القوية والضعيفة بالأخطار المحدقة من الحرب القادمة الذرية الخاطفة .

فالحكومات الرأسمالية تقدمت بالضممان الاجتماعي حتى تقاربت إلى مفاهيم اجتماعية وفردية لسد حاجات الأفراد والجماعات ، وتقليص نفوذ الامبريالية الرأسمالية ، والحكومات الاشتراكية بدأت تشعر بنقصها من سلب الحريات وقيام الدكتاتوريات ، وخنق النفوس وتحاول التقرب والتقليل من شدتها ، وتطبيق مبادئها لولا الخوف والرعب مما تدسه لها الحكومات الرأسمالية من الفتن ، والحقيقة ان الشرق والغرب يدركان حرج الموقف ويحسان بالأخطار والحاجة تقودهما جميعاً لهدف واحد ، هو الإصلاح . ولقد يبلغ العلم مبلغاً إن ساد حكيم عالم ومصلح وأخذ بيده سلاحاً يسيطر به على ما لدى غيره من وسائل مادية ومعنوية ، وخضع له الكل وتنفسوا الصعداء ، قسم منهم رهبة والآخرين رغبة ، فأين هو هذا المصلح العظيم؟!

(١) طالع سيرتهم الاجتماعية في معاشرتهم وأكلهم ولبسهم وتواضعهم وعطفهم للضعفاء والمعوزين والحد من المستكبرين .

المقالة السابعة

المصلح المنتظر بنظر أهل الأديان والآراء

قلنا بنظر أهل الأديان ، وفرقناهم عن أهل الآراء ، لأن أهل الأديان المكونين من رسل السماء والأنبياء يدلون بما يُوحى لهم من مراكز الوحي الأسمى أمثال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وغيرهم ممن بشروا وأنذروا وخطبوا البشر ودعواهم إلى سبل الفضيلة والإمتناع عن الرذيلة ، وقدموا لقومهم كرامات ومعاجز خارقة ، وتنبأوا بحدوث عن المستقبل مقرونة بشروط وعلامات ، وكثيراً مما قالوا وفعلوا وبشروا وأنذروا به ، كان لا يلائم منطق ومبتكرات وعلوم ذلك الجيل ، ويكاد يكون في نظرهم على ما هم عليه مستحيلاً لما لهم من خبرة وتجربة وعلم ، سيان منها ما أبرزوه وأعلنوه لقومهم كآليات والمعاجز التي جاء بها موسى الكليم عليه السلام في عصاه وبده البيضاء ، والخوارق الأخرى ، ومثله السيد المسيح عليه السلام ومعاجزه من إحياء الموتى والشفاء من الأمراض وإبرائه الأكمه والأبرص والأعمى وغيرها ، وإعجاز محمد صلى الله عليه وآله في أعماله وأقواله وكتابه ، مما كان يعجز عنه علم ذلك اليوم وعلماءه وحكماؤه .

وكلما يهمننا ما أنذروا وبشروا به من وقائع ستحدث بعدهم من خير وشر ، والذي يهمننا في هذا الفصل ظهور مصلح يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، مصلح لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، يقيم الحياة الفطرية الطبيعية القائمة على الواقع الطبيعي المنطقي لا تتقاذفه

الأهواء ولا الشهوات الخاصة ، ويطبق الحياة الطبيعية الواقعية المستمدة من إله السماء مبدع الخلائق ، مكور الأكوان ، العالم الحكيم القدير ذو الكمال المطلق ، والواقف على السراء والضراء والمحيط بدقائق الأمور وأسرار ورموز هذا الكون الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، وقد وضع لكل شيء علة ومعلولاً وناموساً ولم يأتِ أي شيء عشوائياً أبداً ، وعلى هذا وضعوا لما تنبأوا به علائم قائمة على شروط سندلي بكثير منها فيما بعد عن المصلح المنتظر ! .

تلك الشروط والعلائم كانت في حكم المحال في العهود التي نصوا عليها ، كانت في حكم المحال بنظر العلماء أو الحكماء في تلك العصور ، لقصور العلم آنذاك . أما اليوم وما بلغه العلم والفن وما أوجد من معاجز خارقة فسخر بها السماء والأرض والمحيطات وكشف كثيراً من أسرار الطبيعة ، فتمكن البشر في الحركة والتنقل من عمل المستحيل ، فوصل إلى الكواكب واكتشف القمر وباطن الأرض وقرع المحيطات ، وأصبح بإمكانه أن يسمع ويرى في اللحظة ما في الشرق وما في غرب الأرض ، وحتى ما على سطح القمر والكرات السيارة ، ويوعز لها بما يريد ، كل هذه الخوارق تثبت له أن هناك أسراراً أعظم بإمكان العلم كشفها ، وأن هناك قدرات أكبر يمكن بلوغها ، وأن هناك علماء ورجالاً لهم ملكات بإمكانهم المستحيل ، كما أمكنهم بالذرة والإشعاعات أن يدركوا الخراب والدمار ، وبإمكانهم الصلاح والعمار وأن الضرورة التي يشعرون بها مما يحسنونه من وقوع الكارثة ، لا بد لهم من وضع حد لهذا الانجراف في الظلم والاستهتار والغضب والشقاء ، ولا يكون ذلك إلا من مصدر قدرة مهيمنة على كل قوى الأرض العقلية والمعنوية والمادية ، فتحد من الانجراف إلى الهوة وتشمل هذا البشر الضال بعدالتها ورحمتها ، ولقد كان عند أهل الآراء في الماضي مستحيلاً جمع كل أمم الأرض تحت لواء واحد ، بيد أنه اليوم بالتقدم العلمي سيتمكن ذلك ، وقد كاد أهل الآراء يؤمنون ببشائر أهل السماء ، بل هي الضرورة ، والحاجة أم الاختراع ، وحتماً سيتحقق قول من قال : عن المصلح المنتظر انه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وها نحن نتابع حديثنا فنقول : أما بنظر أهل الأديان فقد أشرنا إلى ذلك في المقالات السابقة إشارة عابرة ولمحة مختصرة سوف نعطف إلى ذلك بصورة أوسع فيه بعد ، وأما بنظر أهل الآراء فنجد بحثاً تتوارد في شتى الموارد العلمية والفنية وعواقبها ونتائجها ، وهذه إما أن تكون اختيارية بإمكاننا تسييرها طبق تصاميمنا وبمحض إرادتنا ، أو جبرية تردنا قهراً دون اختيارنا بنتائجها النافعة والضارة ، وكلا الأمرين : الاختيارية والجبرية إنما يقوم على أسس علمية وفنية لا تأتي عشوائية ، وحتى تلك التي تنسب للقضاء والقدر فإنما تنسب له لجهلنا بعلمها ومسبباتها الخارجة عن حدود طاقاتنا العلمية والإرادية .

فالكون وما يحويه من كواكب سيارة خامدة ومشتعلة وما يفصل بينها من أجواء وما يحويه من مادة وإشعاعات وأثرها الظاهر على بعضها ، وأثرها على مجموعتنا الشمسية ، وكوكب الأرض الذي قد لا يعد بما يحويه من أسرار ذرة من هيكل هذا العالم الذي لا تدرك مداه مكاناً وزماناً ، ولا زلنا نجهل أسرارهِ وإن بدت لنا بعضها في العيان هذه وما تحوي من مخلوقات حية وغير حية وما تتناهى منها في الصغر كالذرات وما تحوي هذه الذرات من طاقات وأسرار ، وما توصل إليه البشر هذا من الندرة العلمية لبعض الشيء لسر من أسرارهِ ، والحل والربط ، وهذه الأحياء التي تعج بها الأرض وما تضمه كل منها من كوامن مادية وغير مادية ، والذي لا زال عاجزاً عن دركها ، وحتى بلوغ سر من أسرارها بصورة كاملة ، فالذرة مثلاً ، ومثل ذلك ما يحويه الجسم الإنساني من كوامن^(١) ، بل وأبعد من ذلك حتى ما يحويه جسم حشرة مرثية أو غير مرثية مادية ومعنوية من قيم ومقومات وعلل خلفتها ، وأطوار سلوكها والكثير الكثير الذي كلما انكشف لنا منه مبهم تجلت لعقولنا عظم جهلنا ونقص إدراكنا لفهم ما يحيط بنا من قريب أو بعيد ، وقد دلّت الآية القرآنية الكريمة يوم سُئِلَ محمد صلى الله عليه وآله ،

(١) انظر إلى مقالة الدكتور في مجلداته عن خلايا البدن ودراته .

نبي الإسلام ، عن الروح فنزلت الآية : ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ، نعم ربما كانت الروح من الأسرار العظمى التي أعجزت البشر رغم تقدمه العلمي والفني .

ونحن رغم جهلنا الوصول إلى كنه الخلقة والخالق العظيمين وعدم إحاطتنا بها ، لا يمنعنا أن نستفيد من عقولنا وحواسنا وما تركته لنا الخلقة من آثار على حد قول القائل : « البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير » وهذا رأينا في الاستنتاج : فنظرنا إلى البعرة تعرفنا على قدر إحاطتنا وتجاربنا حول هذه البعرة ، أهى بعرة بعير أو ضأن أو غزال أو فأر ، وأية دابة أو أي طائر وعلى قدر مشاهداتنا السابقة وعلمنا واطلاعنا نستطيع الجزم في تحديد نوع ذلك الحي ، وهكذا علم الأثر وفنه يدلنا على اتجاه ومسير ذلك الحي .

وكثيراً ما تأتي النتائج رغم أنوفنا ، إما لجهلنا بما ينتج حوالينا من قريب حتى داخل أجسامنا أو من بعيد أو رغم علمنا بها لعدم قدرتنا على درء ذلك ، كأكثر الكوارث الطبيعية والأوبئة ، والأمراض ، وكثيراً ما نجهل الأمر فلا نستطيع من مقاومته والوقاية منه للأميرين حتى إذا وقع آنذاك نستطيع استجلاءه من نتائجه على حد قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : « إذا اشتبهت عليكم الأمور فتحروا نتائجها » . وأحسب أنه تكلم ذلك في الموارد الاجتماعية ، بيد أن الموارد الطبيعية المادية تقرب إلى أذهاننا الأمور فتجعلها أجلى وأوضح ، فإذا جهلنا المواد المختلطة مع بعضها نستطيع أن نعرفها بعد خلطها كيماوياً والوقوف على نتائجها الحاصلة ، فالماء الحاصل من تفاعل غازين يدل على كونهما كانا أكسجيناً وهيدروجيناً ، وحصولنا من خلط البيكربونات السوداء المذاب بالماء مع محلول الأسيد ستريك يعطينا سترات السوديوم ، فإن جهلنا الأولين وعرفنا الأخير عرفنا من الناتج المواد الأولية .

وعلى هذا المبدأ نصل إلى نتائج مادية ومعنوية ، وإذا استطعنا الوقوف على المعادلات كاملة من جميع جوانبها وشروطها استطعنا تحقيق نتائج أكيدة طبيعية ، ولا شك أن كل عالم وفني يصل إلى النتائج حسب علمه وفنه

وعلى قدر ضبطه للأمر يدرك نتائج أصبح فالرياضي في علم الحساب إذا أراد الوصول إلى عدد (٥) فلا بد له من الحصول عليه من جمع (٢ + ٣) أو تقسيم (١٥ ÷ ٣ = ٥) ، وهكذا في شتى الشؤون الرياضية من جمع وتفريق وضرب وتقسيم . والكيمائي إذا أراد مادة ما عاد إلى قواعد وأصول صحيحة من حل أو تجزئة مواد في درجات خاصة من الحرارة وأصول يجب مراعاتها ، وفي علم الأحياء من حيوان ونبات لبلوغ ناتج حي لا بد من اتباع أصول خاصة في أزمنة خاصة لإدراك ناتج خاص من شجر وثمر أو حي وغيرها ، من مبدأ التلقيح وأصوله وشروطه المادية والزمنية لكل حي على حدة يقوم خاصاً لكل واحد منها يميزها عن غيرها كما يميز التمر وباقى الفروع وخصائص كل وميزاته عن غيره .

والميكانيكي لإيجاد جهاز متحرك للعجلات أو العتلات أو أي جهاز في مختلف ما يحتاج له البشر في أعماله للحركة أو البناء أو التصنيع أو أي مورد آخر لا بد له من تصميم يؤدي بالنتيجة إلى القيام بوظائف على حد ما خصص له ذلك الجهاز وأعدّه من أجله . .

وهكذا في علم الفيزياء واختلاف معداته ، والكهرباء ومختلف أدواته ، من راديو وتلفزيون وما يخص السمع والبصر من أجهزة وأدوات كل تصاميمها وأجهزتها التي صممها ووضعها العلماء والفنيون ، لا تؤثر ثمرتها إلا إذا ألفت بكل ما وضعت له من تصاميم منذ البداية وإلا كانت ناقصة كلاً أو جزءاً ، ولا يدرك نقصها إلا إذا لم تؤثر عملها المرجو منها ، ولا يدرك ذلك إلا الخبير في أمرها ، وهكذا مجموعة المحركات الحاوية على مجموعة من مختلف العلوم والفنون كالطائرات والغواصات والسيارات والأقمار الصناعية والأدمغة الميكانيكية وأجهزة الكمبيوتر وغيرها ، تلك التي تدرج البشر علمياً وفنياً وابتدعها تدريجياً واستوحاها من مشابهاها الحية ، أو قوانين الطبيعة ، ولا زال يجد في تصاميمه حتى تكون أجهزته أدق وأوسع شمولاً وأعم عملاً . وهناك ظروف طبيعية كما مرّ خارجة عن قدرة البشر كالتطورات الكونية والطبيعية والجيولوجية مما يجري في باطن الأرض بعامل

الحرارة الباطنة من براكين وزلازل أو خارجها من الإشعاعات الواردة من الشمس وباقي النجوم والنيازك وأمثالها ، وما يحدث على أثر هذه من تبدل الحرارة والرطوبة والتعاريج على سطح الأرض ، كما حدث من أقدم العصور وما أثرت هذه على طبيعة الأرض وسكانها ، ومنها انقراض أحياء وظهور أحياء ، وتقدم وتأخر في نسل ، تلك في أمور مادية وما يتبع ذلك من التقدم والتأخر في العقول البشرية وتطورها وانتقالها من عصر إلى عصر ، ومن ضعف إلى قوة ، وربما من قوة إلى ضعف كخلقة البشر من نطفة فعلاقة فمضغة فعظام فلحم يكسوها ، ثم استكمالها جنيناً وتكميل الجنين المتغذي في بطن أمه ومن دمها إلى الولادة ، وتطوره من رضيع فطفل فصبي فشاب ، واستكمال قوته في الشباب فكهولة فشيخوخة فموت ، وهذا الأخير هو الذي أعجز البشر وحيرهم من الوقاية والعلاج ، ولقد صرّح القرآن الكريم بهذه التطورات مهيباً بالبشر إلى رعايتها وضعفه عن الحد منها أو الوقوف دونها ، تلك هي الحدود الطبيعية في جسم البشر وهناك أصول وشروط لمرور البشر في أحسن أدوارها وأطوارها بالسلوك الطبيعي ورعاية الفطرة الطبيعية التي فطر الله البشر عليها ، ومن خالفها كان نصيبه الندم ، ومن شاء الحياة السعيدة كان عليه اتباع القواعد الطبيعية والفطرية وحد الاعتدال في السلوك ورعاية النتائج التي سبقته في الأفراد والجماعات .

وكما أن أفراد البشر يمرون بأدوار منذ النطفة حتى الشيخوخة ، وهذا مسلك لجميع الأحياء ، فللعناصر المادية أدوار تمر بها من لهب إلى سائل إلى جماد ، وللشجر كمجموع له أدوار يبدأ بالنطفة كما بدأ الإنسان في أقدم العصور منذ حمله ثم تولده أشبه حياة بحياة الوحوش ، إذ بدأ عرياناً ، جاهلاً وأخذ يتدرج على سطح هذه الكرة الأرضية ومختلف عصورها ماراً بأدوار مكانية وزمانية متميزة بميزات بدنية ومعنوية ، وبمرور الزمان أخذ يزداد تقدماً وتجربة وخبرة لما أثر به من ميزة العقل والخيال والابتكار إلى الدور الحجري وتشكيل العائلة والقبيلة وتهيئة حاجاته من مسكن وملبس ومأكل ، ثم بدأ بتسجيل مذكراته ومعلوماته نحو التقدم في المدينة والحضارة من وسائل الحرب والسلم والدفاع والهجوم وإقامة إمارات وممالك

وامبراطوريات في مختلف البقاع والأصقاع ، وكلما مرّ عليه عهد وزاد الأفراد والشعوب وازداد ثقافة وتألّفاً ، شكلت القرى ثم المدن وتعاون الأفراد في العلم والعمل . ولم تكن قبل اكتشاف الأدوات البخارية التي لم تتجاوز بضع مئة سنة لها القدرة على اختراق البحار والمحيطات إلاّ بواسطة السفن الشراعية بما تحمله من مشقات وعناء ومخاطر وأهوال لاجتياز بقعة إلى أخرى أو قارة إلى ثانية ، وما تستنفده المدد الطويلة من الزمان تتجاوز الأيام والأسابيع وربما الأشهر أو السنين بين الشرق والغرب ، ويتعرف على شعوب ومدنيات كان يجهلها ، وبعد أن ساعده الحظ على كشف القدرة الكهربائية والتقدم في أجهزة الحمل والنقل والصوت والبصر وغيرها من العلم والفن ، وبلغ بعدها أعماق المحيطات وحلّق في أجواء السماء واستطاع لأقل من مئة عام أن يرى ويسمع في اللحظة ما في الشرق والغرب ، وإصدار الإرشادات والإيعازات والأوامر للهجوم أو الدفاع والإسعاف والإمداد ، وتلقي الحقائق واستقصائها لا على هذه الكرة الأرضية بل انتقل إلى القمر وأرسل رسله عبر الفضاء لتقص عليه ما في الكواكب والسيارات الأخرى . وخلال بضع مئات من السنين كان تقدمه الحضاري قد تجاوز عشرات بل مئات آلاف السنين الماضية في تطوره هذا ، لتطور الجسم الإنساني أو أي جسم حي من خلية واحدة ومروره بأدوار مرّ ذكرها .

كل حي وله أدواره وأطواره في كل دور ، فالشجرة تبدأ بالنوات ثم ترسل جذورها وأصولها ثم تبدأ لتعلو سطح الأرض وتمر بأدوار ، وكل نوع وله مزاياه المكانية والزمانية وطاقاته وبلوغه من الضعف إلى القوة وإعطاء الثمر أو الحاصل ، هكذا كل الأحياء من دانية وعالية وأكملها الإنسان المتميز بعقله النامي وعلومه وتسجيلها . وإن تدرج المجتمع البشري أقرب كثيراً بجسم الإنسان البشري كما مرّ في كتاب الحكومة العالمية المثلى تمثل الحجيرة داخل الجسم البشري الإنسان في الجامعة الإنسانية ، والحجيرات في جسم الإنسان البشري تتمايز بأعمالها ومقامها وطعامها وحاجاتها وضرورة حفظها عن العادات الداخلية والخارجية ، حسب أهميتها كفرق حجيرة الجلد عن حجيرة العضلة ، عن حجيرة الكلية أو الكبد أو القلب أو

حجيرات المخ والمخيخ ، ورغم كونها متعاونة ذات مصالح مشتركة ، إلا أنها تحتفظ كل منها بمركزها ومقامها حفظاً لكيان الجسم الإنساني ليكون حياً قادراً على أداء مهامه على أحسن وجه وقيام كل منها بوظيفة وغريزية بها ليس لها الفضل الواحدة على الأخرى ، إذ الخدمة متقابلة ، بيد مقام حجيرة الدماغ أبلغ أثراً وأعظم قدراً وأمنع خطراً وأجل سهرراً على المصالح العامة للبدن ، وهذه الميزة أوجدتها لها الطبيعة ، وهكذا أفراد المجتمع يجب شمل الجميع كل فرد بحاجاته الضرورية مع مراعاة ضرورة ذلك العضو وأهميته للمجتمع العام ، فعليه يلزم تقديم ما يحتاجه من حاجات ضرورية لإدامة الحياة المرفهة والذب عنه دفاعاً عن كل ما يخل بوظيفته من رواسب وأقذار وأكدار وأغيار .

كما وأن لكل دور من أدوار حياة الفرد فرائض وواجبات كذلك المجتمع الإنساني ، لكل دور له فرائضه وواجباته وأطواره ومميزاته وله أدوار نقصه وضعفه وتكامله .

فقد كان المجتمع الإنساني في مبدأ نشأته ناقصاً جاهلاً ضعيفاً فقيراً في مسكنه ومأكله ودفاعه وهجومه مادياً ومعنوياً لبلوغ الضرورة وإدراك مأربه ، والدفاع عن نفسه علاجاً ووقاية وقلة خبرة بتجاربه وعلومه وأدنى ما يحيط به من أنداد وأضداد وأعوان وأعداء وخير وشر ، يجهل القريب والبعيد والعوارض المدهمة وأصول الوقاية والهجوم ، وفقره لأدواتها للتخلص منها والاجتناب من أخطارها ، وهو محدود في تصوراته وغاياته ومراميه وأهدافه المحدودة على قدر معرفته وشهواته وأهوائه ، هكذا كان في الأدوار الحجرية الأولى ، وأقصى ما يعرفه عن أبناء جنسه ربما كانت عائلته القليلة العدد ومن مكانه ما يحيط به من بقاع صحراوية أو جبلية وما تجود به أرضه من نبات ، ويسخو أو يقسو عليه الجو من مناخ ، وظلت تمر عليه هذه الظروف المكانية والزمنية وتتوسع دائرة معارفه علماً وتجربة ، ويزداد عدداً من عائلة إلى قبيلة فألى إمارة وخلالها يبدأ ليثبت ما يحصل عليه من تجارب وابتكارات ليسجله بالكتابة والتحرير البدائي وعندها لا تضيع عليه معلوماته وتذهب هباءً بالنسيان

وهكذا كانت دور الكتابة والقراءة في حياته دور قفزة فاقت في مداها القصير عشرات بل مئات آلاف السنين من حياته الماضية ، وكان المبدأ العلمي باباً يلج فيه لحياة تنقله من دور نهاية البداية الأولى إلى دور البداية الثانية التي تقدم بها معنوياً ومادياً بتطلع بها من حياة البداوة لحياة الحضارة ، تؤهله إلى نظرة أوسع في الحياة ، ومعرفة أرقى وطموح أبعد مدى على قدر ما توحى له شهواته وأهوائه وتجول فيه أفكاره فينتقل من الإمارات الصغيرة إلى الكبيرة ، ومن الكبيرة إلى الملكية ، ومن القرى إلى المدن ، ومن أمير إلى ملك ، بل يتجاوز ذلك إلى الامبراطوريات ومد سلطانه إلى الغرب تارة وإلى الشرق أخرى ، وإلى الجنوب ثالثة وإلى الشمال رابعة ، بل يمد سيطرته إلى الأطراف والأكتاف ، ويقيم العهود والمواثيق مع جيرانه الأقوياء ويضم الضعفاء والأذنياء إلى نفوذه ، ولا تقف مطامع هذا الإنسان عند حد وشهواته إلى نهاية ، فهو في كفاح وخصام ، القوي يلتهم الضعيف ، ومهما بلغ من العقل فهو مسير بالأهواء والشهوات ، يخيم عليه الجهل والأنانية ، يجهل كل الجهل أن الحياة قائمة على نواميس وأنظمة طبيعية مادية ومعنوية ، وهذه المعنوية بما فيها الاجتماعية هي مهبط السعادة ومآلها ، غير أن طيش الهوى والأنانية دوماً كلما شعر بالقوة أبعداه عن المنطق السليم والإصغاء للعقل وعن حد الاعتدال القائم على القوانين الطبيعية . يحفز غروره وهواه إلى وضع قوانين ، وضعية تبعده عن الحقيقة ليضع قوانين شخصية تحفظ له مصالحه دون الأكثرية ، قوانين توسع سلطانه وتضيّق الخناق على المجتمع ، قوانين تقيم البغض والنكاية في قلوب الأكثرية المحكومة تحت سلطانه ، وتزيد الشجار والشنار مع جيرانه وأنداده ، قوانين تهدد كيانه وتقلق جنانه وتزيد المنافقين من أعوانه ، وتزيد الخصوم من أقرانه ، فتجلب الشقاء مكان السعادة ، والعناء مكان السلام والهوادة ، ولم تخل الأرض من حين إلى آخر من رجال الرأي والعقل السليم من ذوي الآراء الصائبة والأفكار الثاقبة من وحي النفوس العاملة والأدمغة الكاملة ، أوقيام نبي مرسل من إله الأرض والسماء أو إمام موحى له من الله الخالق ذي الكبرياء والآلاء موضحين لهم الصراط المستقيم والدين القويم فتذهب مرضاتهم هباء ودعواتهم فناء ،

والحق وإن وصل صوت الحق إلى مدى وكاد أن يصلح بعض الفتن ، تغلبت النفوس الطامحة والأغراض الجامحة فأعادت الصلاح فساداً والسلام خصاماً وعناداً .

ولا بد من ذلك طالما الشروط المكانية والزمانية غير سانحة ، والأدوار لما تزل غير صالحة . لهذا أعلنت البشائر المتعاقبة لقيام دولة الحق من ذوي الآراء والأديان ، وإعطاء ثمارها إن استكملت الشروط في المكان والزمان . لهذا كان من غير المنطق ، طلب التمر في غير أوانه ، وإدراك الغرض في غير زمانه ، وكيف نطلب مولوداً كاملاً قبل إكمال المدة ، أو جهازاً عاملاً قبل توفر العدة؟؟ فهناك شروط مكانية وزمانية ، لما يحويه الكون من أحياء وجماد ، ونواميس تسييرها ذات سداد . حسبها الجاهل عشوائية بدت ، والبليد صدفه أتت ، جاهلاً بالعلة والمعلول ، وانحراف صراطها من الأصول ، واستخفافها بالمعقول . إشباعاً لشهواتها ، وانطلاقاً لرغباتها وأهوائها . تعامياً عن الطريقة أو تغافلاً عن الحقيقة ، يحيدان عن العدل المعلوم ، ويعرضان عن الحق المهضوم . جحوداً لخالق الكائنات ، ومبدع الأرض والسماوات . لرعونة جامحة غلبتها ، وأنانية فادحة لزمتهما ، ومثل هذين أناس وزعماء غواة ، استخفوا بقوانين الفطرة ، والآراء الحرة . والعقول الثاقبة ، والتجارب الصائبة ، والعبر المتناوبة . خرقاً للعرف والسلام ، وإصراراً على الكفر والإلحاد . فذاقوا وأذاقوا الخلائق الوبال والشروع ، وزجوا أنفسهم بالنكال والنبور . هذه الخصومات والمنازعات ، والحروب الدائمة في كل زمان اتباعاً للأهواء ، وإعراضاً عن الإصغاء لوحي الضمير ، والمنطق السليم ، ومنهج الفطرة ، غير آبهين بالنكبات الفادحة على البشر إخوانهم في الإحساس والشعور في شتى أنحاء المعمورة ، ولو حققت ودققت ، لوجدت أنانية الزعماء علة العلل ، فهم شركاء المحتالين المتنكرين بزي الصداقة ، وأعوان التجار المحتكرين لحاجات المنكوبين من ذوي الفاقة ، والخائنين المستأمنين على زمام القوة والطاقة . وإذا هم مطمح الصلاح والسداد ، إذا بهم بؤرة الفساد ، وإذا هم مرجع الشكوى ؛ إذا هم

ينبوع البغي في العباد . هم ركائز النفاق ، وعمائد الشقاق . هؤلاء هم زعماء الدول وقادتها بالأمس واليوم .

كل ذلك يدلنا ، أننا نتأرجح ، بين عقول صائبة تهدينا سبل السلام والصلاح ، وتتمشى مع القوانين الفطرية الطبيعية ، وأهواء وغرائز وأنانيات نفسية ، تحرفنا عن الصراط السوي وحد الاعتدال . فتبدل السلام خصاماً ، والوئام شؤماً ، والجنان ضراماً ، من نفوس طاغية ، وذوات جانية ، جبلت على البغي والمروق ، والظلم والفسوق ، فحرفت الطاقات البشرية النامية المعدة لخدمة النوع لغايات خاصة عن العباد ، وغلقت أبواب الخير وكنتز كنوز الثروة المتراصة خوفاً من الفساد . فكان ذلك حرصاً مقروناً بجهل وإصرار ، وعزة بالاثم مقرونة بالاستهتار والاستكبار . جبلوا على الغدر والشقاق ، وتطبعوا على البغي والنفاق ، يقولون ولا يفعلون ، أقوالهم بالبر والإحسان بادية ، وأفعالهم بأقبح الرذائل جارية ، وجوههم وجوه الأدميين الأوفياء ، وقلوبهم قلوب الضواري والاعداء الألداء ، فمتى إذن تحين الساعة لقيام دولة الحق والعدل والسداد ، التي وعد بها الأنبياء ، وأيد قيامها العلماء والحكماء؟ وما هي شروطها؟ ومتى أوان نضوج الثمرة للأنام ، وبلوغ القصد والمرام ، وزوال هذا الظلم الدارس ، والظلام الدامس ، ومتى يحين بزوغ الفجر الباسم ، والعدل الحاسم . والإمام المنتظر الموعود ، والزعيم المتبصر المنشود؟!

توافر الشروط : —

لقد صدقت البشائر السماوية ، وتجلت رموزها الخافية ، وجاءت تترى حقائقها واضحة ، وغموضها لاثثة ، فقرب البعيد ، وانكشف كل مستور عتيد ، وتيسر العسير ، وذل الخطير ، وإذا بالعلوم والفنون تحل العصيب ، وتؤهل القريب ، وما كان معجزاً منجزاً ، ويتلاقى أهل السماء بأهل الأرض ، وتتوالى أعلام البشائر للعهد المرتقب ، والسلام المحتسب ، وكل ما ورد من علامات ظهور القائم المرتقب عن الرسل والأنبياء ، وما نقله عنهم الأئمة الأعلام ، تلك التي كانت في حكم المعاجز

مما ورد من تقارب الأبعاد ، لقولهم : « إذا وقع الحديد على الحديد قرب البعيد » نجده تحقق في اختراع القطارات والسيارات والطائرات والبواخر وغيرها ، وإن من علائم الظهور تقارب السمع والبصر ، وإن المصلح المنتظر سيسمعه ويراه في اللحظة أهل الشرق والغرب ، وإن هاتفاً يدعو الناس جميعاً على هذه الكرة للإنخراط إلى مسلكه واتباع أثره .

واليوم ، لا قَبْلَةَ ، حقق ذلك الراديو والتلفزيون وغيرهما ، حقق ذلك الوعد والوعيد ، وأنه سوف يسيطر على من في الأرض ، وقد وجدنا الأسلحة الذرية ، والإشعاعات ، أمثال الليزر والأشعة الحمراء وما دون الحمراء وغيرها ، وما يتكرر كل يوم ، كل ذلك جاهز للهجوم والدفاع ، وطالما ثبتت قدرة العلم والفن ، فلا بد لصاحب الأمر من القدرة والقوة التي تمكنه من السيطرة المطلقة على قوى الأرض بعلمه وأسرار أخرى ستكتشف على يده كما ظهرت قبلها ، مما كان يعد من المعاجز والآيات ، واستطاع بها البشر قهر الطبيعة ، فبلغ الكواكب ، وجاز حيتان البحر وتغلب على كل عسير .

وقد مرّ وذكرنا بعض ما ورد عن المسيحية والإسلام عن ظهور المصلح المنتظر ، ولسوف أعود لأكمل عما ذكرته من قبل وأذكر ما جاء في المذاهب والفرق الأخرى . ثم نطبق ما تبينه أهل الآراء من العلماء والحكماء من إمكان ما بشر به الأنبياء علمياً ومنطقياً من الضرورات التي يحكم بها العقل للحاجة الملحة والحاجة أم الاختراع ، والابتكار والاكتشاف . فأما ما جاء عن المذاهب والفرق الأخرى مما ورد في كتاب بشارات العهدين ص ٢٤٢ للدكتور صادق عمير :

١ — شاكسوني أحد أنبياء الهنود قوله : « ملوكية دولة الدنيا لابن سيد الخلائق في الدارين (يعني نبي الإسلام) يسود وهو الذي يحكم جبال الشرق والغرب » .

٢ — عن كتاب : « يد » وهو من الكتب السماوية الهندية ، قال : « يأتي ملك عادل بعد خراب الدنيا يتزعم الخلق ويسمى : منصوراً ،

ويشمل حكمه ودينه العالم ويعرف المؤمن والكافر ويعطيه الله ما يريد .

٣ - عن كتاب : « باسك » وهو من الكتب السماوية الهندية أيضاً حيث يقول : - « تنتهي الدنيا بملك عادل يحكم الجن والإنس والملائكة وهو ذو الحق والصدق ويكشف ما تظمه اليابسة والبحار والجبال من كنوز ويخبر عن الأرض والسماء ولا يأتي من هو أعظم منه » .

وأعلاه يشبه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة عن الإمام المنتظر قوله : « تخرج له الأرض أفانيد كبدها » .

٤ - جاء في كتاب « جاماسب » وهو من تلامذة زرادشت حيث قال : « يظهر رجل من بني هاشم كبير الرأس والبدن والساق على دين جده بجيوش كبيرة يتوجه لإيران ويعمر الأرض وينشر فيها العدل » .

٥ - عن الزعيم الديني الهندي « جوك » يشير بظهور المهدي محبوب الله ، و « يحرق المبتدعين والذين ظلموا بعد أحبائهم ، أولئك الذين لم يحكموا بما أنزل الله على رسوله ويصلح العالم » .

٦ - عن إنجيل متى يشير السيد المسيح عليه السلام قوله : « حيث يظهر ابن الإنسان بجلاله في حقل من الملائكة جالساً على كرسي كبير يجتمع عنده كل القبائل فيفرق بينهم » .

٧ - عن مكاشفات يوحنا اللاهوتي في الفصل الثاني عشر الآية واحدة إلى سبعة ، حيث يدعي المسيحيون أن المصلح المنتظر من نسل القيصر ، كما يدعي الفرس أنه من نسل كسرى ، وأما المسلمون فيدعون أنه من نسل محمد (ص) ، وقد قال الموالون لآل البيت صدق الجميع فالمهدي أي المصلح المنتظر أمه نرجس حفيدة قيصر الروم وجدته أم علي بن الحسين بنت كسرى امبراطور الفرس وهو

حفيد علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله .

٨ - نص الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار للمجلسي على كثير مما يخص ظهور المصلح المنتظر ومشخصاته وعلامات ظهوره واستدل بذلك على كثير من آيات القرآن عن ظهوره كما ورد ذلك في بشائر الغيبة للشيخ الطوسي ، وما ورد في ص ٤٢٦ من كتاب ينابيع المودة ، ومن الآيات المشار إليها (٥٥ سورة النور) قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا . . . ﴾ ، وما ورد في (سورة القصص) قوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض . . . ﴾ الخ . . .

وما ورد في ج ٦ ص ٣٣٨ من تفسير منهج العارفين ، وكذلك ما ذكره تفسير الصافي ج ٢ ص ٦٧٨ عن الآيات ومنها في ج ٢ ص ١٠٧ منه ذكر الآية (١٠٥ من سورة الأنبياء) قوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

٩ - وما أجمل ما بشر به الكتاب الموعود ص ٧١ قوله : إذا ظهر المهدي بطلت وانهارت كل دول الباطل ، ذلك ما ورد عن الإمام الباقر حفيد الحسين السبط عليهما السلام .

١٠ - ما رواه الصدوق في كتابه « كمال الدين » في المجلد الأول والثاني وهو من علماء المسلمين من مصادر آل البيت ، وهناك مصادر كثيرة لعلماء السنة جاء في أشهر كتبهم وعن أشهر صحابة الرسول (ص) ، أما أشهر كتبهم فهي الصحاح نذكر أشهرها :

الإمام أحمد بن حنبل إمام الحنابلة في مسنده في المجلد الأول والثاني والثالث والخامس .

وصحيح محمد بن إسماعيل البخاري ج ٤ في باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام .

وصحيح مسلم بن حجاج النيشابوري في كتاب الفتن وأشراف الساعة
ج ١ من صحاحه باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام .
وكما ورد في سنن ابن ماجة القزويني ج ٢ في باب خروج المهدي .
وما جاء في سنن أبي داود السیستانی وسنن الترمذي .

وقد جمع علي محمد علي دخيل في كتابه الإمام المهدي ص ٢٠٥
كتاباً لعلماء السنة التي تبحث عن المهدي ، وكما ذكر « ذكر الله أحمد » في
كتابه « قائم آل محمد » ٢٨ كتاباً من كتاب السنة ذكر فيه ٢٨ صحابياً شهيراً
كرواة ٢١ تابعاً ، ومن البشائر ما جاء في (رؤيا ٦ : ٢ و ٢٠ : ٤) قوله :
سيخرج يسوع كمحارب أعظم من داود ويغلب كامل العالم الشر ثم يحكم
أعظم وأحكم بكثير مما لسليمان وسيملك سلام ألف سنة . وورد عن (لوقا
٢١ و ١٠ و ١١ و ٢٦ و ٢٨) أية نبوة يسوع تتم من سنة ١٩١٤ فصاعداً ، ومن
علامات ظهور عيسى كثرة الاثم والحرب منذ ١٩١٤ كما جاء في متى
(ي : ٧ : ١٢) والزلازل ومجاعات وأوبئة وخسوف وهلع ، (لوقا ٢١ : ١١
و ٢١ : ٥ و ٢٨) ومتى ابتدأت هذه فنجاتكم تقترب (لوقا ٢١ : ٢٨)
ويشارات واقبال بقيام دولة الحق وسحق دول الباطل . (٢ : ٣١ - ٣٥
و ٢ : ٤٤ - ٤٥) واشعيا (٧ : ٩) في توجيه البشر .

ولقد جاءت علائم كثيرة على ظهور المصلح المنتظر في كثير من
الكتب ككتاب المجالس السنية ص ٦١٢ وكتاب ملاحم وفتن الطائفي ص
٦٧ وفي هذه العلائم كما جاء في تشابه الرجال بالنساء والرجال ،
ومنها تقارب المواصلات والاستعلامات وكثرة الظلم والفساد كما جاء في
المجلد الثالث عشر في بحار الأنوار للمجلسي .

ومن العلامات الخاصة المقارنة والسابقة لظهوره عليه السلام :

- (١) ظهور السفيناني وهو من نسل أبي سفيان .
- (٢) ظهور الدجال ، ويؤيد ذلك المسيحيون في كتبهم « ٢ : ١٨ يوحنا و ٣ :

٢٢ « ويعتبرون هذا الدجال من أعداء السيد المسيح وجاء ذكره أيضاً في كتاب أعلام القرآن ص ٤٧٨ للطبعة الثانية .

٣ الصيحة باسمه واسم أبيه صيحة يسمعه من في الأرض جميعاً .

٤ نزول السيد المسيح عيسى من السماء واقتدائه بالمهدي في الصلاة .

٥ يحضر ٣١٣ من أصحاب المهدي خلال ساعة .

مشخصات المصلح المنتظر بنظر جل الفرق الإسلامية ووجوب
وضرورة معرفته حسب الرواية النبوية المتواترة، « من مات ولم يعرف إمام
زمانه مات ميتة جاهلية » . والنص على المشخصات هو :

١ أن يكون ابن الحسن العسكري من أحفاد علي ومن سلالة فاطمة بنت
رسول الله محمد بن عبد الله (ص) وهو الإمام الثاني عشر الذي يبدأ
أولهم بعلي بن أبي طالب فالحسن المجتبي ، فالحسين السبط ، وإن له
غيتين الأولى قصيرة انتهت والثانية طويلة يبقى فيها حياً مختفياً ويبقى
الكثيرون في شك من طول المدة .

٢ ينهض بالسيف أي بالقوة ويطبق الكتاب والسنة النبوية الأصيلة .

٣ رغم طول حياته يبدو شاباً .

٤ يقضي على الظلم والفساد ويملا الأرض عدلاً .

٥ يبدأ ظهوره من مكة المكرمة .

٦ يشبه جده رسول الله (ص) اسماً وشكلاً وسيرة .

تلك كانت أنباء الأنبياء والمنتبين ورسل السماء .

وأما ذوو الآراء من العلماء والحكماء : فقد اختلفوا حساً وتقبلاً
للبشائر المارة وتقبل العلامات المشخصة تلك التي كان العالم آنذاك قاصراً
عن معرفتها وربما عداها خوارق ومجهولة عن نطاق إدراكه ومعلوماته رداً من
الزمن أنخص منها في تقارب المواصلات والاستعلامات ، والصرخة بين
السماء والأرض بظهور هذا المصلح الذي يسمعه من في الأرض جميعاً ،

حقاً كانت قبل بضع مئات من السنين ضرباً من الخيال، ولكن اليوم وبواسطة وأقل أجهزة الراديو والتلفزيون واللاسلكي والمبتكرات العلمية في سرعة الحركة والنقل والانتقال تثبت تلك الأقوال وكأنها عادية وغير خارقة ، ومثلها الأخبار القائلة إذا ظهر المهدي (المصلح) سيطر على قدرات الباطل وكنوز الأرض ، وهي كانت ضرباً من الخيال ، يوم لا يملك البشر سوى السيف والرمح والدرع للحرب ، وأما اليوم فالأسلحة الكيماوية والحيوية والفيزيائية والشعاعية والطائرات والأقمار الصناعية والرادار والاشعاعات والقنابل الذرية والصواريخ عابرة القارات من أجهزة الهجوم والدفاع ، كل تلك والبشر في تدرج مستمر ، وكما أوجد الخوارق اليوم فما يدريك أن الرجل المصلح الحي الواقف على هذه العلوم يستطيع القيام بأجهزة أعظم توقف مفعول كل هذه الأجهزة وتشمل حركة القائمين بها وتكون له يد المبادرة على الجميع ، فيسيطر على الشرق والغرب ، وبالأمس الذي كان الشرق يجهل ما في الغرب جهلاً باتاً ثم امتد علمه ليقصر المسافة إلى السنين ثم الأشهر ثم الأيام ثم الساعات ، بل بلغ نفس اللحظة يعلم بها كلاهما كل ما حصل للثاني ، وبالأمس الذي كانت تختلف جماعات البشر عن بعضها في جميع الحالات النفسية والاجتماعية والعرف والعادة والاخلاق وكل شيء .

واليوم اتصل الشرقي بالغربي والجنوب بالشمال وكادت تتوحد الأخلاق وامتزج الأسود بالأبيض والأسمر والأحمر والأصفر ببعضهم اجتماعاً وتناسلاً وبلغ التهذيب مدى عمّ به مجاهل الأرض وتحسّس أفراد البشر بآلام الآخرين والأنباء والأخبار تمرر اللحظات من أقصى بقاع الأرض لأقصاها ، من أوضاع سياسية واجتماعية وصحية واقتصادية وعلوم ومعارف وكل شيء ، فما يمنع من تقبل تلك البشارات مع العلم بأن الحاجة أم الاختراع والإبتكار والكشف ، وأي حاجة ملحة أشد مما يتحسّس به البشر أفراداً وجماعات ، من هذا التدهور السياسي والاقتصادي والتبعيض القائم بين الشعوب والدول وقيام الفتن والأمراض العقائدية وتفشي الظلم بالوقت الذي نحن بحاجة إلى الفرق ، حقاً إن ما مرّ من الحروب أخص الحرب العالمية الأولى والثانية وما

فيه من إدامة الحرب الباردة بين الشرق والغرب واستمرار أقطاب الدول وعلمائها بما تجهزها من أدوات الهجوم والدفاع من مختلف المدمرات التي لم ينج منها السكان الآمنون والبشر المسالمون ، وهذه الهوات السحيقة والسيول الجارفة والزلازل الاجتماعية ، والنفاق الدائم القائمة عليه الدول الكبرى من إشعال الفتنة هنا وهناك وما يذهب بسببه ضحايا فردية وجماعية وغالبيتها من الأبرياء وهذه الشركات النفطية والمعدنية وشركات الأسلحة وما تقوم به من سلب ثروات حكومات العالم الثالث وكيف تساندها شركات بيع الأسلحة الرسمية الحكومية وغير الرسمية لخلق الشقاق والنفاق وقلب الحكومات ونصب زعماء أشداء على شعوبهم وما تجده من الحروب المصطنعة الداخلية والخارجية في أمريكا الوسطى والجنوبية ، وأفريقيا الشمالية والوسطى والجنوبية والشرقية والغربية ، وآسيا أخص الشرق الأوسط تلك من جهة وأخرى مناقضة لها من الدعوات والصرخات من نفس الدول المثيرة لتلك النكبات للمطالبة بحقوق البشر والدعوة إلى مساعدة المنكوبين .

إن العالم كله ليتحسس بهذا النفاق من رجالات الدول العظمى القابضين على زمام الحكم والذين إن كانوا حقاً مجدين ومخلصين للبشرية لوضعوا الأسس لرفع هذا الحيف عن كاهل الشعوب المقهورة ، ولأبدلوا ما يصرف على أسلحة الدفاع والهجوم والأسلحة المهولة لدمار البشرية وخرابها إلى سعادتها وسلامها ! . بيد أن رجال السياسة وتارة الحرب يختلفون احساساً عن علماء النفس وعلماء الاجتماع والحكماء والفلاسفة فمتى تنصاع الشهوات والأهواء النفسية المساقة بالغرائز إلى العقل الحكيم والمنطق السليم وإلى دعوات الحق وصرخات رجال العلم والدين الأتقياء ، وإلى أطباء الاجتماع ؟ نعم متى ؟ إن الحاجة أم الاختراع وإن الشروط التي تكتمل بها ساعة القيام لحكومة العدل وتحطيم الأغلال المفروضة من الزعماء المستبدين قد تهيأت كل وسائلها من الوعي العام العالمي ، وتقارب الشعور والإحساس لجميع البشر ، وتقارب المواصلات ، وسرعة الحمل والنقل وسيطرة السمع والبصر على كل أجزاء الأرض والعلم بظواهرها وباطنها ،

وبلوغ العلم أشواطاً بعيدة المدى للعلاج الصحي والاجتماعي المادي والمعنوي وكل وسائل الوقاية المقدمة، والانتظار المرير للمصلح الحكيم الجامع لشروط الزعامة من تقوى وعلم وخبرة وتجربة وملكة عقلية وبدنية، وأخيراً ولما ندركه وربما كان العلاج الشافي والقوة القهارة وهي القدرة على وقف مفعول جميع ما لدى البشر من أسلحة للدفاع والهجوم والسيطرة المادية والمعنوية الكاملة على دول وشعوب الأرض وضمها جميعاً بالقهر والغلبة البدنية والمنطقية إلى دين الفطرة والطبيعة إلى العرف، إلى الوحدة في العقيدة، والشخص إلى الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إلى الخالق المصور المبدع القدير الدائم القائم الواقف على السراء والضراء والجهر والسر، الداعي للخير والفضيلة والنافي عن الشر والرذيلة، الحق أن البشرية اليوم بلغت من النضوج العلمي والفني والنفسي والاجتماعي ومن التشابك والتداخل والدراية والمعرفة مبلغاً، لدرجة لم يدركها من قبله، وتوفرت له كل الوسائل المفروضة لوحدة الصف، لوحدة الكلمة، لوحدة العقيدة، لوحدة المسلك والمعيشة، للعدالة والمساواة، وخدمة الفرد والجماعة وتعاونها وتعاضدها كمجموعة حجيرات البدن وأعضائه وأجهزته، وتكاتف الكل لخدمة المجموع والمجموع لخدمة الفرد، خدمة صادقة أمينة دائمة متزنة متكافئة واعية، من التقارير الصادقة والإيعازات الموافقة، ولإقامة حكومة عالمية مثلى للعالم أجمع يقوده العقل إلى إيمان لدين الفطرة والعرف والمعروف ذلك دين الله في خلقه.

المقالة الثامنة

البشرية على الصراط

إلى أين يا قادة إلى أين! حذار الجهل! حذار الغفلة! حذار الطيش!
 حذار الزلّة! دونكم الحكمة والمنطق السليم، إنكم والبشرية على حافة
 الهاوية.. فالحذر الحذر قبل فوات الفرصة، والحذر الحذر من ساعة لا
 ينفع الندم! فعوا وحكموا آراءكم وانصتوا لداعي العقل والمنطق السليم،
 وصرخة الضمير واستغاثة الوجدان. لمن هذه الأسلحة الفتاكة المدمرة،
 والأجهزة النكراء المستترة، والعقول الالكترونية المدبرة، والجهود الجبارة
 المنكرة! فمن هو الخصم المقصود، والعدو اللدود؟ والله لا يحقق المكر
 السيء إلا بأهله، وكلا الخصمين المتخاصمين يحملان نفس المكر
 والرذيلة، وكل يسير في طريق الهلاك والدمار! وسينقلب السحر على
 الساحر!..

فعوا وأبدلوا الشر بالخير والباطل بالحق والظلم بالعدل، والطيش
 بالحكمة، والعنف باللين والرحمة، والقسوة والبغضاء بالرفقة والرحمة.
 وصيروا هذا الجحيم الهامد المعد للانفجار إلى نعيم يضمكم كإخوة أبرار،
 تسود فيه المثل الإنسانية: الرحمة والوصايا الرحمانية الحكيمة، أقول ذلك
 بعد أن أجهدت الفكر وتدبرت الأمور واستعرضت تاريخ البشرية منذ البدء
 وتدهورها على يد الاستغلاليين الطغاة المتغلبين بالقهر والقوة والمنفذين
 رغباتهم الصبيانية بعيداً عن الحكمة والمنطق السليم على أساس الشهوة
 والقوة شراً وطيشاً وعدواناً، أولئك الذين زحزحوا النواميس الطبيعية ليحلوا

محلها أوامر ونواهي ثلاثم أهدافهم وتوافق أغراضهم ونهمهم وحرصهم وجشعهم ، حتى إذا طوى الزمان أسلافهم وبلغوا شأواً من العلم فيه الخير العميم والشر الجسيم ويا للأسف تمادوا رغم ما لمسوه فيه من مناهل الخير ومسالك الفضيلة ، جرهم هواهم إلى معاشر الشر ومكامن الرذيلة ، واليوم ما أدراك ما اليوم! اليوم الذي لم تلق البشرية مثيله ولم تجد الأرض على سطحها عديله هذا اليوم الذي بلغ البشر أوجاً من العلم تحكم في مسير صحته ومرضه ، وتغلب على أشد الأوبئة الفتاكة بطبه ، وجدّ بآلائه وأدواته فأدرك أعماق الأرض والمحيط وتسابق في أوج السماء ، ونظر دقائق الخلقة المتناهية في الصغر وبدائع الأفلاك المتناهية في الأبعاد والخطر ، وأدرك بسمعه ونظره في اللحظة مشارق الأرض ومغاربها وبلغ كرات السماء ، وأصبح بإمكاناته العلمية من خزن المعلومات وإرسال الإيعازات ، وبلغ من الكون لكشف الذرات وأسرارها والوقوف على الأشعّات وأطوارها ، بيد أنه ويا للأسف وقف على مفترق الطرق بين أن يستخدم علمه لكسب وإدراك السعادة والنعيم التي هي قاب قوسين منه وأدنى تراه يبذلها في مسالك وعرة تسوقه والبشرية جمعاء ويعلم وإرادة منه إلى الدمار والجحيم ، وأنا نرى اليوم أنه لا فرق بين الشرق والغرب أن كلا منهما يحس مضطراً للمقابلة بالمثل للسلوك الأشد خطورة وأمرٌ بليّة على عدوه ، ناسياً أو متناسياً أن عدوه بشر مثله يقف نفس الموقف وأن الدمار إن وقع أحرق الأخضر واليابس والشرق والغرب فلا يبقى ولا يذر ، فهلا من حيلة ، وتدبير وتفكير يبدل الحرب سلاماً والفرقة وثاماً والخصومة إلفة ، بلى والله ، إنه بسلوك مكارم الأخلاق وترك النفاق وصفاء النية وحسن السجية وجمع شمل الأخوة البشرية ، وإقرار العدل الاجتماعي والتساوي والمودة والعمل بقصد الخير تصميمه ودفع الشر وتهديمه وإقرار الأحسن وتكريمه ونشر البر وتقديمه . .

لقد مضت أكثر من أربعين سنة على نهاية الحرب العالمية الثانية والتي طحنت وخرّبت وقتلت الملايين ، وتلك حربان عالميتان لتعنت الدول الطاغية ولا أسمى أية واحدة منها ، وإن كانت إحداها أشد تعنتاً فإنما كانت الأخرى هي

الأخرى سارت في سياسة طاغية غير معتدلة ، ولم يتحكم العقل والمنطق بكلا الطرفين ، وأنا لا أشك أن الشرارة تثار من واحدة فتعم بيد عقلاء الدول منذ أمد طويل على بصيرة من الأمر وذوي خبرة على اقتراب اندلاع هذه الجذوة المستعرة المستمرة والتي يجب حدها وإخمادها . . .

لقد كانت الحروب منذ الأمد البعيد يثيرها الطغاة الانتهازيون لا لحق ولا قصاص عادل ولم يردعهم رادع أخلاقي أو إنساني عما ستكسب بعد تلك الضحايا سوى إشباع رغبة دكتاتورية ، والشراسة الإنسانية قد لا تكون محدودة ، ولقد تدرجت تلك الحروب بأدوات باردة من سيف ورمح وما شاكل ، حتى اكتشاف البارود حيث انتقلت إلى حرب تستعمل فيها الأدوات الحارة من بنادق ومدافع ، وكانت الخيل والبغال والحمير والجمال وبعض العربات ذات العجلات التي تجرها الحيوانات ، والسفن الشراعية السائرة بقوة الريح أو القوى الإنسانية هي الوسيط حتى أبدلت بالمحركات البرية والمائية البخارية ثم الكهربائية وتنوعت الطاقات والأسلحة المدمرة غير الباردة ، إلى مواد كيماوية وحيوية وكهربائية ، وحتى الحرب العالمية الأولى والثانية كانت للطائرات والغواصات أثرها البالغ ، وهكذا استعمل البشر للغلبة وسائل أشد فتكاً وأسرع قتلاً وفناءً لأخيه الإنسان وكانت عاقبة الحرب انتصار فئة على فئة ، وتخلف ما تلف من معمرات المدن والقرى بيد قد يسد الغالب ما فقده عند الغلبة على بعض ما تغلب عليه من خصمه ، ورغم كل ذلك فقد كانت الخسائر أكبر جساماً ، وعند انتهاء الحربين نجد السرعة في الترميم وإعادة الاعمار وتقدم العلوم والفنون بجهد العلماء والفنانين ، ممكنة .

أما الحرب القادمة ، هذه الحرب التي أعد لها الطرفان كل وسائل الدمار وما يكفي فقط من القنابل الذرية لتدمير أكثر من سبعة أمثال ما تحويه الأرض من آثار عمرانية وحياة ، تلك عدا غيرها من مختلف الأشعات المهيثة للاستخدام التدميري كأشعة (ليزر) مثلاً ، ويضاف لذلك مختلف الأجهزة ذات المحركات على وجه الأرض ، وآفاق السماء من طائرات وصواريخ

عابرة القارات ذات الرؤوس النووية المتعددة ، وهذه الآلات الحاسبة والكامبيوتر التي أحصيت فيها كل آثار الحضارة في بلاد المتخاصمين بقصد تدميرها ، وهذه الأقمار الصناعية وحديثاً الاتوبوسات الفضائية ، لمن كل هذه؟ وما هي العلة لهذه الخصومة بين أبناء البشر الواحد بين الإخوة الحاملين لنفس الروح والأعضاء والاحتياجات والرعاية والعقل والغرائز المادية والمعنوية .

هل فكر عقلاء القوم وزعماء الدول العظمى والصغرى في علة النزاع؟! أهى عقائدية ، أهى غريزية جنسية ، أم غريزة الجوع ، أم روح الغلبة؟. أهى أمراض اجتماعية، عقلية ، روحية ، بدنية؟ أم هي الحاجة؟ ومهما كانت العلة فما هو السبيل إلى علاجها؟ وهل فكروا في الوصول إلى الوقاية قبل العلاج؟

أحسبت أمريكا أم روسيا كما هما تقيمان المؤتمرات في الشرق والغرب لتحديد الصواريخ النووية أو الأقمار الصناعية أو المدمرات الحيوية أو الكيماوية أو أشباهها تكفي وقاية لردء الخطر ، وهم الذين حرّموها وعادوا لاستعمالها بقصد القضاء على مخالفيهم ، أو إطفاء نهضة قومية أو عقائدية بقصد تحقيق أهدافهم الاقتصادية أو بقصد بيعها لشعوب آمنة بعد إلقاء الفتن والخصام بينها بغية سلب ثرواتها الطبيعية وقصد خنق أصواتها وارغامها على شراء الفائض من أسلحتها القديمة التي أصبحت متأخرة ومهملة ، ودسّها بيد الشركات ، شركات الأسلحة وشركات النفط وأيديهم من الشركات التي أقامت أعمالها على أمثال هذه الأفعال والتجارات الشائنة دون رحمة أو رأفة ، ولم تكن أمريكا وحدها ، نعم لم يكن الغرب هو المذنب الوحيد بل الشرق الشيوعي هو الآخر يقود ويقوم بنفس الأعمال ولنفس القصد ولكسب منافع متقابلة .

أترى الغرب وما فيه من دول عظمى وصغرى ، والشرق مثله ، أحقيقة طلبوا الإصلاح البشري الواقعي وخانهم الحظّ أم جهلوا أصول الوقاية والعلاج ؟ أم ترى الغرب رغب وطلب الإصلاح الواقعي له ولخصمه وللشعوب الثالثة وطلب الصلاح وخانه الشرق! إننا كطالبيين للحقيقة والواقع

نرى في سلوك الطرفين محاسن ومساوىء ، وكلاهما يعرفان ويميزان الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، كالرجل الفرد العاقل المغلوب على أمره بحكم إفراط وتفريط غرائزه الجامحة التي أعمت بصيرته وحددت إرادته وحسنت له السيئة ، فخدع نفسه بنفسه يزين القبيح ليراه جميلاً ، ويقبح الجميل ليراه قبيحاً ، وهكذا تعمل الدول وعلى رؤوسها زعماءها المادة أطرافها لشتى نواحي المنشآت والأعمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، قابضة على زمامها ، تسوقها إلى جهة أهدافها الخاصة باسم المنافع العامة لا يردعها رادع مهما بلغ من الدناءة ، ولا يعيقها شيء ، لا مصالح شعوبها الخاصة ولا شعوب العالم ، ومنها رجال السياسة وزعماء شركات الترس وأعاونها ومحركهم ذووا النفوس الشرهة الجشعة التي لا تخدم جذوة شررها في الشرق والغرب من تعميم الفساد المادي والمعنوي ، ومن بينهم بائعو المخدرات والمسكرات وشركات التدخين ، وأشد منهم بائعو الأسلحة ومن جاراهم وأعانهم ، وذووا المصالح الخاصة الاقتصادية ، الذين لا يهمهم أي مصلحة سوى جيوبهم وبعدها احترق الشرق أو الغرب كأنهم سيخلصون من الكارثة ، ولا تهمهم الولايات العامة والخاصة ، كلاً ولا تعيقهم تجارب الماضي البعيد والقريب ، ولا تثيرهم صرخات رجال العقل والحكمة ، ولا يضيرهم تأنيب الضمير والوجدان ، فهدفهم هذا المادي الخالي من سمو المعنى والخلق الرفيع المحشو بالخسة والرذيلة حتى علي أنفسهم . كلاً وألف كلاً .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

نعم ما في الجنان يظهر على صفحات اللسان ، فهذا البشر الماكر المخادع المنافق يقابله خصم مثله ، طبق النعل بالنعل وكل منهم مفضوح لا محالة ، وكل منهم قد سقط اعتباره وصدّق قوله تجاه الآخرين ، وكل منهم اعتقد بكذب خصمه إذ كل منهم فقد في نفسه الثقة ، وكيف يثق بخصم يمثله ويحمل نفس مساوئه وحقده وحذره وكيد ، فكيف إذن الحيلة ، وكيف هي الوقاية؟ قد تكاد تكون مستحيلة ما دام كلا الخصمين يحملان هذه

الصفات وكلاهما فقد الثقة بالآخر ، وهل هناك حكم يرضيانه أو قوة القاهرة يخشيانه ، وكلاهما فقد الإيمان بقدرته الله وإرادته ، بل جهل نواമيسه وعقاب مخالفته ، أو تجاهل تظاهراً نفاقاً ومكراً بالحقيقة ، إننا بحاجة ماسة قبل كل شيء وقبل أن يطلب كل من خصمه المحبة والرفقة وإحلال مسالك الفضيلة والخير مكان مسالك الرذيلة والشر واتباع الحسن وإهمال القبيح واتباع الحق ونبد الباطل ، نعم قبل كل شيء عليه أن يتحلى بتلك المزايا ويستمر عليها ، وتشع من أساريه وأقواله وأفعاله ، ومع هذا فقد جبلت النفوس منذ بدء خليقة البشر على التناحر والتنافس ، والنفس المليئة بالأنانية قابضة على زمام هذه النفوس .

أما اليوم فالكارثة نصب العين ، ولم تكن هذه المبتكرات البشرية المبيدة إلا واقعية أكيدة ، وكل طرف يحس بعظيم شرها وجسيم هولها ، وانها متى انبثت من جهة تلتها الجهة المخالفة والعاملة على دك معالم المدنية والبشرية جمعاء ، وماذا بعد ذلك غير الذلة والخسران والنكبة والهوان الذي سيشمل لا الخصمين المتناحرين ، بل شمول الويل والثبور كل المعالم الإنسانية ، وربما محوها من الوجود ، فأية عزة وأي شرف ، وأي نتيجة يقصد كل منهما لنفسه وغيره؟ ، فكيف السبيل؟ وما هي الحيلة؟ نعم هناك سبيل واحد لا غير ولا سواه ، وهو :

١ - انتخاب لجنة تنظيم خيرة من الخبراء والحكماء السياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين ومنحهم الحل والفصل العدل سريعاً بتصميم الطرفين على حسم الخلاف حسماً يقره المنطق السليم من خبراء وحكماء وعلماء من كل الجهات المتنازعة المتخاصمة بنية صادقة خالصة من أية شائبة سوء ، ثم قصد النفع الإنساني والبشري العام دون تفضيل جهة على جهة .

٢ - وذلك بقصد توحيد جميع الحكومات الكبيرة والصغيرة وتشكيل حكومة عالمية واحدة مثلى تحت لواء واحد كدولة فدرالية تضم الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، ذات نظام فدرالي تشملهم جميعاً العدالة

الاجتماعية والضمان الاجتماعي وأعضاؤه وقادته كل له امتيازات حجيرات
البدن الإنساني الواحد ينقاد لمركز دفاعي واحد وكحجيرات المخ الإنساني
المصون بأعظم صيانة في البدن ، وهو الأمر الناهي الوحيد الذي تصله
الأخبار صادقة ، وتخرج منه الإيعازات صادقة ، ويقصد النفع العام لجميع
أطراف البدن على حد سواء ، بما فيه من أجهزة متنوعة وحجيرات متباينة ،
وهي متماسكة متعاونة مع بعضها رغم قيام كل جهاز وما يضمه من حجيراته
الخاصة الدائبة ، كل بعمله دون أن يقطع صلته بأجهزة البدن وحجيراته
ودون أن تنقطع عنه الامدادات اللازمة والإيعازات الخاصة . ورغم اكتفاء كل
فرد وجماعة منها بما تحتاجه فلكل حسب لياقته وأهمية مكانه وعمله من
الجسم الإنساني يمدُّ بالحاجة من الطعام ونوعه الملائم له والرقابة والخدمة
اللائقة به . وهنا نجد اختلافاً بين حجيرات الأجهزة وما يخص كلاً
وأهميته ، فحجيرات المخ والقلب والكبد والكلية والسمع والبصر والذوق
كلاً لها شأنها ، والعناية والطعام الخاص بها لتمدها بالحياة والاستمرار
المناسب بيد تختلف نوع العناية ونوع طعام كل منها عن الأخرى ، وهكذا
يجب رعاية أجهزة الحكومة العالمية الواحدة المثلى ، هذا مع رعاية وقايتها
من الناحية الصحية وعلاجها عند المرض .

هكذا يجب رعاية الجامعة الإنسانية ووقايتها من الداخل والخارج ،
فالداخل هو عدم وضع الفرد في غير محله ، فلا يجوز إبدال حجيرة المخ
بحجيرة القلب أو الكبد أو العظم أو الجلد ، ولا حجيرة الجلد بحجيرة
أخرى مهما كانت عالية أو دانية ، فوضع الشيء في غير محله فيه الضرر
المؤدي لشتى العلل والأسقام كما يجب حفظه ما من الخارج سواء أكان
عضوياً أو مادياً ، وهكذا الجامعة البشرية . فإذن قبل كل شيء تحتاج
الجامعة البشرية لدولة عالمية مثلى ذات مصالح مشتركة ومتعاونة ودائبة ،
وعادلة وصادقة ، في الأخذ والرد ، والخير والشر ، وفي كل أمر مادي
ومعنوي ، تحت رقابة ورعاية خاصة وعامة وجهد وظيفي غير منقطع .

وبعد تشكيل هذه الحكومة العالمية المثلى ، يجب - كما مرّ - توحيدها

في جميع الموارد المادية والمعنوية وكلما هو أقرب للفطرة والطبيعة من كلما هو خير شامل وحفظها من كلما فيه ضرر شامل ، والانفاق على أساس ما يدلي به ذوو الخبرات بعد أن وضعنا هؤلاء الخبراء كلاً في مقره الخاص به ، ورقابة الفرد والجماعة بالعناية اللازمة لاحتياجاتها المادية والمعنوية ، وإن الذي يدخر إنما هو إدخار يشمل الجميع بخيره ، كما أن المسرة والألم تشمل الجميع حكمه حكم عضو في البدن الإنساني لو أصيب بضرر وكيف تهب ما في البدن لإصلاحه ، هكذا يجب للفرد في الجامعة أو الجماعة في الدولة الواحدة . وعندها لا ترى إزاء هذه الحكومة الواحدة دولة تخصمها وتجمع من عُدّة وعدد ضدّها ، وتضحى بأوقاتها الثمينة ، بالأفكار المزعجة المزرية على غيرها ، بل هي جميعاً كل نظير الآخر وخادمه ومعاونه والخدمة وظيفه عامة وخاصة .

وعندئذ يفرغ بال الأفراد والجماعات من الجدد في الحروب والمخاضات والتشتت والمنازعات ، للوحدة والالفة والتعاون يتحتم بعدها وضع أصول جامعة وافية لخير البشرية وأخرى لسد حاجاتها ، وعلاج أدوائها ؛ مما كان قبل الوحدة غير ممكن .

هل يمكن تشكيل هذه الدولة الواحدة المثلى؟ ومن يشكلها؟ :

لقد مر وذكرنا إمكانها اليوم ، لا قبلها بمئة سنة ، لتوفر شروط ذكرناها ، ولعلل تستوجب ذلك ، فمن يقوم بهذه المهمة؟ لقد ذكرنا شروط قيام هذه الدولة ، وذكرنا المميزات التي تلزم للمصلح وأنصاره وأعوانه ، والحس بالحاجة أم الاختراع والابتكار ، وها هو الحس عام أخص لدى حكماء البشر وأشدّهم علماً ودراية بالمخاطر المحيطة .

إن كل المؤتمرات الرامية لحد سلاح مدمر كالذي يجري اليوم بين الشرق والغرب باطل بطلاناً مطلقاً ، وكل اتفاق محدود غير مجد وما هو سوى تخدير وخداع ، والحل الوحيد هو الوحدة المادية والمعنوية وطلب الإصلاح العام تحت لواء واحد يحمل على عاتقه المصلحة العامة والعدالة

الاجتماعية ، يرمي إلى الضمان الاجتماعي وتساوٍ شامل لسكان الأرض ، ولا فضيلة فيه سوى للخبرة والعلم والحكمة وحسّ الحب والرفقة وضرورة الخدمة والمعاونة البشرية كوظيفة ذاتية غير إجبارية ، وإطلاق الحريات المشروطة بعدم التعدي والتجاوز على حقوق الآخرين ، بل بذل الفرد لأخيه الإنسان بذلاً يواسيه مواساة مودة أخوية ، تسعد بها نفسه ويرضى ضميره ويسكن وجدانه ، وأن تكون الأخلاق السامية والمعاملات الحسنة من السجايا والصفات الأصيلة الإنسانية والعطف والرحمة والمحبة والالفة من المزايا التي يجب أن يطرد بها روح الأنانية والحرص والاعتداء والظلم وهضم أي حق لذي روح مهما كان .

وهكذا نضع بعض الأسس كشرعية للدولة العالمية المثلى ونبدأ بوضع الأسس الوقائية لاتباعها من قبل الدول على اختلافها أخص منها العظمى التي بيدها الحل والربط ، كمقدمة للوحدة ، وبعد أن وافق عليها الجميع واتبعوها أصبحوا مهئين للوحدة وقيام حكومة عالمية . وعندها تقوم أسس جامعة لهم جميعاً . إذ كل من دول الغرب والشرق ترمي إلى سعادة الفرد والمجتمع ، وبالتالي التأمين السياسي والاقتصادي والاجتماعي وإحراز الحريات المشروطة بدون ضرر للنفس والغير وهي ستكون حتماً أولى أصول الدولة العالمية المثلى .

الفصل الأول :

إن الأسس الضرورية كمقدمة تتبعها كل دولة على حد سواء حيث تتقارب بأصولها وعقائدها هي : —

آ) السرعة الفائقة بقصد تلافي الأخطار المتعددة المتزايدة تزايداً تصاعدياً متضاعفاً بمر الزمان وفي عدد السكان وضبط وحجر مسبباتها لإيقاف أخطارها المباشرة وغير المباشرة ، والتي تقوم بتعديلها وتطبيقها الحكومة العالمية المثلى وحدها ، والتي سوف نشرح علل التزايد ومضراتها عند بحث الأسس التي سندرجها في الفصل الثاني .

كما أن السرعة تتبنا تلوث المياه والهواء الذي هو في طريق التزايد بعزل المتخلفات الحاصلة من المعامل والمواد الكيماوية والفيزيكية والحيوية والطاقات المحترقة على اختلاف أنواعها والتي يجب حدها ، أي يمكن وقفه وحده للمصلحة العامة للحكومة العالمية المثلى ؟ .

ووقف الأخطار والجهود المبذولة لابتكار وإيجاد وتزويد الأسلحة المدمرة الضارة وتحويلها إلى المعمرة النافعة من خاصة وعامة .

ب) توجيه النوايا والأقوال والأعمال مطابقة لبعضها ظاهراً وباطناً لاثبات حسن النية وصدق الطوية من كلا الطرفين المتخاصمين الطالبين للإصلاح .

ج) انتخاب لجان من رجال ذوي كلمة وخبرة ، وروح إصلاحية واقعية متألفة من الجانبين تحاول وتقصد الخير والفضيلة والإصلاح والالفة والمحبة وتتحاشى إثارة الأحقاد وجرح وخدش النفوس والسير بروح أخوئية وعقيدة إنسانية جليلة خالية من سوء الظن والحزازات متواضعة نبيلة عالمة خلت من الطمع والتكبر والحقم والجهل والتعصب الجاهل والتعصب الأعمى .

د) وضع أسس جديدة مبدئية في كل دولة تجمع المحاسن من الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، وأهل الأديان والآراء ، ونبت المضرورة منها وتركيز أنظمة وقوانين معنوية أخلاقية إلى المادية القائمة تمهيداً لتوحيد الدولة العالمية الإنسانية والسلام البشري فسعادته .

هـ) إعطاء المجال للحريات الفكرية وإبداء الآراء من ذوي النفوس الرامية والمندفة بقصد الإصلاح والعدل الاجتماعي للنوع البشري دون تحيز .

ز) الحذر كل الحذر من الأنانيات الفردية أو الجماعية من أفراد ضد أفراد أو جماعات ضد أفراد أو جماعات بروح وبمثل إنسانية وأخلاقية سامية والحذر كل الحذر من كل ما يثير النعرات والتعصبات والمنازعات وسوء الظن

ويبعث الخصومة والكراهية في النفوس ، بل العمل لشد أواصر البعض للآخر وإيجاد روح اجتماعية موحدة ، وأما الأفراد المخالفون والأنانيون المناهزون والمنافقون فيجب معاملتهم كمعاملة مرضى يحملون عقداً روحية أو اجتماعية ويحتاجون إلى علاج أو هم ذوو نقص وبحاجة للتكميل دون إثارة الرعب ، بل معالجتهم بواسطة أطباء خبراء بعلم النفس والاجتماع ، وسد نقصهم مع إحساسهم بالعطف والرضا والقناعة وحد أضرارهم لأنفسهم وغيرهم وإدخالهم مستشفيات نفسية للمعالجة لا سجوناً للمقاصصة . حتى إذا تم الفصل الأول وتهيئت كل دولة للتنازل عن بعض ما يضر الصالح العام وضمن أصول وقواعد تفيد وتحسن الوضع العام وترمي لإسعاد الفرد والمجتمع ، بعد الخبرة والتجربة ، حتى إذا تقاربوا وأقروا أصولاً نالت موافقة الجميع ، وانتخبوا خبراء يمثلون كل الطوائف الإنسانية جمعاء ، كان لهؤلاء الرأي الصائب للحل والفصل وجلسوا في مركز المخ من الرأس وبعدها يبدأ الفصل الثاني . . .

الفصل الثاني :

١ - المتخبون : وهم من ذوي الخبرات وأسماهم حكمة ودراية وعلماً وأخلاقاً سامية وإحساساً وحباً للإنسانية دون تمييز عنصري من لون وجنس وقبيلة ولغة ، وكل ما له ظاهرة مميزة ، ودون فرق بين ذكر وأنثى ، إذ ربما كان للأنثى مقام علمي وحكمي وأخلاقي وذاتي سام أكثر من الذكر واسناد الأمور إليهم وجعل القول الفصل حسب الخبرة ، لإرجاع ما يخص البت فيه من نوع المطلوب ، ولهؤلاء انتخاب أجهزة هذه الدولة الواحدة الإنسانية على شاكلة البدن الإنساني المتشكل من رأس إلى قلب ودورة دموية ورئتين وكبد وكليتين وأعضاء حس وحركة ، إرادية وغير إرادية ، وأجهزة سمع وبصر وذوق وحس وذائقة وغدها وغيرهما ، وعروق وأعصاب وعضلات وجلد و . . الخ . . وكل ما يحتاجه من صيانة لحياة سعيدة هائلة متعاونة خادمة الواحدة للأخرى ، الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، وما يكتنف ذلك من تعميم الأفراح والأحزان والاشتراك بكل ما يملكه البدن من

طاقات ومواهب دون أن يستغلها فرد أو أفراد أو جماعة أو جماعات ، هذا إلى صدق الأنباء الواردة وصدق الإنجازات الصادرة دون مخالطة أو رياء أو محاباة لجهة دون جهة ، بل هي الوظيفة والشعور العام ، والمصلحة العامة ، والعدل الاجتماعي والضمان الاجتماعي ، وبعد وضع كل جهاز للقيام بمهامه ، دون مداخلته جهاز آخر فيه إلا بما وضع لها من ضرورة التعاون في أصل التشكيل ، وعدم قيام وترميم جهاز بغير نوعه كالكد بالكلية أو السمع بالبصر ، إذ أن ذلك تخريب وتدمير وسلوك يؤدي للضرر العام والخاص ، هذا مع وقاية عامة من الداخل والخارج من عبث حيوي أو غير حيوي داخلي أو خارجي كما تدخل المكروبات في الداخل في إحدى الأعضاء فتحتمل مثلاً للوقاية وبعدها للعلاج ، أو دخول مواد معدنية أو حيوية أو غير حيوية ، يجب إخراجها وتصفيتها أو صد عاديها ، أو كانت هذه المواد الحيوية أو غير الحيوية تسببت من الخارج يلزم وقايتها أو يلزم علاج ما خربت .

وكل تلك التي تحصل في البدن الإنساني لها مشابهاتها في جسم الأمة أو الدولة العالمية يجب رعايتها في الوقاية والعلاج . وهناك موارد الحاجة للبدن من نوم وبقظة وراحة وتعب وتمتع روحي وبدني لها مشابهاتها في المجتمع الإنساني ، والدولة العالمية يلزم رعايتها بحذافيرها ومشابهاتها ، وبعدها تعود لإزاحة ما ألم بهذا البشر من كوارث لعلاجه ، وما يخشى عليه من المستقبل لوقايتة . ولا يفوتنا أن للبدن درجة اعتدال إن هزل أدى به ذلك إلى الضعف والتعرض لقلّة المقاومة من العاديات الداخلية والخارجية ، وإن سمن عاد عليه بعلة وأمراض أخرى ، وهكذا المجتمع الإنساني يجب مراعاة ذلك فيه ، وطبعاً : الوقاية خير من العلاج أي وضع أصول وسلوك مسبق لمنع الهزال والسمنة وإتباع حد الاعتدال البدني المادي والمعنوي ، وبعده ننظر ما يجب عمله ؛

(١) الوحدة والعقيدة دون إكراه أخص ما يقره العقل السليم ، وكما أن البشر متحد في الخلقة والإحساس وفي التركيب والأجهزة والحاجة وامتلاكه

العقل والغرائز ، وتركيبه المادي والروحي والوراثي ، وتأثره بالتربية والمحيط ، وامتلاكه نفس النوع من الحواس الخمسة ، والمقدرة التفكيرية والقدرة على كسب الخبرات بالتجربة والتعليم ، فعليه يلزم توحيدته إلى الأصلح من العقيدة توجيهاً تربوياً واجتماعياً .

وكلما اتحد في العقيدة اجتمع شمله وزاده الفة وسعادة ، وإحساساً بوحدة الوجود ، وعظمة الخالق المبدع المهيمن القدير الوهاب ، للعقل والحكمة في النفوس ، العادل المراقب والمحاسب للخير والشر مقر النواميس الطبيعية في أصل الخلقة ومبدع الأحياء ومعطي كل حيٍّ هداه وسيرته الطبيعية والمميز للإنسان على جميع المخلوقات بالعقل والفكر والابتكار واكتساب العلم بالتجربة والتعليم ؛ هذا الخالق الذي وجه النفس الإنسانية هذا التوجيه ووهب كل القوى المادية والمعنوية وبعث فيها قوة التمييز بين الحسن والقيح والخير والشر والعدل والظلم وجميع منابع الحياة ومعرفة الفضيلة من الرذيلة ، جعل لها قصاصاً عاجلاً أو آجلاً ، حسب الوقائع والأعمال . وعلمه التجزئة والتركيب وما يلزم إتباعه والامتناع عنه ، وعلمه الصالح من الطالح وعرفه الصديق من العدو ، وترك فيه المميزات والصفات ، وقدرة الاستنتاج وسبل الخير والشر . هذه الهداية إن اتبع أصولها سعد وإن خالفها شقي ، وكما جعل له حساً ظاهراً كالذوق يلتذ بالحلاوة ويشمئز من المرارة ، جعل له حساً باطنياً يلتذ بالبر والإحسان ويشمئز من الظلم والاعتداء ، وجعل جزاء أعماله المادية والمعنوية تتفاوت من الحاضر إلى المستقبل خيراً أو ضرراً من الساعة إلى الساعات والأشهر والأعوام والأباد ، وجعل لها قصاصاً على قدرها تتدرج من الحاضر للمستقبل القريب والبعيد ، وهناك المحاسبة على النيات والأقوال والأفعال : هو الخالق الذي جعل لنا قدر كامبوتريه نحاسب بها أنفسنا وغيرنا ، أبدع في كونه قدرات لم تتوصل إليها ، تلك هي حفظة لدقائق نوايانا وأقوالنا وأعمالنا وعدم زوالها ومراقبته ومحاسبته لنا على قدر حسننا وإدراكنا وعلمنا وخبرتنا . تلك هي الوحدة المتناسكة والمنتھية إليه والتي نحس آثارها وعليها رعايتها في قرارة أنفسنا ، وهي علّة العلل في بقائنا وسعادتنا وشبقائنا .

علينا أن نعلم أن إقرارنا بها يبعث فينا سلوكاً سيئاً ، لهناء أفرادنا وجماعاتنا وعلينا أن نعترف برقابة ومحاسبة كونية لا تنفك عنا أبداً ، هي علم الله المبدع لدقائق الكون وعظمته ، والذي لا يغرب عنه شيء فيما تضمنه الجواهر والذرات وما تضمنه الخلقة من كبيرة ودقيقة وقرينة وبعيدة وحية وجامدة .

ولو آمنّا بهذا كلّ لكفانا سعادة وتواضعاً وقناعة وسعيّاً للخير وردعاً للشر وعندها اللفة والوحدة والسعادة والحياة الرغيدة ، فالوحدة في العقيدة وتجريد النفس من الشوائب وإن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، وكل ما جاء من عقائد مادية أو معنوية علينا اتباع الصالح منها^(١) ونبد الطالح ، وبعد ذلك توحيد اللغة والكتابة إلى أسهلها تعليمياً في قواعدها وعدد حروفها وجمالها وسرعة أدائها ومناهيها ، مما يزيدنا علماً وخبرة وتفاهماً مع بعضنا فاللفة وحياً ففوة فسعادة .

(٢) رعاية العدالة : العدالة في الذات والعدالة الاجتماعية للأفراد والجماعات الإنسانية والأحياء . بالنسبة للنفس والمال ، في الموارد المادية والموارد المعنوية .

(فالمادية كالافراط والإسراف القائم في أوروبا وأمريكا وعكسه الجوع القاتل في الحبشة وأفريقيا وبعض أقطار آسيا ومنها إقامة المجازر في الشرق الأوسط بغية شراء النفط بأبخس الأسعار وتحميل بيع الأسلحة لهم بأعلى ثمن وقتل الأبرياء وتشتييت المفكرين والعلماء والمصلحين من بلادهم) .

فاللعدالة شروطها بالنسبة للنفس ، فعلى المرء أن لا يسبب لنفسه ظلماً مادياً فلا يجهدا ويرهقها باتعاب بدنية غير مجدية أو أكثر مما تتحمل من

(١) قوله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ وبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ .

أعمال فوق طاقتها ، أو حرمانها من الراحة والنوم الكافي ، أو إقامتها في بلد يديره سلطان ظالم ، أو زوجها في موارد مجهدة نفسياً وعرضتها لآلام نفسية أو تعريضها لصدمات بدنية أو ما يضر السمع أو البصر أو عضواً آخر دون جدوى ، أو إنهاكها بالمواد المخدرة والتبغ أو المشروبات الكحولية أو تعريضها لمجالس الشرب والسهر والقمار وما شاكل ذلك ، مما يعتبر ظلماً للنفس وجالباً لها نوعاً من الاتعاب والآلام البدنية أو الروحية والصدمات المؤقتة أو الدائمة . أما العدالة الاجتماعية فهي أي نوع من تجاوز من الفرد أو الجماعة على الفرد أو على جماعة أخرى ، من كل انتهازي ومتجاوز على الأنفس أو الأموال بالسرقة والخداع وابتزاز الأموال أو القتل أو بث الفتنة وخلق مشاكل مما يعملها الأفراد والشركات الكبيرة كشركات النفط أو شركات الأسلحة أو الدول والقيام بظلم شعوب وأمم أخرى، لسلب ثروتها بأبخس الأسعار وإلزامها بشراء الأسلحة المكدسة لديها بأسعار باهظة ، بعد إقامة فتن داخلية أو خارجية وحروب فيما بينها كما يحدث في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، واضطرارها لبيع ثرواتها بأبخس الأسعار وشراء الأسلحة بأعلى الأثمان ، وقتلهم بعضهم بعضاً للسلطة والحكم ، وإبعاد كل ظالم وسافل من منصب القضاء وإصدار أحكام جائرة ، أو قيام تصفيات داخل إدارة الدولة لمحض إرغام الأفراد على إصدار أحكام جائرة ، أو الفتك بأفراد خشية إيقاظ الرأي العام ، كما حدث في كثير من الدول ، أو انقلاب غير عادل وإرهاق الشعب بأيدي انتهازيين من ذوي الأطماع الداخلية أو الخارجية وإقامة أمراء وسلاطين ذوي حكم مطلق يعملون ما يشاؤون وخنق أصوات الأحرار والشعوب بالقتل والفتك والتعذيب ، وحتى دون أي ذنب أو إساءة ، ويكفيها نظرة في كثير من الدول في الشرق والغرب وأخص الشرق الأوسط وكل الدول المنتمية للعالم الثالث .

ولا نريد أن نذكر دولاً بالإسم فهي أعلام في ثرائها النفطي والمعدني تستغل ثرواتها أقلية من أمرائها متممة هي ومن اصطنعها وأشاد حكمها من الدول العظمى ، بينما نرى شعوبها في فقر مدقع وجهل مريع وتحت ضغط

وكابوس يعلم الله بعظمها ، بل كلها العوبة بيد الطغاة من الدول العظمى حيث تسخر ثرواتها في بلادها ولغاياتها وتلزمها كيفما تشاء وحيشما شئت وأكثر تلك الدول النفطية الغنية ذات شعوب مهضومة مكبلية ومحرومة وويل لمن أن أو تملل أو تفوه واشتكى ، أو كتب وجاهر وفضح الحقائق ، تلك المظالم لا يقضي عليها سوى قيام حكومة عالمية مثلى تقوم بالقسط والعدل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات في مغارب الأرض ومشارقها دون تفرقة عنصرية أو لغة وجنس ، وتعطي كل إنسان حقه من المجتمع الإنساني كضمان اجتماعي .

ثروات الأرض : وفي الأرض ثروات سطحية وباطنية ، من حيوانية ونباتية وهواء وماء ومعادن مطمورة . وهي بين مملوكة بحق الشراء أو العمل من أراض معمورة بالبناء والعمران أو مشجرة أو مزروعة من قبل أفراد أوقفوا جهودهم على هذا الانتاج فحق لهم استغلال ثرواتها بعد أداء الحق العام للدولة بأذلة جهودها لإقامة الحقوق وحفظها والدفاع عنها ، ولمن حفر ونقب حق تنقيبه وأتعبه الفكرية والبدنية دون غمط الحق العام العائد للحكومة لتوزيعه على الموظفين المحافظين والمعوزين من ذوي الحق في الثروة العامة ، وكل ما لم يستغله الأفراد بالعمل من الظاهر والباطن فهو حق عام للجميع من هذه الدولة العالمية المثلى دون حق لفرد دون فرد أو جماعة دون جماعة ، فالمياه الأرضية ، والمعادن الجامدة والسائلة في باطن الأرض والغابات والأحراش والأدغال ، وما تعطيه من ثروات الثمر والخشب والثروة الحيوانية غير المستغلة من أيدٍ خاصة هي ملك لجميع أفراد هذه الدولة العالمية أي لجميع سكان الأرض . والحكومة العالمية القائمة على إدارة الأمور عليها رعاية الأفراد جميعاً على حد سواء لتأمين أمنهم وحاجاتهم وصحتهم وتعليمهم ورفاههم وإدارة أعمالهم وتقسيم هذه الشؤون والأعمال حسب كفاءاتهم مسؤولية ضامنة لهم حق الحياة والعيش بسلام ومساواة وعدالة دون تجاوز واعتداء فردٍ أو جماعة على فرد وجماعة

(٣) وضع الشيء في محله : ومن أهم أصول الدولة العالمية المثلى

هذا الأصل وهو من مميزات العقل والعامل وأهم المميزات التي أثبتتها الطبيعة في أصل الوجود وأعظم نواميس خلقه الله المبدع الحكيم ، وكمثال نعود إلى جسم الإنسان وما يحويه من حجيرات وتراكيب وأجهزة وطاقت وقيام كل بعمله ، فالبدن الإنساني يبقى سالماً هائناً حياً ما دامت أجزاؤه وأعضاؤه نقية من الشوائب ، كل قائم بعمله خير قيام ، ومتى أصاب الجسم عطب أو دهنس أدنى إلى بتر عضو أو إعاقته عن عمله ، أو تلف جهاز من أجهزته اختلت كل أجهزة البدن من أقصاه إلى أقصاه لا يهدأ حتى إعادة العضو لمقره ، أو استبدال جهاز سالم بمائل مكان المعطوب ، كزرع كلية مكان كلية مع مراعاة نوع الكلية وسلامتها ومشابقتها بالجنس من كل الجهات المميزة وبدقة . أما وضع عضلة أخرى مكان الكلية مهما بلغ ذلك العضو من رفعة المكان كاستبدال قلب بمكان الكلية فهو هنا يعطي البدن عكس ما يرجو إصلاحه بل أدام خرابه واضطرابه حتى الموت .

ولكل جهاز حجيراته المميزة به التي يجب استبدال العضو والحجيرة التابعة بنفس النوع حذو العضو بالعضو والحجيرة بالحجيرة ، أما وضع الشيء في غير محله فهو عمل لا يقوم به إلا جاهل أو عالم مغرض بقصد التخريب ، فلا يجوز وضع رجل الاقتصاد محل الطبيب أو الفقيه مكان الميكانيكي أو المزارع مكان الرجل الرياضي ، وهذا ما تستعمله الدول المستعمرة بمداخلتها في شؤون غيرها الضعيفة لاستحواذها عليها بعد تضعيفها إدارياً داخلياً بوضع الأمور بأيدي غير ذوي خبرة وكفاءة ، وقيام كل جهاز تحت نظر من يجهل إدارة أمورها كوضع المتخصص في أمور المال في إدارة الميكانيكات ، ورجل الصحة الطبيب في وزارة التجارة أو الخارجية وهكذا فهو تخريب .

وأذكر أدناه حادثاً شاهدته بنفسي في العراق على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية في عهد السلالة الهاشمية وفي عهد كانت تدار الأمور في الداخل والخارج تحت نظر مستشارين إنكليزيين في الداخل والخارج ، وهو أن شاباً عراقياً كان قد تخصص في ألمانيا على دراسة الآثار القديمة

وحيث أن العراق له مركزه في العالم القديم من الحضارة المرموقة وأنه ليس في العراق رغم متاحفه العديدة ، ليس لديه متخصص لإدارة هذه المتاحف فقد حسب هذا الشاب المتخصص بألمانيا أنه قد أجاد في دراسته وسيكون عضواً مرموقاً ، ومفيداً في علمه وقيامه بالواجب . بيد سرعان ما خابت آماله وأصيب بصدمة في الصميم ، حينما قدم شهادته الراقية بالآثار القديمة ، وإذا بالمراجع الرسمية في الدولة تنيط له أن يكون معلماً باللغة الإنكليزية ، وإذا به يستشيط غضباً وهو يردد ويرتعد ويصبح في المجتمعات أيها الناس انظروا واحكموا كيف أن دولتنا تريد مني أنا المتخصص بالآثار وأنا الذي لا أعرف سوى اللغة العربية واللغة الألمانية أن أكون مدرساً باللغة الإنكليزية ، ولا أعرف بعد ذلك ماذا كان مصيره ، ولا بد وأنه كان مصيراً أسوداً . وهكذا يكون أثر الاستعمار في كل الشؤون من وضع الشيء في غير محله بقصد التقهقر وإدامة الجهل فالضعف والشقاق . .

وليس هناك أحسن وأجدر بالإدارة الحكيمة سواءً جماعة كانت أو شركة أو دولة لكي تصبح ناجحة قوية بكيانها وسيادتها فسعادتها إلى وضع الشيء ووضع العضو في مكانه اللائق به ، من حيث ما يحسنه وله فيه خبرة كالأداة التي تزود بآلات كهربائية أو ميكانيكية فإنها لا تؤدي وظيفتها حقاً ولا يقوم الجهاز بأداء وظيفته أداءً تاماً إلا إذا وضع ذلك في مقره الخاص به وإلا فعاقة الأداة والجهاز العطب والتلف والبطلان . إذن يجب أن يكون هذا الأمر أصلاً في إدارة الدولة العالمية المثلى المنتظرة ، صدعاً للإصلاح .

٤) رعاية الحريات واطلاقها في المفيدة وغير المضرة وحدها في المضرة :

وللإنسان رغبات تثيرها غرائزه منها ضرورية له لإدامة حياته كالأكل والشرب والنوم واليقظة والجهد والعمل وتقابلها الاستراحة والاستقرار ، ومنها التحري والتفكير والتجربة والتعليم التي تسوقه للمعرفة والخبرة والعلم والفن والعمل المجدي والابتكارات والاكتشافات العلمية والفنية وحرية الرأي والقول والعمل والبيع والشراء والتنقل والتمتع بحواسه المادية والمعنوية ،

ومنها أنواع الرياضات والتجولات والألعاب ومنها جنسية تسوقه للمتعة وإيجاد النسل وتشكيل العائلة ، ولكل غريزة من غرائزه المتعددة المارة الذكر أثر في تقدمه وتأخره والنصاب بين الزيادة والنقصان والحد المفيد هو المعتدل أخص منها في الغريزة الجنسية وغريزة حب الظهور وغريزة الأكل والشرب ولكل منها حدود وشروط ، إن وقف عندها كان فيه خير وخير الجامعة ، وإن قعد عنها أو تجاوزها عن النوع والحد كان فيها خسرانه وضرره وضرر الجامعة .

غريزة الجوع والعطش إنما قامت في البدن لإدامة الحياة واستمراره لسد ما ضاع ونقص من البدن بحكم الحركة وحرق الطاقات والإفرازات المندفعة منه وحس الشهية ، والتلذذ غريزة تحب وتدفع الجسم الحي لسد ذلك النقص ورفع الحاجة ، فإن قعد المرء اختياراً أو قهراً عن الأكل والشرب اعتراه الضعف والانهاك وربما إلى الموت ، وإن أكثر من الأكل والشرب ابتلى بالتخمة وسوء الهضم ، وربما جره ذلك لأمراض أخرى ، والإنسان بحاجة لاستنشاق الهواء النقي الخالي من الغازات المضرة كأول أكسيد الكربون أو ثان أكسيد الكربون ، فهو بحاجة للأكسجين وتنقية البدن من كربون الدم وتنقيه مجاري التنفس ، وهو بحاجة لأنواع متعادلة من الأملاح والمواد الزلالية والدهون والكربوهيدرات وأنواع من الفيتامينات ، وهناك أملاح سمية وأطعمة وأشربة غير صالحة ، وغازات سامة ، كلها تحمل للبدن عللاً وأسقاماً هو في غنى عنها فكثرة الطعام حيناً ونوع الطعام والشراب وتدخين مواد تحمل للبدن أنواع السموم المهلكة ومشروبات كحولية ومخدرات ومسكرات من أنواع الكحول ومركباتها ، والنيكوتين وأول أكسيد الكربون الموجود في التبغ أو المواد المخدرة من مركبات الأفيون والحشيش والكوكاين وأمثالها ، تلك التي فيها ضغط وتسكين آني أو نشوة مؤقتة غير أن لها آثارها السامة الضارة على البدن الإنساني وروحه وما تخلف على أعضائه وتنتقل إلى سلالاته من أسوأ الآثار ، وتضطره إلى اعتياد مشين في بدنه وماله ونسله ، لنفسه وعائلته وجامعته وتخلق منه إنساناً آخر متهيجاً أو عليلاً ، تلك في نوع الأكل والشرب والتدخين ومنها الغريزة الجنسية

واعتدالها فيه قرار النفس وحفظ النفس ، والإفراط بها لما تحوي المواد المنوية من عصارة المواد المقوية للبدن والإفراط فيه يسبب إنهاك الأعصاب وتحطيم القوى والتعرض لأشد الصدمات النفسية وعللها ويكفي أن أقول ان في كل مرة يقذف فيها المرء ما يساوي ٣٠٠ - ٥٠٠ ألف حويتم منوي كل حويتم منها يحمل كل العناصر المقوية وكل السلالات والخبرات ليكون إنساناً كاملاً يحمل كل العناصر المقوية من فوسفور وحديد وأرسنيك والعناصر الأخرى والمركبات من فيتامينات وغيرها تلقى هباءً لمحض لذة آنية خاطفة ، هذا إذا سار سيرة المحتاط مع من يتلفح منه ، وأما إذا زاد إفراطه وتجاوز إلى موارد غير قانونية والتنقل بين أفراد يحملون الأمراض التناسلية ، فقد كانت خسارته عظيمة وحرته جريمة على نفسه وغيره ، وربما انقلبت لذته الخاطفة إلى كارثة تلازمه ، وكثيراً ما تنتقل منه إلى غيره ممن يمارس معه العمل الجنسي من شتى الطرق ، وكثيراً ما نقل مثل هذا المرء أشد الأوبئة الجنسية إلى زوجته البريئة وأصابها بأعظم الكوارث ، وحتى ربما انتقل لبنيه فكانت كارثة عظمى . كزوج ينقل جرثومة السفلس لزوجته ومنها لموالدها . .

وهكذا ترى كيف أن الحريات أحياناً إذا لم يحدها المرء أو أولوا الأمر ، أصبحت كوارث على الفرد والمجتمع ، ولا بد من تدريب الشباب وتهذيبهم على حد كثير من الحريات ، واتخاذ أولي الأمر للحد من الحريات المشينة وإطلاق المقيدة ، وفي جميع أنواع الحريات يلزم الاعتدال والسير العادل وعدم الإضرار بالنفس أو الغير في كل ما مرّ ذكره حتى في الألعاب ، ومنها أنواع السهرات وألعاب القمار مما يعطي المرء متعة آنية ويخلق له مشاكل لا تعد ولا تحصى ، وتلقي الخصومة والعداء بينه وبين غيره في مجالس القمار أو أفراد العائلة لما ترك في المرء من روح النزق والجزع والجشع والتجاوز وتحرم الجامعة من العمل المنتج ، إذ للقمار لا يعتبر عملاً منتجاً بل ضرره أكثر من نفعه ففيه الخصومة وقضاء أوقات تعود مرهقة وخاسرة غير منتجة . وما تكتنف مثل هذه المجالس من استعمال المسكرات والمخدرات وإتلاف خير الأوقات وتبعث على الحقد والحسد

والضعيفة من خسارة مؤلمة أو نفع لغير ذي حق حقيقي وفي البيع والشراء وما تجر الحرية من احتكار وتحايل ومضاربات وربما كلها مضرّة يجب حد كثير منها . .

وهكذا إن الحرية للمرء عزيزة وقيمة شريطة أن تكون مفيدة وغير مضرّة ، وأما المضرّة فيلزم حدها بيث الثقافة الأصيلة ، الحكمة بين الأفراد والمجتمعات ، ووضع حدود قانونية يحد ويقاصص بها المتخلفون كل على قدره . .

وكما يجب حد الفرد من التجاوز على نفسه وغيره ليس له التعدي على الحق العام وحتى على حيوان ونبات لمحض الحرية ودون أن يكون مقيداً له ومضراً بالجانب الآخر كاصطياد وتعذيب الحيوانات وإتلافها وقتلها لمحض سلخ جلودها الثمينة كما حصلت في بعض القارات ككندا وقوطعت تجارتها من قبل بعض الدول لما في ذلك من اعتداء وجور على حيوانات ذات إحساس تقتل بضراوة وقساوة وتعذيب . أو الصيد لمحض التسلية فالحرية لها حدود يلزم تثقيف البشر لحدودها وتحذيرهم من الإسراف لحد الضرر على النفس أو الغير ، ووضع قصاصٍ لمن جاوز أو تأخر .

٥) السلوك الطبيعي معدلٌ بسمو الأخلاق : — فالسلوك الطبيعي في الأحياء كافتراس القوي للضعيف ، ودفاع هذا قدر المستطاع والقصاص العادل للمعتدين عند القدرة بيد أن الأخلاق الفاضلة تقول : وإن تعفوا أقرب للتقوى وذلك بقصد إيجاد التآلف والمحبة وجمع الشمل والوحدة والسلام وعدم الخصام وقد مرّ وذكرنا أصول العدالة .

٦) تلافى ما فسد ، ووضع أسس ثابتة لتحاشي الفقر والجهل المادي والمعنوي والوقاية من الأمراض المادية والروحية والاجتماعية ومعالجتها في المرض وسد الحاجات الضرورية من أكل وشرب ، والفصل في هيمنة العقل لتنظيم الغرائز ثم إجابتها مع رعاية الاعتدال . ولتوضيح القسم الأول أقول :

أذاعت محطة راديو واشنطن في الساعة الثالثة والربع بعد ظهر يوم ١٦/١٠/١٩٨٤ خبراً مفاده أن الناس هذه السنة سيموتون جوعاً في العالم

أكثر من ١٥ مليوناً أخص في العالم الثالث ، ومنهم يموت كل يوم ٤٠ ألف طفلاً دون الخامسة جوعاً ، كما ورد في كتاب « التعليم وتحديات المستقبل الصادر في مجموعة دكاترة من نادي روما بمشاوره المفكر الإيطالي أوريباء وبتشاي ، في كتابه « صفة الإنسانية » سنة ١٩٧٠ في سويسرة وأمريكا وغيرها . وبعد مطالعات عن الماضي والحاضر والمستقبل قالوا بلزوم درء الأحكام عاجلاً في السلوك والتعليم والسياسة والأسس الاقتصادية على أساس الوقاية للحرب والسلام والجوع بتقليل النفوس ومنع الاختراعات المضرة والمغيرة للجو والهواء المحيط بنا ، وإقامة الضمان والعدل الاجتماعي ودرونتائج التقدم في الطاقات ومنها الذرة ، وحد تكاثر النفوس ، وقال كنموذج لتزايد وتضاعف التلوث في الماء والهواء ونتائجه وتكاثر النفوس على هذه الأرض المحدودة المساحة فقالوا : كان عدد نفوس الأرض في زمن الميلاد ٢٥٠ مليوناً وتضاعف إلى القرن ١٦ فأصبح ٥٠٠ مليون وخلال القرنين تضاعف وأصبح ألف مليون ثم خلال ١٢٠ سنة تضاعف وأصبح ٢٠٠٠ مليون ويتنظر أن يبلغ ٧٠٠٠ مليون في سنة ٢٠٠٠ وهذا التزايد يتدرج بنسبة تصاعدية وسريعة . والخطر أن وسعة الأرض محدودة فقد كان يصيب الفرد من الأيام الأولى عشرات الفسدن واليوم أقل من ١/٧ من الفدان وهذه النسبة ستقل يوماً بعد يوم ولا بد من دولة عالمية تشرف على وضع حد لتقليل النفوس قبل فوات الفرصة ولدرء خطر المجاعات وهذا الدرء لا يكون إلاً بوسائل علمية ومنها تحديد النسل وعقم النساء أو عقر الرجال أو وضع قوانين خاصة كما قامت بذلك الصين .

كما يلزم العناية بصحة الجو وتقليل تلوثه وتحديد المواد الملوثة أو القيام بأعمال علمية لتنقيته ولا شك أن الدولة العالمية سيكون لها القدرة والقول الفصل في جميع الموارد الضرورية لوقف الأخطار والأضرار وتوسعة موارد الانتاج وإبدال منع الأسلحة والمواد المدمرة بالمواد المنتجة من معدنية ونباتية وحيوانية وتحسينها وكل ما مرّ لا يمكن أن يقوم به قواد الشرق والغرب لسلوكهم المنحرف وانطباعهم وتطبعهم بعيداً عن الفضيلة بل نحن بحاجة إلى حكماء مديرين إنسانيين بلغوا أوجاً من العلم والثقافة الأخلاقية المعنوية

السامية ، جلَّ همهم النفع العام وتقواها من الرقيب المحاسب الذي واقف لا يحيد عن نواياهم وأقوالهم وأفعالهم والتي مدَّ بها العقل السليم وحرك به الضمير والوجدان النقي وهو الأحد الصمد المبدع المهيمن ذو الكمال المطلق . .

(٧) التقوى وهي : الاعتراف بالعدالة الإلهية ونواميسه القائمة واحترام ما وهب الله الإنسان من عقل وحكمة وقدرة فكرية وتمييز بين الخير والشر والركون دوماً إلى الفضيلة ونهج مزاياها وصفاتها المحبوبة والموصولة بالخير للنفس والجامعة البشرية ، من اتباع المسالك الموصلة لسمو الأخلاق من تواضع وكرم وسخاء نفس مادي ومعنوي ، وإسداء المعونة للنفس والغير والبر والإحسان وحب اللفة والصدق والوفاء والنبيل والشرف ، والجد وحب العلم والعلماء والعمل والعاملين وبث الفضيلة وطلب الخير وترسيخ الإرادة دوماً لوعي العقل والابتعاد عن الرذيلة وعن كل ما يمس بكرم وشرف وسمو الإنسانية والنفس والغير من دنيئة وسيئة وكل ما فيه ضرر مادي ومعنوي والابتعاد عن الجهل والجُهال ، والكسل والحسد والجشع والحيلة والكذب والفحشاء والتجاوز ، والتعدي والتكبر والتجاوز وكل خسة وكل ما فيه فرقة ودناءة والابتعاد عن سوء الظن والمعاملة دوماً باليقين، وحذار الشك أخص الفاسد والوهم المخذل ، والجبن ونبذ الخرافات والموهومات الماجنة وحذاراً كل الحذر من النفاق والمنافقين والركون للأخيار والابتعاد عن الشر والأشرار . .

(٨) الإحساس دوماً بالمسؤولية تجاه النفس والغير من أفراد ومجتمعات وأحياء وغير أحياء ، وأخص تجاه الباري المصور الحكيم الناظر المحاسب العادل على حد قوله (ص) : كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته .

وقوله (ص) : أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك ، لأن الله يأمر بالعدل والبر والإحسان وكل ما هو خير وحسن وينهى عن الفحشاء والمنكر والظلم والتجاوز وكل شر وقبيح ، فهو مصدر الخير والكمال والرحمة والرافة ويحبُّ عباده الأخيار ويراقب أعمالهم فيما بينهم دنيا وآخرة ، ويعطي

كل ذي حق حقه في الخير والشر ، ويحب مكارم الأخلاق واتباع نوااميسه الطبيعية والاجتماعية ، ويحب العقل والعقلاء والحكمة والحكماء ، والعلم والعلماء ، والأميرين بالمعروف والعاملين به والناهين عن المنكر والمنتهين المتبعدين عنه ، والمسؤولية والإحساس بها تجاه النفس والأولاد والآباء والمربين والمعلمين والعلماء والحكماء تجاه البشر ، كبيرهم وصغيرهم أفراداً وجماعات . هذه المسؤولية والفكر والقول والعمل بها من أقوى الروابط الاجتماعية والإنسانية ، وأعظمها المسؤولية تجاه الخالق الناظر . المحاسب والمجازي دنيا وآخرة وهذا الشعور وهذه العقيدة خير السبل لجلب السعادة للفرد والمجتمع حيث يجعل كل فرد يحاسب نفسه ويسلك سلوكاً متوازناً . تلك يجب أن تكون أصلاً الدولة العالمية المثلى ومديرها وأعضائها وأفرادها وجماعاتها ، حرصاً على سلامهم وسلامتهم وسعادتهم ونجاتهم من المهالك ، وهذا ما لم تجده عند أحد من رجال الجبهتين الغربية والشرقية وإن بدت عند البعض لساناً . .

٩) على الدولة والأفراد والجماعات دوماً انتخاب الأحسن في كل شيء من نية وقول وعمل وأسس وأنظمة وأدوات وسلوك ومسالك ، ومعاشر وأصدقاء وأكل وشرب ومركب ومسكن وكل شيء ، ولماذا لا يكون ذلك وهو ما يوافق المنطق السليم والعلم والحكمة ومسالك الخير ، شرط أن لا يكون الفرد منافقاً فيضع الشيء في غير موضعه ويصير الرديء حسناً والعدل ظلماً والظلم عدلاً ويغير ويبدل حسب هواه ، هذا الفرد هو الخطر على نفسه وغيره ويلزم الحذر منه ، وعلى الدولة التحاشي من إدخال هذه العناصر في إدارتها وتطهير الجهاز الحكومي من كل منافق دجال فاسد ناقص معوج السلوك ومحاولة تعديله وتلطيفه وتحذير الأبرياء من معاشرته ومجالسته حتى يعود عن غيه . وكما يجب علينا الابتعاد عن الأوباء والموبوئين والتجنب عن موبوئي الروح والنفس إذ إن ضررهم أشد من الأمراض البدنية على الفرد والمجتمع . هؤلاء يفقدون حس المسؤولية تجاه أنفسهم وغيرهم ويحبون تدنيس غيرهم ، وجرهم إلى الحضيض . وهم علّة العلل في تدهور العالم إلى ما هو عليه من الخصام والنزاع والمظالم باسم الحرية وحقوق البشر .

١٠) رعاية التناسب وعدالة التناسب وتقويم كل بما يسديه من نفع وعمل ، وما يحمله من علم وفن وحكمة وما يشع منه من نور وخير وأبعاد ذلك فيشمل به فرداً أو جماعات ، ومتراً أو أمتاراً ، فالشمعة والمصباح والقمر والشمس والحيوان والإنسان وهذا الإنسان وما يفيضه من مقدار الخير لفرد أو جماعة ولساعة أو يوم أو سنة أو دهر أو دهور من خير وشر وفي الخير . ونوع العلم ودرجة أفاضه العالم فهناك فرق وبون شاسع بين حجية الجلد والكلية والكبد والقلب والحواس ، وحجية المخ في البدن الإنساني إذ به نعرف مقامه الشامخ بما حَفَّتْه الطبيعة من حواجز طبيعية ضعيفة أو متينة ومدته من غذاء مختلف النوع ، وهناك الفرق بين الفرد العامل العادل والمهندس والطبيب والتاجر والفقير والخير المتخصص وطالب الخير وطالب الشر وآثار كل منهم ولذا ترى الجامعة الإنسانية تفرق بينهم على قدر نفعهم وضررهم وجهدهم وعلمهم وتقواهم ، وهناك فرق حتى بين الصنف الواحد من أطباء وأساتذة ومهندسين وكيمائيين ، وفيهم الحكماء والفلاسفة المرموقون كأفلاطون وابن سينا والفارابي والأطباء المرموقون كبقراط وجالينوس وابن سينا والرازي وأشور ، وهناك أديسون مخترع الكهرباء ، وأنشتاين مكتشف الذرة ومن وضع العقاقير الشافية للأمراض والأدوات المحركة والراديو والتلفزيون والمحركات والطائرات والأقمار الصناعية والأشعات المختلفة والمخترعات والمبتكرات التي قربت البعيد وسهلت العسير وفيهم واضع القنبلة الذرية وملقيها على هيروشيما ، فهناك تناسب في أفراد المجتمع وتقدير لكل حسب عقله وجهده وعمله وإبتكاره المفيد وبالعكس الضار فهذا التناسب موجود عملاً ويلزم تقويمه ووضع تناسب ودرجة له بين الأفراد والمجتمعات تقديراً للعقول والخدمات والجهود كي يكون عبرة وجزاء يقتدي به المقتدون ولم يكن ذلك التناسب دنيوياً بل هناك العقيدة الدينية والتي جاءت في القرآن في آية من سورة الإسراء : قوله تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ .

فالتمييز فيه تقدير وفيه احترام وحفظ للمركز العلمي والحكمة والحلم

والتقوى والصفات الإنسانية الرفيعة ، ودرجة أثرها على المجتمع الحي والحضارة والمدنية والثقافة ومد البشرية بالخير والسعادة وانتشالها فرداً وجماعة من الرذائل من النكبة ، من التعاسة بأنواعها المادية والمعنوية ، تلك التي ذكرنا بعض الأصول والأسس التي يجب أن تتحلى بها الدولة العالمية المثلى وقيادتها بل وتشمل الأفراد والمجتمعات ومن الأصول ما ذكرناها في الأصول الاجتماعية في قانوننا الأساسي كأصول فطرية طبيعية وخلقية إنسانية دينية .

المقالة التاسعة

ما يلزم إصلاحه

لا بد لنا من سبر العلل المسببة للمظالم ، وهضم الحقوق ، والخصام
قبيل ذكر أسس الإصلاح فيها : —

الحريات المفقودة والمزيفة :

أبترك الفرد والجماعات أحراراً في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم يفعلون
ما يشاؤون دون قيد وشرط ، مهما كانت ومتى وأين كانت ، سواء أكانت
نتائج تلك الحريات شراً للفرد أو للجماعة أم كانت خيراً للفاعل وشرراً لغيره
أم العكس كانت وبالأعلى عليه وخيراً لغيره ، باعتبار أن المنع يورث الحرص
باعتبار أن المرء حريص على ما منع وعند منعه يتضرر نفسياً وروحياً ويكون
عنده داء نفسي يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر . لذا يلزم إطلاق هذا
الميل الغريزي دون تردد ودون تفكير واستجابة هذه الرغبة الجامحة رغم ما
يترتب عليها من نتائج ، ونحن نعلم أن الميول والغرائز بعضها ضرورية
وفطرية لا بد من عملها كغريزة الجوع والعطش لما تدعو الضرورة لإدامة
الحياة والبقاء ، والغريزة الجنسية وضرورة حفظ بقاء النسل ، وهذا ما يحكم
بضرورته العقل وبعد يقرر ضرورة استجابة هذا الميل استجابة لا تنقص أو
تزيد عن حد الاعتدال كأن لا يقل عن الضرورة المطلوبة فيورث ضعفاً
للجسم الحي ويجعله عرضة للأوباء المادية والمعنوية مرتبك الجسم والعقل
إذ العقل السليم في الجسم السليم ، ولا يزيد عن الحد المطلوب فيورث
فيه أمراض التخمة ، ولا تقل عن الأولى من الضرر فيوقع الجسم الحي في

أعراض مرضية تضر به وبمستقبله ونسله ، ومثل هذه الغريزة الغريزة الجنسية والتقارب الجنسي لحفظ النوع وما أودعته الفطرة من الميل الجنسي والاتصال الجنسي وهذا كالأول ما نقص عن حد الاعتدال خلف أمراضاً نفسية وروحية مضرّة للفرد والجماعة وما زاد عن حد الاعتدال أورث عللاً وأدواء مضرّة مضعفة وكلّما نقص والزيادة قد تؤدي إلى الحياة الشقية وأضرار بالفرد ونسله قد تقضي عليه أو تتركه عليلاً .

وكل غريزة أخرى من حب المال وحب الجاه وحب الظهور وحب التمتع بالفرائز الأخرى ، لكل منها حد للاعتدال إن نقصت أو زادت أدت إلى أضرار مادية ومعنوية للفرد والمجتمع ، وما ينطبق على الفرد ينطبق على الجماعة من الاستفادة المعتدلة وضرورة مراعاة تلك وإن نقصها وزيادتها تسبب العلل الاجتماعية والفردية وهناك موارد أخرى برهنت عليها التجربة أنها ليست ضرورية أو لازمة للفرد ولا يشعر الفرد أو الجماعة بالحاجة إليها إلا بعد الاعتياد عليها من أكل وشرب وعمل ، كاستعمال المواد الكحولية والمخدرات والمواد التي إن كرر استعمالها الفرد خلقت فيه روح التكرار والإدمان وبالوقت الذي تعطيه لذة مؤقتة تقيم فيه عادة تخل بحكومة الجسم وتضرّ بها وبالنسل البشري ، وتشوه سلوك الأجهزة الطبيعية ، وهذا الضرر لا يقف على الفرد بل يتعداه إلى أفراد عائلته ونسله والأطراف المجاورة والمجتمع الذي يقيم فيه ولكل منها آثار قد تكون موحشة ومبرمة كالإدمان على الهيرويين والكوكايين والكحول والتدخين الذي أثبت العلم ضرره ، ومثلها الاعتياد على القمار ، تلك هي أعمال فردية ومنها جماعية كالاعتياد على تكوين تلك المدمرات وأدوات الحرب والتجاوز وأمثالها والقيام بتكثيرها ونشرها واحتكارها بغية إشباع غرائز مادية حتى لتؤدي لاضرار فردية وجماعية من قتل وفتك وفجور ومنها روح المقامرة وهي غريزة بشرية ، وهذه إما نافعة ككشف الموارد المجهولة من مجهولات الأرض والسماة بقصد توسيع علمي وهي مستحسنة وأخرى بقصد الاستعمار وبسط النفوذ الاقتصادي والاستعماري والخط من نشاط وإرادة وقدرة وحياة الآخرين ، وبث الفتن والشقاق والنفاق بل وخلق عقائد ومذاهب ونعرات قومية وفردية لبث بذور

الفساد وإشعال نار الحروب واتخاذ قاعدة فرق تسد كما فعلته الدول المستعمرة ، ومنها إطلاق يد الشركات الصناعية لصناعة ما هو مضر من مواد كيميائية وأسلحة مدمرة وإقامة أسواق لبيعها أينما شاءت رغم أنف الشعوب ، بإقامة حروب اصطناعية ووضع بؤر إنسانية مثيرة لتلك المشاحنات وعدم إعطاء المجال لاندمال ذلك الجرح مثل خلق إسرائيل في الشرق الأوسط وخلق المنافسات ودوام النزاع دون سبب ومغزى معلوم وهو إضعاف الجبهتين أو الجبهات المتخاصمة وعندها شراء مواردها وكنوزها الطبيعية بأبخس الأسعار وتحميلها شراء أسلحتها المدمرة بأعلى الأثمان لمحض الفتك الواحد بالآخر ، وترك ذلك بيد الانتهازيين المغرضين من زعماء خلقتهم رغم أنف الشعوب وخربت بهم كل مثقف ومهذب يريد الإصلاح ، وتابعت تشريد هؤلاء ، بكم أفواههم واتهامهم بشتى أساليب الدعايات لتشويه سمعتهم وقتل معنوياتهم وحجزهم صامتين خانعين في قعر دارهم أو أعماق السجون أو قتلهم وتشريدهم وتخلى ديارهم لسلبها كيفما شاؤوا .

فالحريات كما مرّ يجب أن لا تكون مطلقة وحد كلما يضر منها بالفرد والجماعة وأن تحدد بحدود إلا فيما عاد بالنفع على الفرد والجماعة لا بالعكس ، كإطلاق حريات الجماعات والشركات المخربة المولدة والمصدرة والناشرة لأقبح أنواع المخدرات والأسلحة والمشروبات وبثها بشتى أنواع الأساليب في داخل البلاد وخارجها وتشويق الأفراد من استعمالها حتى في المدارس والمحلات الثقافية من مراكز الدولة والمجالس والمنتزهات وإدخالها ونقلها في شتى أقطار العالم بشتى أنواع وأساليب مروعة وفردية ، وأما الأسلحة فقل عنها ولا حرج فهي مشاعة إلى جانب المواد المخدرة في مختلف ولايات الدول الراقية مثل أمريكا وتسبب أخرج المواقف المزرية والمخزية لسلوك الشعب هناك ، تلك التي يجب أن تحدّ حداثاً باتاً ومثلها الأسلحة المصدرة من أمريكا ودول أوروبا إلى شتى دول العالم الثالث، كما مرّ بعد خلق الفتن وإقامة الحروب لبيعها بيد عملائها بأعلى الأثمان ولا يهمهم قتل الأبرياء ووصمهم بشتى أنواع المنكرات الموصمة بالشرف ، دون موجب إلا ما خلقها ذلك المستعمر الغادر ونشره . إن الحريات على

اختلافها الفردية والجماعية ، تلك كانت في الدول الرأسمالية وأخص التالية التي قالت بتحرير الأقطار من أيادي الاستعمار وعلى أثره جاءت باستعمار جديد على تلك الشاكلة من إطلاق يد الحريات لبيع الأسلحة والمخدرات وموارد القمار وما شابه ذلك ، بالدعاية والدعاية في داخل بلادها ولم يهتمها استهتار الشعب وتدهوره الأخلاقي في المدارس والمجتمعات وحاضره وماضيه وفي البلدان الخارجة بنفس السبل مضافة لها الضغط على الشعوب وخلق حكومات مستهترة مُزرية بأفراد الشعب وخلق فتن ومجازر وتطاحن لعقائد وأقطار خلقتها وانقسام الشعب لأحزاب اصطنعتها وعلى يد انتهازيين لا تهمهم الخلق السامية والسلوك الاجتماعي العادل، والاستجابة لكل ما يهم المستعمر لمحض بقائها على دست الحكم واسترضاء أهوائها المادية النجسة الرذيلة كما تراه جارياً اليوم في جميع الحكومات الرأسمالية وحكومات العالم الثالث . .

أما الحريات في الدول الشيوعية فتكاد تكون معدومة البتة سيان الحسنة منها والسيئة ، فهي في الوقت أقل استهتاراً لقلّة الدعايات المبتذلة من قبل الشركات المغرية لاستعمال المشروبات والمخدرات ومقرات الخلاعة والقمار وما شاكل تلك المفسدة بدنياً وعقلياً، فردياً واجتماعياً ، نعم هي إلى جنب ذلك ، ورغم أنها جاءت عوناً للأفراد لوقف ومنع هضم حقوق غالبية الشعوب وأيادها العاملة على يد الأقلية الرأسمالية المستغلة لكفاحهم وثمرات أعمالهم ، أصبحت هي أشد نكالاً واستبداداً وظلماً للأيدي العاملة والعمال والزراع الكادحين ، إذ في الحين الذي سلبتهم نتاج كفاحهم وأعمالهم وكدهم وجعلته ملكاً للدولة ، أعطتهم من نتاج ذلك العمل أقل من القليل الذي تترحم عليهم به الرأسمالية في البلاد الرأسمالية ، وأضافت أن سلبتهم الأمور التالية :

- (١) حق شراء أملاك ومستغلات .
- (٢) حق تغيير وتبديل مهنتهم .
- (٣) وحق الشكوى والاعتراض من السلوك الصارم الظالم لهم بشتى أنواع العقوبات الصارمة .

٤) وحق النقل والانتقال إلى بلاد يختارونها هرباً من القسر .

٥) وسلبت منهم كل الحريات التي تبعث في الفرد روح الابتكار والتقدم في الحياة لكسب جهوده المادية والمعنوية ، بل أصبح الفرد في هذه الدول كآلة بيد دولته عليه الرضوخ لخططها التي تضعها الزمرة الحاكمة وحسب وكل ثمرات كفاحه وإبداعه تكاد تكون مسلوقة منه إلا النذر اليسير ، والحقيقة أن كلا الجبهتين الرأسمالية والشيوعية أفرادها لم تتبع في إعطاء الحريات للأفراد والجماعات لمصالح غالبية أفراد الشعب باتباع أصول عادلة منطقية يسعد بها المجتمع بأفراده وجماعاته ، كلتاهما خارجتان عن موازين المنطق والسلوك الفطري والطبيعي المتزن خارجة عن العدالة الاجتماعية ، فما هو إذن الطريق القويم لمنح الحريات؟ .

الواقع الذي لا مرأى فيه هو أن يكون الفرد حراً في أفكاره وأعماله وأقواله في كل ما يفيد به نفسه وغيره وأن يحدد بكل ما يضر به نفسه وغيره ، وأن تكون كل تلك مبنية في ذات المجتمع أخلاقياً وأن تكون المصالح لا تخلو من مصالح تعاونية ، على حد سيرة حجيرات البدن الواحد في سلوكها الدائب المفيد لنفسها ولمجتمعها القائم في البدن الإنساني الخالي من الأنانية الفردية والجماعية بل هي المصالح المشتركة وأن يقف الكل كصف واحد لكسب المنافع ودرء الأضرار الواردة من الداخل والخارج والعمل كصف واحد لبذل الجهود إلى حياة أكثر سعادة وأبعد تعاسة وخطراً ، وهذا ما يدلي به العقل السليم والأديان السماوية الحققة .

نذير التطور التاريخي في العصر الحاضر بالدمار البشري :

نظرة فاحصة للتطور التاريخي للعالم عن كافة موارده الاجتماعية وبما فيها من سياسة واقتصاد وثقافة وعلوم وتجارب ونواميس وما تتجاذبه من أغراض وميول بين العواطف والعقول والمراحل التي مرّ بها من خير وشر ، وبالتالي ما توصل إليه إلى هذا الحين من تفوق علمي إلى نواح بناء ومخرية ، مما رفع مكانة هذا القرن الأخير من شمول الثقافات والعلوم

السمعية والبصرية والمبتكرات والمخترعات التي أدرك بها البشر ما لم يدركه آباؤه وأجداده من كشف الفضاء والبحار وسرعة التنقل أينما شاء ولا زال مجداً لكشف أسرار الكون الغير المتناهي وما أثارته مخترعاته في مجال الدفاع والهجوم أخص تلك التي أصبحت أضرارها ان وقعت واقعة حرب عالمية ثالثة أنها لا تبقي ولا تذر من الفضاء المبرم على الخصمين وتجاوزته إلى الأطراف المعتدلة ، بل وعلى البشرية جمعاء وجر الحياة القائمة اليوم على الكرة الأرضية لا على الإنسان وحسب بل على كل ذي حياة في البر والبحر والأرض والسماء إلى الفناء تلك التي أدركها الجميع ، من سيد ومسود ، وعالم وجاهل وقريب وبعيد ، منذ انفجار أولى قنبلة في هيروشيما ونكازاكي بتاريخ ٦/٨/١٩٤٥ في اليابان ، وقامت على أثره صرخات العلماء المصلحين والحكماء والمخترعين والقادة القابضين على زمام الأمور من الشرق والغرب أمثال برتراندراسل وانشتاين ومن سايهرم من حكماء وفلاسفة وملهمين ومكتشفين ، وقواد أمثال قواد وزعماء الدول والجيش ، للإهابة بالخصوم إلى الائتلاف ووقف سير هذه الأسلحة المدمرة وثائرة الأحقاد والمنافسات وصد الأنانيات والميول والاتجاهات الطائشة التي لا تحمل طيها إلا الضرر والشقاء لكافة الأطراف المتنازعة وغير المتنازعة . وكم ذهبت منذ أبعد العصور صرخات الأنبياء والرسل والحكماء والعقلاء والعلماء الداعين إلى العدالة الاجتماعية وتطبيق الأسس الإنسانية ، الداعين لاتباع المنطق السليم والابتعاد عن الأغراض والشهوات النفسية والميول والعواطف سدى .

وقد ولى القديم الذي كان ينزل النعمة والبلاء على إحدى الجهات المتخاصمة فحسب وجاء الدور الذي يشمل البلاء كافة المعمورة دون رعاية جهة واحدة وعلى هذا الأساس اهتم رجال الإنسانية الداعون والحكماء يقظون للإهابة بالعالم أخص من بيدهم الحل والربط للالفة وقمع هذا الشر الشامل الذي لا يبغي ولا يذر ودون أن يلتمس أي طرف ربحاً ونجاحاً ونصراً بل الجميع واثقون كل الثقة من أن الكارثة تعم الأخضر واليابس وأن القنابل الذرية والهيدروجينية والكوبلت والأسلحة المدمرة الأخرى بعد افنائها

المباشر للمتخصصين فناءً تاماً ، وتعذيباً دائماً فأثرها أدهى وأمر من أمراض قاحلة وسموم قاتلة لا ينجو منها حتى القائمون في المصحات والمستشفيات وشعب الهلال الأحمر ورجالات الطب ورجال الانقاذ ، ولا تبقي طعاماً وماءً وهواءً صالحاً إلا شملته سمومها ، وها إنني أعرض نتفاً ممّاعمه الأفراد والجماعات من أقوال ، وأهابوا من حصول مخاطر بعد انفجار أول قنبلة ذرية وما أعقبته من انفجارات قنابل بعد بضع سنوات تفوقها ٢٥٠٠ مرة قوة للتدمير ، وما استمر العلماء المخربون على ابتكارهم من أقمار تحمل البشر والقنابل المدمرة من ذرية وهيدروجينية وكوبالت وصواريخ ذات رؤوس نووية عابرة للقارات وغواصات تمخر البحار والمحيطات تحمل أهول المدمرات الموجهة في لحظات إلى خصومها .

وكل يوم يأتون بابتكار جديد أعظم وأدهى تخريباً ويتنافسون ويتناززون بابتكاراتٍ أدهى وأمر ، وجاء اليوم دور جديد لتصميمات أشعة ليزر واستخدامها وإلى منظمات الكمبيوتر للدقة في المحاسبات وسرعة في التصميم والتنفيذ . وعلى أثر إحساس العلماء على اختلاف طبقاتهم من علماء الذرة وعلماء السياسة والاجتماع وعلم النفس وغيرهم يبدؤوا بتشكيل منظمات وجمعيات ونقابات للدفاع عن حقوق البشر عامة وإصلاح ما أوجدته هذه الأسلحة المدمرة من الرعب وما قد تأتي أنباء طائشة وأوامر خاطئة بشرية أو آلية ، يقوم بها أحد الخصوم بغية كسب الغلبة والبدء بالهجوم كما حصلت^(١) مثل هذه الأخطاء وكادت تقوم القيامة والتدمير لولا جهة مدبرة

(١) أقول لأول مرة قامت منظمة من سبعة من علماء الذرة بطلب للحكومة الأمريكية تطلب منها وضع رقابة عالمية ذات صلاحية تسيطر على أسرار الذرة لحدها من الخطر وسمى هذا بـ (تقرير فرانك Frank Report) سلم هذا التقرير بتاريخ تموز سنة ١٩٤٥ لوزير الحرب الأمريكية ، وبه عبروا أن البحث عن الذرة يؤدي إلى أهول ما يمكن أن يحدثه مدمر ، وطالما أن أمريكا هي المبتكر الأول فلتسّد هذا الباب قبل الوصول إليه من قبل دولة أخرى بيد لم يجد الطلب أذناً صاغية ، وصدقت حدسات المتنبيين أن بعد أربعة سنين كشفت عنه روسية واستمرت في إنتاجه وقد قام أعظم علماء الذرة مثل انشتاين =

= ونلسن بوهر Nels Bohr الذي يلي انشتاين في علم الذرة بتحذير الدول وحثهم على ختم هذا السر ووقف مفعوله وأظهرت السنين صدق نبوءاتهم ، وقد أنشأ علماء الذرة بعده مجلة شهرية باسم علماء الذرة The Bulletin of Atomic Scientists . هذه النشرة تضع محاذير الذرة وتنشرها للعالم صحيحة أكيدة .

ونطق العلامة برتراند راسل الحائز على جائزة نوبل وهوبريطاني قدم بتاريخ ١٩٤٥/١١/٢٨ نطقاً في مجلس العموم البريطاني في ص ٣٤ من كتابه : « هل للبشر من مستقبل ؟ » (Les Man a Future) ، قال فيه :

« سادتي أتحدى مقامكم حذراً ممزوجاً بالاستحياء لعلتين ، الأولى ان لي الفخر أن أجد الفرصة للمرة الأولى لالقاء كلمتي بمحضر سادتي . والثانية بعد سماعي حديثكم يوم أمس وهذا اليوم أجيب أن من سبقني في البيان يبزني عشرة أضعاف في علم السياسة وعشرين ضعفاً في التجربة وأصولاً فإن عرض أي موضوع من قبلي ربما عاد على سذاجتي . والآن فموضوعي الذي أرجو بحثه بالغ الأهمية وقد أهاب بفكرتي لدرجة عظمي حتى لأحس أن لم أدل به سوف لا يقر لي قرار . قصدي القنبلة الذرية وأثرها في السياسة .

أرجو بإدلاء بضعة موارد فنية يعرفها الجميع . أولاها أن القنبلة الذرية تطوي أول أدوارها ومن المسلم أنها في المستقبل القريب ستضاعف قوتها التخريبية ولسوف تتضاءل وتقل نفقاتها ، إن هذين الأمرين حسب رأيي من الموارد المسلمة ، والأمر الآخر الذي عرضه الأستاذ اليفانت Oliphant يمكن تلويث الأرض بذرات الراديوواكتيو الذي يقضي على كل ذي حياة لا الإنسان وحسب ، ومهمة أخرى ربما ترتبط بمستقبل أبعد . كما لا يخفى على سادتي ، إطلاق القوة النووية من جهة نظرية لها طريقان ، إحداها ما تحقق اليوم بسبب تفتيت النوى للغازات الأثقل وتبديلها بغازات أخف . والطريقة الثانية لَمَا تتحقق بعد بيد زمان تحقيقها سيأتي . وهي من تركيب ذرات الهيدروجين للحصول على ذرات أثقل ، ذرة الهليوم وربما مبدئياً ذرة الأزوت . إن تحقق ذلك ستنتقل قوة زائدة جداً أضعاف ما يحصل اليوم من ذر انفجار ذرات الأورانيوم ، لم نشاهد لليوم مثيل ذلك في الطبيعة ، والمعتقد وجود ذلك في النجوم والشمس من الطاقات الحرارية . بانفجار القنبلة الذرية اليوم تحصل من الحرارة ما يساوي من الحرارة في داخل الشمس على هذا =

.....

= من الممكن عملياً إيجاد مضاعف ما يحصل من القوة للقنبلة الذرية ذلك لو أمكن لأحد استخدام فلزي أثقل بإضافة ذرات الهيدروجين . إذا استدام التمدن العلمي هذا سيتحقق عملياً إلا إذا سبب تمدننا انهدامه ، لا نريد تعيين الموضوع لبضعة سنين وحسب بيد تعيينه على حساب نوع البشر . مشكلتنا بسيطة : أيمن إدامة الحياة لجامعة علمية؟ أم لا يدلها وانها توجد موارد لانهدامها ، ورغم أن الموضوع بسيط فهو حيوي في الحين . لا أحسب أهمية الامكانات الشيطانية المكنونة حول الاستفادة عن القوة الذرية يمكن المبالغة ، هناك عند العبور من كنيسة سن بل Stralf متحف بريطاني وبنائتين للمجلسين النيابي والأعيان وغيرها من آثار تمدننا أرى تلك في مخيلتي بصورة انقراض تتخللها مكذسات من أجسام الناس، لا فرار من مواجهة ذلك، احتمال وقوع أمثال تلك الفجائع لا تخص المدن والأقطار بل تهدد وتعم العالم المتمدن إلا إذا اتفق البشر على وقف الحرب، ولا يفيد العمل على تقليل الحرب . يلزم قطع دابر الحرب الكبرى وإلاً فالكارثة المارة مؤكدة .

ومنع الحرب بتاتاً مشكل . ولا أريد أن أحاسب من يريد الدخول في هذا المجال وأنا واثق أنني عاجز عن ذلك ، بيد أحس أن على البشر حل مشكلة هذا بأي تقدير وإلاً فسينعدم نوع البشر، ومن يدري وربما كانت سعادة السادات الأخرى بعد قطع دابرنا يكون أكمل . وإن تستبعد موافقتنا على ذلك ، برأيي علينا الوصول إلى حل .

الجميع يعلم أن المشكلة الأولى أن نتوصل لطريق المعاونة مع روسيا . ولم أر موفقية أكثر مما حصل عليه رئيس وزرائنا في ذلك العهد في واشنطن ، ولم يكن له توفيقاً أكثر من ذلك ، ولم أكن من أولئك المعتقدين الذين يرون وضع اجزاء البناء الذري بلا شرط في اختيار روسيا ، إذ بنظري أن تكون هناك شروط ، غير أن ما أعرضه أن تكون هذه الشروط من النوع الذي يسهل التعاون الدولي . وعلى روسيا أن لا تدخل في هذا الأمر أي هدف وطني كما علينا وعلى الأمريكان أن لا نطلب امتياز يخصنا .

بيد إذا تقرر أن نضع هذا السر تحت نظرهم علينا أن نعمل ذلك على مبنى تمايلهم للمعاونة . وإذا أقمنا عملنا على الأساس المذكور فالصحيح أن نعلمهم بجزئيات بناء الذرة . طبعاً الأكثر لأن هذا السر لا يدوم اخفاؤه، وخلال بضعة سنين ستكون لهم قنابل لا تقل عن القنابل الأمريكية الحاضرة ، ولذا إن حصلت لنا موفقية في هذه المعاملة فهو =

= لأمد قصير، كما تعلمون أن العلماء المساهمين في هذا العمل يحملون جميعاً الرغبة التامة أن تفشى طريقتهم . أنا لم أوافق طبق الدلائل المارة بجميع ما يرتؤون ، بيد أرى أن من الممكن جعل هذا وسيلة لإقرار التعاون الصحيحي بيننا والروس، أنا أؤيد روحاً وقلباً آراء وزير الخارجية، لا أعتقد أن كسب ثقة الروس تنحصر بهذا بأن نظهر ميلنا بالتعاون ، وينظري أن نصر على ما فيه منافعنا الحية . بنظري إصرارنا يجلب التعاون الحقيقي مما لو تركنا ذلك للرجاء والتذرع لمعاضدتهم لنا ، أنا أوافق لحن وزير الخارجية تماماً .

علينا أن نكون راغبين ولا أحسب ذلك واهياً أن نجلب موافقة روسيا في هذا الأمر إن الاستفادة من هذا السلاح في الحرب يؤدي لانهدام الأخرى بمقدار ما يسبب لنا من الانهدام . . نأمل أن نجلب نظرهم أن في ذلك تكمن منافع البشر لا المنفعة التي تفصل الأنظار عن بعضها . لا أتردد حقيقة أن هذا الأمر إن وضع بأسلوب مقنع مع الروس سيجدون أن بلوغ ذلك ليس بالأمر العسير ، وإن لهم الفهم التام لإدراك ذلك مع العلم أن هذا الأمر لا يتمي لرقابة أو سياسة . كما هو سائد أن هناك سوء ظن ، إن سوء الظن هذا إنما يزول بالصدقة الكاملة والصدق المحض . يلزم أن يقال لهم: إن هذه مسائل حياتية لنا وفي الأمور الأخرى نود صميمياً أن تصروا أنتم أيضاً على مسائلكم الحياتية ، عوض أن يكون كل واحد باحثاً عن منفعة الخاصة فإن هذه الطريقة لا تفيد أي واحد منا . دعونا نسلك طريقاً يضمن كلانا .

أعتقد أن ما ذكرت إن جرى مع الروس صريحاً تماماً وبعيداً عن السبل السياسية سيدركون ذلك بدرجة إدراكنا له . وعلى أقل تقدير أنا لي هذا الأمل، وبرأيي بالامكان كسب المعونة من المثقفين في هذا المجال، إنهم هم قلقين، وهم معذبو الوجدان مما عملوه، ويعلمون أن لم يكن لهم بد سوى صنع هذه القنبلة بيد لم يكونوا مسرورين من عملهم هذا . فإذا أمكن أن نحول لهم وظيفة ليقبلوا مما يهدد البشر في الكمين سيكونون ممتنين . أعتقد أنهم أكثر قدرة لإقناع الروس أكثر من الذين هم في هذا المجال وأرى أنهم أجدر بالحديث مع علماء الروس وربما بهذه الوسيلة الوصول لربط التعاون الخالي من الغل والغش وفتح الباب، أرى لا تزال فرصة، في الحال الحاضر إذ لا زال تعب الحرب ملماً بأجسام البشر، وإذا تصورنا خلال العشر السنين القادمة تقوم حرب كبرى سوف لا نكون قد أصبنا بحسن الظن هذا . عليه لنا فرصة لترسيخ التفاهم . بنظري من =

.....

= المشكلات التي للآن لم نصل إليها أن الروس دوماً هكذا يعملون والظاهر أن لهم الحق إذ كل حل فيه تصادف المنافع حل الروس في احداها وحل الآخرين في الجهة الثانية المقابلة ، في المنازعات المعروفة ثلاث أو خمسة دول عظمى يحسون ذلك ، الروس في طرف واثنين أو أربعة في طرف آخر، عندما يحس الناس بهذا ، أتصور أن عليكم أن تقابلوهم بظرافة ، ولا يحسبوا أنهم ينقادون للأكثرية حينما يحسون بالوحدة. بلا شك يلزم في السنين المقبلة بذل مهارة وحكمة أكثر لترسيخ المؤهلات والتعاون الدولي. غير طريق الحل الموجود اليوم أمام العالم القائل بأن عصية الأمم المتحدة هي التي يلزم أن تكون مكمّن الأسرار لا أجد حلاً آخر، وبنظري لا يمكن الثقة الكافية بهذه المؤسسة. إذ على أي حال في الحال الحاضر ليس لهذه المؤسسة الدولية القدرة العسكرية القادرة للوقوف أمام الدول القوية، وبالتالي كل دولة تملك القنبلة الذرية لها الامكانية في مقابلة الدول الكبرى، وللوقت التي لم تحصل لرابطة الأمم المتحدة القدرة لا نرى الأمان سائداً في العالم .

لا أحسب منع استعمال أو منع صنع القنابل الذرية يكفي بسطرها على الورق ، إذ ليس لديكم القدرة اللازمة لإجراء الاتفاقية إذا كنتم حقاً تفكرون في الحرب، جائزة الطرف الذي يراعي مثل هذه الاتفاقية أشد وحشية من مجازاة طرف ينقضها، لذا لا أفكر أن لهذه المقررات المسطورة على الورق قيمة علمية ، في المرحلة الأولى يجب كسب التمايل لغرض النظارة الدولية على هذه الأسلحة ، وحينما حصل ذلك سهل إيجاد هيئة للمراقبة ، وبالإضافة حيث تستقر مثل هذه الهيئة ، فهذه الأمم المتحدة القوية وهي مكمّن الأسرار الذرية . عندئذٍ مؤسسة بمثل هذه الصفات تضمن دوام وبقاء نفسها. هذه المؤسسة حقيقة تحول دون وقوع حروب كبيرة ، وضع لها نظام وقوانين سياسية ، وبإمكاننا أن نكون حقاً واثقين أن الحرب زالت من ساحات العام، طبعاً انجاز هذا الأمر مشكل جداً . إلا أنه عمل لا بد لنا من إنجازه . إما أن تزول الحروب من عالم الوجود واما لا ترى من بقية السيف إلا وهم تائهون في الفلوات والصحارى وخلو من علوم اليوم ومعارفه حيث فقدوا القدرة على صنع مثل هذه الأسلحة المدمرة ، وقد تبرأوا من كل الآداب والسنن المتمدنة . إن هذا الأمر يعتبر فاجعة عظمى الذي أرى أن يتدبره كل الدول المتمدنة ويعالجه قبل أن تغفل من أيديهم ، على أي حال أتمنى من الصميم ذلك» .

غلب عليها العقل وإذا ما تلقتهما من الرادار من الحملة الذرية إنما كانت أسراب من الطيور البحرية مهاجرة ، مرّت كأسراب ، ورغم أن الولايات المتحدة نجحت بتسليم واخضاع اليابان لها بعد إلقاء القنابل الذرية بيد حاولت الإصغاء لبعض ما يدليه جماعة العلماء والمثقفين مثل طرح باروخ Baruch Plan سنة ١٩٤٦ وهو يرى تشكيل مرجع دولي خاص يختص بتتبع تكامل ما يعود للذرة ويحوّل لها استخراج وتنمية أحجار الأورانيوم والتوريوم وتمتاز بمالكية ذلك وتنحصر بها التأسيسات الضرورية للاستفادة من القوى الذرية ، ولم يكن هذا الطرح مقبولاً من روسيا ، إذ كان ستالين مغروراً بالنصر ، وترى روسيا نفوذ القدرات المخاصمة الغير الشيوعية لها .

ولم تكن أمريكا وهي الحاملة لهذا السر أي القنبلة الذرية مجدة لذلك الطرح حتى كانت سنة ١٩٤٩ شهر آب فظهر أن الروس هم الآخرون يعرفون هذا السر وأوجدوا القنبلة الذرية وجادون أن يسبقوا الأمريكان في هذا السباق ، بل جد الطرفان للكشف عن أسلحة أشد فتكاً مما ألقاه الأمريكان على هيروشيما ولم يمض ربح من الزمن حتى اكتشفت أمريكا وروسيا القنبلة الهيدروجينية التي تفوق بقوة تخريبها القنبلة الأولى بـ ٢٥٠٠ ضعفاً وتبلغ القوة الحاصلة من انفجارها من ١٥ إلى ٢٥ مليون ت.ن.ت. T.N.T. وقد ظهر أن مفعول القنبلة الهيدروجينية التي فجرها الأمريكان سنة ١٩٥٤ مارس من حيث القوة أكثر بكثير ممّا كانوا يحدسون ، وإذا كانت القنبلة الذرية الأولى تقضي على من ألقيت عليه وتدمر تلك المدينة وحسب دون أن تلاحق القرى البعيدة والمدن الأخرى المجاورة فإن هذه الأخيرة عدا ما تدمره من مقر الحدث فإنها يبيجهاها السواديوأكيو الغبار الذري تلاحق بأضرارها أينما هطل ذلك في مجرى الرياح وتساقط ذلك الغبار حيث يسمم الأرض والهواء والماء ويسبب الأمراض المهلكة أخص السرطانية وأمراض الدم ويدرك الأجنة وراثياً فيشوههم ويغيرهم إلى معتوهين ومشوهين . حتى قال سنة ١٩٥٨ وزير الدفاع الأمريكي حين قدم تقريره العسكري . إنه إذا وقعت حرب بين الشرق والغرب ودخلت الأسلحة الذرية فيها فسيقضي ذلك على

١٦٠ مليون أمريكي ومائتي مليون روسي مضافاً إلى ذلك إعدام جميع أوروبا الغربية بما فيها بريطانيا .

وطبعاً قبلها سنة ١٩٥٢ مارس سثل اللواء جمس كاوين رئيس دائرة التحقيقات التجسسية الأمريكية ، سثل من قبل مجلس الأعيان الأمريكان سألـه السناتور Daff إذا هاجمنا روسيا هجوماً ذرياً جويّاً وكانت الريح شرقية باتجاه الروس فكـم سيكون الاتلاف؟ وبعد البحث قال : من الممكن أن يهلك من كل طرف عدة مئات ملايين ولا شك أن لهبوب الريح أثر مهم على هلاك أشد لمن تهب عليه بيد لا يخفـاك قد يستمر الموت حتى على الجزر اليابانية والفيليبين وإذا هبّت الريح عكساً فلا شك وأن الضحايا في أوروبا والغرب أشد .

أقول : وإذا كانت الحروب شمال خط الاستواء فإن شمال الكرة أشد خطراً من جنوبها بكثير إلّا إذا اتجهت من الشمال للجنوب . وقد أثبت الفحص الطبي أن التجارب النووية البعيدة التي أجريت لـلأن أولدت ذرات الراديوأكتيتو التي دخلت الأجسام وسوف يكون تأثيرها وراثياً على الأجنة في النسل القادم غير ما تحدثه من أنواع السرطان أخص العظمي وفساد الدم . وهذه لا تعد مهمة بالنسبة لقيام حرب ذرية كبرى .

إن هناك أموراً مهمة في الحروب الذرية القادمة منها هبوب الرياح وجهة هبوبها ، ومنها البادئ بالهجوم .

وأقول : مما لا شك فيه أن جهة هبوب الرياح مؤثرة لحمل الضرر على الخصم ، وأن البادئ أسرع لإحداث التلف بالخصم بيد لا ننسى الأجهزة الرادارية والمحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية والقنابل الصاروخية البعيدة المدى كلها في لحظة تلقى على الخصم في الموقع المناسب فإذا كان مهب الريح شرقية بدأت غواصات روسيا وأوروبا من غرب بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وشملت بذلك أوروبا كلها وأبادتها .

وبالعكس فلا أرى هبوب الرياح مجدداً وقد اتخذت التدابير

المعاكسة ولا البدء مجدداً مع وجود الآلات الحاسبة وسرعة الحركة والرقابة سوى لفتك وتدمير أشد وأقبح ، ومما لا شك فيه أن المتخاصمين سيهلك الواحد الآخر ولا ترى كالعهود الغابرة فائزاً بل كلا الخصمين خاسران خائبان منكوبان مدمران ، بل سيشمل الأقطار المحايدة التي لا ناقة لها في الحرب ولا جمل بل وهي الكارثة لها ولمثيرينها المجحفين المعتدين عليها باسم الحرية .

٥ - السلوك البشري : لا ترى فرداً أو قبيلة أو إمارة أو دولة متجاوزة إلا وألقت اللائمة على خصمها إن كان يناسبها بالقوة وأما الأضعف فويل له من توجيه شتى المعايير ، وويل للمظلوم المقهور منذ أقدم العصور إلى هذا اليوم حتى قامت فيها شتى ومختلف الدعايات بالإذاعات المختلفة من صحف ورايو وتلفزيون ومختلف المكائد والأساليب .

وما أكثر الأمثال التي يمكن أن يثبت ذلك ، وويل للدولة الضعيفة من القوة إن اقتضت مصالحها من التجاوز وهذه المصالح اليوم أكثرها اقتصادية وبأساليب سياسية واجتماعية وأدبية وحرية ، قال : راسل في كتابه المار الذكر لو اقتضت مصلحة بريطانيا لتدمير وقهر الهند أو جنوب افريقيا لما أبت من ذلك ، وقال : إن أمريكا تقيم المحطات الذرية في إنكلترا ولا تسمح لأي فرد إنكليزي لتفتيشها أو الاطلاع عليها وفي مقام آخر يستعرض الخطر هذه المحطات على إنكلترا فيما لو قامت حرب ذرية انك لا ترى خلال ساعة أو ساعتين أثراً للحياة في بريطانيا العظمى ، ثم ينعي آثارها العظيمة التي لم يبق من أمرها إلا وحولها أشلاء الموتى المصابين . لو قامت الحرب الذرية الكبرى ، فيا ترى لو لم تقم تلك المحطات الذرية الأمريكية واطمأنت روسيا من عدم وجود تلك أكانت تقوم بتدمير ذلك الشعب المتمدن العريق وتمحيه من الوجود فعلام تقع هذه اللائمة ، وهل تعتبر أمريكا صديقة للشعب البريطاني والشعوب الأوروبية التي دمرها الخصم الروسي بعد أن أعلن وأنذر أنه لا بد له من الدفاع والهجوم لما تقوم بها أمريكا من المؤسسات الذرية في أوروبا ، فأية صديقة هذه لشعوب أوروبا .

أكانت تحسب أمريكا أن ذلك هزلُ وأنها مجردة من الحقيقة وهي تقوم بتلك الجهود والنفقات العظيمة التي كانت تستطيع بنفقاتها أن تجلب سعادة هذه الشعوب الصديقة وتتقي خطر الخصوم لو قامت بأعمال تدل على حسن النية والعدالة الاجتماعية البشرية .

ماذا تقول أمريكا في حربها والقائها القنابل الأولى على هيروشيما ونيازاكي؟، وإن كانت ذات عذر فما عذرهما في حروب كوريا وهذه الأخرى إن خلقت لها عذراً فما عذرهما في حروب فيتنام التي أقامت بها مجازر لا تنسى على أبنائها والشعب الفيتنامي ثم وبعد الفضيحة تركتها على تلك الشاكلة ولنعرض صفحاً عن ذلك وربما كان لها عذر أنها أخطأت فما قولها بإقامة الفتن والمجازر في الشرق الأوسط بين من والاهما من الشعوب وسمح لها بأعز ما لديها من الثروة النفطية تكتال منها ما تشاء وأن تقيم بها من عشرات الألوف من خبرائها العسكريين تلك هي صديقتها إيران وتحكم عليها بالإنقلاب وتم توريطها بالحرب المدمرة مع جارتها الغنية وكلا الشعبين لا يرتضيان الحرب ، أو كلاهما يحملان نفس العقيدة وتربطهما أواصر عريقة منذ القدم .

وخلق بؤرة انتانية في فلسطين باسم مساعدة شعب مضطهد هم اليهود . وهل أن إيجاد اليهود في فلسطين كان يقصد سعادة اليهود الذين كانوا سعداء في أكثر شعوب العالم سعادة اقتصادية فمثلاً العراق هذا البلد الغني بثروته المعدنية والزراعية كان فيه من اليهود ١٢٠ - ١٥٠ ألف يهودي كانوا هم سادته الاقتصاديون بيدهم الحل والفصل في الأمور التجارية والاقتصادية ويتنعمون بأحسن ما تنعم به أقلية في أي قطر وكانت المصارف وأهم المؤسسات التجارية والاقتصادية تقف عن العمل البتة في عطلهم الصغيرة والكبيرة هؤلاء كمثل أجبروا قهراً أو غروراً والقيت بينهم وبين أبناء وطنهم الذين عاشوا معاً متعاونين متكاتفين وهائشين القيت بينهم الفتن العقائدية باسم فلسطين ليتركوا وطنهم العزيز مرغمين للهجرة إلى فلسطين كرهاً باسم الوطن الموعود فارتحلوا وهناك يعيشون كمشردين مقهورين

وعيونهم تذرف الدموع لما تركوه وبعد هنيئة وبعد فوات الأوان علموا أنها كانت خديعة لكنه فات الأوان وما أُريد بهم خير ولم تكن اليهود ذلك شأنها في العراق بل أينما حلّوا وسكنوا كانوا على قتلهم قد أبدوا الجدارة لأن يعيشوا عيشة كريمة وإن قهروا في بلد ما هو إلا لأنهم خُدعوا أو انحرفوا عن الطريقة المثلى ، فقد اكتسبتهم بريطانيا بعد أن وثقت من مهارتهم فكانوا أعوانها على كثير من الشعوب التي حلوا بها مواطنين كألمانيا فهم الذين تجسسوا على الشعب الألماني الذي يقيمون فيه كمواطنين في الحرب العالمية الأولى والثانية لصالح أعداء ألمانيا ، مما دعا لهتلر أن ينتقم منهم ذلك الانتقام المريع ، لقد غرّهم الطمع وهم أبناء عمومة العرب ومن نسل إبراهيم الخليل اتخذهم الاستعمار الأوروبي والأمريكي للحط من كرامة العرب وحط كرامتهم هم بعد أن أثار فيهم روح العقيدة والوطنية ، أما العقيدة فهم الذين قتلوا يسوع وطاردوا دينه فكانوا ألد أعداء المسيحية فكيف أصبحوا اليوم أصدقاء؟ أليست هي مصالح سياسية واقتصادية، ولا تهم أوروبا وأمريكا أن ترى المجازر قائمة بين اليهود والعرب وهم يقولون أينما أصابت فتح فخلقوا منهم بؤرة انتانية أثارت الأحقاد بينهم وبين العرب وربما حل يوم تركتهم وحدهم فيمزقهم العرب شر تمزيق وكان الأجدر بهم أن يكونوا أصدقاء العالم واخوة لتوحيد البشرية وخيره وسعاده .

تلك هي ما خلقتها الجاسوسيات البريطانية والأمريكية وقامت بها شركات الترسرست أخص شركات النفط وشركات الأسلحة وغيرها ، تلك التي استمرت بالاستعمار الجديد بخلق الفتن بين الشعوب الأمانة وخلق الحروب المحلية والفتك الواحدة بالأخرى أينما وجدت ثروة معدنية وأخص النفط وأينما حسبت هناك بصيص من الثروة لكسبها بتحميل الحروب وبيع الأسلحة قهراً فاقدة الصفات الإنسانية التي يأمر بها دينها المسيحي الوديع الموصي بالرفقة والمحبة والالفة والتعاون . وإذا كانوا هم أعداء الإسلام فما بالهم وخلق الفتن والشجار في أمريكا الوسطى والجنوبية وأفريقيا وجرّهم بشتى الوسائل للانحطاط الاقتصادي والخلقي وخلق كل ما يؤدي إلى ضعفهم وإرباكهم شعباً ودولاً لإمكان التسلط على مقدراتهم .

إن عمل السياسيين في الدول العظمى في معزل ، وفي خفاء عن العامة الأكثرية والمتقنين ورجال الله الحاملين لروح ووصايا سيدنا المسيح ، أولئك منزهون عن الظلم والاجحاف بينما أشد الكل قسوة وجوراً وقساوة أولئك المنافقون المتظاهرون بالصلاح والخافين عن الناس الحقائق هم رجال التجسس ، رجال المصالح الخاصة الاقتصادية الذين يجرون نفوذهم لكسب الثروة من أي وسيلة صالحة وطالحة وخير وشر ويليههم رجال السياسة المتزعمون العاملون للمصالح الأولى ومصالح أمثالهم وكل ما يهمهم المحافظة على كبريائهم ومقامهم ونفوذهم وويل لهم من العصابات الأولى ان أرادوا الصالح العام الذي يمس بمصالح ذوي الأعراض والأهواء من ذوي المطامع الاقتصادية الأولى والسياسية القابضة على أزمة الأمور ومنهم اللجان السرية والجاسوسيات الهدامة من بائعي الأسلحة والمخدرات والاحتكاريين وأشباههم . أقطاب هؤلاء في أمريكا وبعدها أوروبا من إنكلترا وفرنسا والمنقادون والتابعون لأثارهم ، أولئك البؤرة للمفاسد والمهالك وأعداء العدالة الاجتماعية القابضون على شتى أنواع الدعايات من نشرات وصحف وراديو وتلفزيون وأقمار صناعية ، أقول عندما أتكلم ذلك فيإني أبرء عامة الناس المحكومين من تلك الدول التي سيطرت عليهم الدعايات داخل بلادهم وخارجها التي تنزه أعمال زعمائها وربما كان الزعماء قد شعروا وقد تورطوا في الحكم أنهم مسيرون من قبل الجمعيات السرية وزعماء الهيئات الاقتصادية ومن بيده مقاليد الجاسوسية العليا في البلاد ولا ترى الحقيقة بادية إلا فلتات على لسان بعض الحكماء والكتّاب أمثال برتراند راسل البريطاني وأمثاله في بريطانيا والأحرار من الدول الغربية في أوروبا وأمريكا وأما الدول الشيوعية فهم في كبت أعظم وإذا كان كُتّاب الغرب تشوّه رسائلهم ثم تهمل فكتاب الشرق قلما تصل أناتهم وآهاتهم وصرخاتهم الداعية للإصلاح لأحد امام ذلك الكبت العظيم من قبل الهيئات الشيوعية المسيطرة في بلادهم ، حقيقة مجهولة جداً هل أن البشر سيحكم بنفسه على نفسه بالفناء أم يبلغ الوعي درجة ينهض فيه رجال الإصلاح فيستنهضون العالم المغمور والتائه في المضللات والزخارف الخداعة والمأخوذ على عقله ومنطقه .

الحذر الحذر . . .

لقد قيل إن الحاجة أم الاختراع ، وأية حاجة ماسة أعظم مما يراه العقلاء من انجراف البشرية جمعاء إلى الدمار وأنه أية حرب إن قامت من أي جهة فهي ستؤدي إلى هلاك الخصمين والمحايدين بل وتقضي على البشرية جمعاء ، إني لأهيب بالعقلاء ، بل وأهيب بأولئك الانتهازيين وأهيب بكل قدرة منفذة ان الزمن الذي كان ينتصر فيه خصم على خصمه بالسيف والقوة مضى وهذا عهد جديد لا يجدي فيه إلا الحشمة والتقية والرضوخ إلى المنطق والنظر إلى العواقب المروعة ، وأقول أسرعوا بإنقاذ أنفسكم وأهلكم وإخوتكم والأحياء قاطبة من طلقة طائشة ، من جنون العواطف والميول الرعناء ، تصافحوا مصافحة الأخوة وانظروا إلى ما تبذلوه من النفقات في شتى مجال السلاح والدعاية وغيرها لتروا أنها بل بعضها تكفي لسعادة النوع البشري قاطبة كما تهوون وترجون دون خصام ودون حروب وانها لتسد كل حاجة وتعين على تسديد كل ما تتمنوه من الحياة الرغيدة . ولا يتم كل ذلك أبداً إلا بتشكيل دولة عالمية واحدة ذات مصالح مشتركة يقودها رجل لا يقر بغير العدالة الاجتماعية لكافة طبقات البشر على حد سواء دون تمايل إلى جهة ما سوى قصد المساواة والحب والحنان والجود والصدق ، رجل عالم عادل جمع كل المؤهلات الصالحة لدولة الحق التي يرجوها الصالحون فيرفع قدر المتخصصين المصلحين ويضع كل فرد وكل شيء في محله له القدرة الملهمة على انتخاب الأصلح والأقدر والأتقى والأعلم لتوزيعهم وتأميرهم واستخدامهم للمصالح العامة لإقامة العدالة الاجتماعية وسوق البشرية إلى الطهارة ، إلى السعادة ، إلى الالفة ، إلى الأخوة ، للبصيرة النافذة ، لتنقية الحياة من الشرور والأشرار والتخلص منهم تخلصاً يليق بقدرته ومقامه هكذا ينتخب الأخيار من الأشرار كما يلتقط الطير ما يصلح له من الحبوب ويترك الفاسد العاطل الباطل ، بل وينهض بحزمه وبحنكته الحكيمة وقدرته العظيمة فيقصم الفساد والمعتدين والإلحاد والملحدين فيعصم البلاد ويغيث العباد .

المقالة العاشرة

علام هذا الخصام ومن يكسب الحرب؟

ما هي الغاية من الخصام؟ وما هي الغاية المتوخاة من التناحر والمناجزة والمبارزة والمنافسة؟ أليس هو الاعتداد بالنفس لكسب السباق ، والبلوغ إلى هدف النصر ، والتغلب على الخصم ، ونيل الأحسن ، والظفر بالغنائم وبالتالي لإقامة حياة سعيدة مليئة بالنشاط والسؤدد والحياة الرغيدة؟!

فلنفكر ملياً أهل هناك بعد هذه الحرب الذرية المدمرة الضارية بأطنابها إلى هلاك الأطراف ، والتي لم يسبق لها مثيل من الويل والويل على وجه البسيطة والتي لا يرجو أي طرف منها إلا الشر ودون أي خير ، فلإذن أين العقول المميّزة والآراء المدبرة وأي عواطف وغرور وكبرياء ، وأين الوعي الإنساني؟...

إن الذي يناجز غيره ربما كان له طمع مماثل أو يأمل بعد بذل النفس والنفيس أن يصيب بجهاده وجهده درجة من النصر واحدة أو أجزاء منه عشرين أو ١/١٠٠ أو ١/١٠٠٠ وهكذا نقلل هذا العدد فلا للنصر أثراً ونرى المتخاصمين في شر ماحق وبلاء ساحق وذلل خارق وجهل عائق وعيش خانق ليس هناك أي بصيص إلا وللشر مآله وأي أمل إلا أحبط بكل صوب وباله .

أنحن في أضغاث أحلام هادرة أم هواجس لمجانين متنافرة جانبنا كل منطق سليم وعقل حكيم ..

بتاريخ ١٩٥٥/٧/٥ قامت جماعة من أبرز العلماء الحائزين على

جوائز نوبل من كافة الأقطار اجتمعوا في جزيرة مانيو Mainau ووقعوا أخطاراً تحذيراً من الحرب الذرية وما تجره من تدمير العالم كله سواء المتخاصمين أو غيرهم ويطلبون وقف الخصام والحرب إلى الأبد .

كما قدم دكتور فينوس يولنك وهو شخصية معروفة لوضع أسس السلام قدم طرحاً لسكترتاريه الأمم المتحدة بتوقيع ٩٢٣٥ قدمه للسكترير الدكتور هامر شولد لتوقيف التجارب النووية حالاً مع بيان مضراتها وأن يكون ذلك كفاتحة خاتمة قيام أي حرب بعدها لما بذلك خطر على البشرية وهكذا تلتها الجمعيات والطلبات على نفس الشاكلة وكلها ذهبت دون جدوى ، وهكذا قامت عروض من علماء الروس على نفس الشاكلة أمثال طرح البروفسور أ. و. توبجيف A. V. Topduiv وقد وقع المرحوم انشتاين إحدى العروض قبل وفاته لوقف التجارب ومنع استعمال القنابل الذرية .

ولقد ذهبت كل عروض وعرائض علماء الذرة وحكماء العالم وأولئك الحاملين لتواقيع الشرق حول مؤلفاتهم ذهبت كل عرائضهم وطلباتهم في سبيل وقف التجارب ومنع القنابل النووية هدراً .

أقول : إن الأساس الذي يقدمون به الطلب من وقف التجارب والموافقة من الدول المتخاصمة على ذلك كلها لا تركز إلى ركن قوي إذ لا يطمئن كل واحد منهم بالآخر ان امتنع هو امتنع خصمه لذا فكل منهم يرى في خصمه اللدود المعاند وعليه أن يزيد تجاربه ويوسع رقعة الدفاع والهجوم وتحسين هذه القنابل المدمرة والوسائل التي تحملها وترميها إلى أهدافها والخطر كلما تقدم الزمن يزداد سوءاً ولهذا فلا أرى حلاً صالحاً إلا إذا توحدت الجهود لإقامة حكومة عالمية ذات مصالح مشتركة وعدالة اجتماعية ، وعلى هذا يجب بذل الجهود لتأسيس تلك ووضع الشروط المناسبة والقيام بالتقريب كي ينتهي الخصام وتقوم حكومة عالمية واحدة كحكومة البدن الواحد على الكرة الأرضية عندها تنتهي كل المشاكل ، لا بد لهذه الدولة من رجال يمتازون عن رجال العالم القديم والجديد بسلمهم وصلاحهم وتقواهم وعزمهم .

الحس بضرورة الإصلاح :

لهذه دوافع ومثيرات :

(١) في مقدمتها التقوى أي الخلوص والطاعة لإقامة أوامر الله لأعمال الخير ونواهيهِ عن الانتهاء عن أعمال الشر .

(٢) ويلي ذلك الحس بالحاجة وهنا الحس كحس المرء بالبرد ، وحسه بالجوع ، وحس الخوف ، وحس الغريزة الجنسية لكسب اللذة وانجاب الأولاد ، حس الغرور وميل السيطرة وإظهار النفس بالقدره أي حب الظهور ، بالشجاعة البدنية أو العلمية أو المميزات الأخرى ، نزعة العقل ، نزعة النفس ، النزعة للتكامل والتدرج للأرقى بدافع حب العلم ، حب الجاه ، حب الجمال ، أو اجتناب ما يكره ، ولكل منها شروطها ومتى كانت جاهزة أمكن إدراك المرام وإلا لزم القيام بتجهيزها وتكميلها ومتى تهيأت الأسباب الطبيعية مثلاً من غيث ومناخ اخضرت الأرض بعد السقي ويزغت الشمس آنذاك علمنا أن البلباب المغردة سيعلو صوتها وتغريدها والحياة تتقدم من حسن إلى أحسن والعكس بالعكس ، وقد يساعد الإنسان على تهئية ذلك بجهوده من زرع وسقي ومناخ مناسب وكل شيء ويكمل الشروط وهكذا تسير الخصائص المادية ومثلها المعنوية في الطبيعة وفي الجسم الإنساني ومثلها في الجامعة البشرية . هكذا تقوم أعضاء البدن الإنساني دوماً لبلوغ الأصلح بتدبير العقل لتسيير الغرائز والميول والعواطف لإقامة الحسن فالأحسن ودفع الفاسد والأفسد بالجد للتكامل ، وهذه الرابطة لها صلة بأصل وحدة الحياة ، من حب وبغض تلك التي تثير فيها روح الابتكار لبلوغ الأهداف ، وإثارة الغريزة للميول كدفع الذكر للأنثى للتقارب والتلاقح ثم التوالد ومتى تحكم العقل حصلت نتائج صحيحة سالمة سعيدة والحس بضرورة الأصلح ، لبلوغ الأكمل والأحسن في جميع المجالات المادية والمعنوية متى كانت مقرونة بطاعة الله الأمر باتباع الأحسن والابتعاد عن الفاسد بروح يثق بعلم الله الباطن وانه واقف على السرائر ومحاسب لها حساباً لا تغادره صغيرة ولا كبيرة جاء بما يسعد نفسه والبشرية عامة بعيداً عن كل ما يوجب الظلم والخصام

والضعيفة ويدفع دوماً لروح الألفة والوثام والحب مقروناً بروح العفو وحسن الظن وكل ما يوجب السعادة العامة تلك هي التقوى التي تعنيها كتب الله وتدعو لها ويدعو لها العقل والحكماء .

إن الحس بالحاجة يختلف قوة وضعفاً ويدفع المرء للبحث بنفسه لتوقي المهالك واجتناب الرذائل وإثبات المبتكرات والمخترعات لجلب السعادة ودفع الشقاء وتختلف أرواح البشر صغراً وعظمة وكأما عظمت شمل فيضها مجالاً أوسع وامتد ظله ومنهله إلى ابعاد تتوسع بقدر ما تسمو به روحه وتزيد رحابتها بما أتاه الله من القدرة الفكرية والمعنوية ، فقد تقف هذه السعادة للفرد بنجاة نفسه فحسب أو تتجاوزها إلى أفراد عائلته وربما إلى قبيلته أو زادت حتى تشمل العالم وربما كانت لأمد سويعات أو أيام أو سنين أو قرون أو امتدت مع عمر البشرية .

فالله سبحانه الخالق المبدع المسيطر الكامل الواقف على السرائر والذي شمل الأحياء والجماد وأعطاهما الطرق للخير بهديته وأراها السبل ووهبها العلم بسلوك الأصلح وله القدرة دوماً على الإبداع وإرسال المصلحين الذي وهب لهم من العقول المعنوية والقدرات المادية متى شاء ومتى توفرت الشروط الطبيعية التي أودعها بقدرته للنهوض أو مدّه بقدرة الابتكار لتهيئة ما يلزم لبلوغ أهداف الخير . وقد أودع فينا الشعور ببلوغ الحياة الأكمل وبث فينا روح النزوع إلى الأصلح والاجتناب من الأخطار المداهمة ، وكلما كان الخطر أعظم دفع بنا لروح الحس والجسد لردعه بالطرق الممكنة كما بعث فينا الروح الوثابة للتكامل وربما كان هذا الدافع لوقاية الشر من مستلزمات تلك الروح إلى التكامل .

واليوم من واجب كل فرد على حد كلمة النبي محمد (ص) «كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته» . فإن الواجب الإلهي الذي فرضه على البشرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع المستمر عن الحق وردع المنكرات ، والروح الحساسة من وقوع أعظم كارثة مهلكة للبشرية وعلى عظم هذه الكارثة فإن على زعماء البشرية الواقفين على ما بلغت له

المدمرات الحربية اليوم من الشدة وما يقحم به البشر نفسه لهدم كيانه بروح الغرور والأنانية ، هذه الروح التي استطاع بها المتخاصمان أن يتطاحنا فيندفع أحدهما تجاه الآخر وكل منهما يأمل النصر ، ولو اعتقد أي منهما بسوء العقاب لما حرك ساكناً ، بل حتى لأذعن لخصمه الأقوى العنيد ، أما اليوم فكل جهة وكل خصم وكل زعيم يجد الخيبة والكارثة العظمى عليه وعلى خصمه والعالم أجمع ، فأي جنون هذا الخصام . هذا والجميع الشرق والغرب وبما هناك من محايد يعلمون أن نفقات هذه المدمرات التي يبذل لها من النفقات ربما أقل من نصفها يكفي لسعادة العالم بأجمعه لو قامت حكومة عالمية واحدة .

ومن جهة أخرى الكل يعلم حق العلم السبيل الأصلح لوضع مناهج واحدة لحكومة عالمية واحدة ، وأنه لا يجدي أي توافق مع وجود خصام بين الشرق والغرب ، وأنه خير وسيلة لا التوافق على وقف المدمرات الحربية والحروب ، لا أبداً ، ولو أصبح الكل مفتشين الواحد على الآخر ، لا ، كلا ، لا يتم ذلك النصر العالمي سوى بالموافقة على وضع قوانين لحكومة عالمية عادلة واحدة يتساوى فيها الأفراد في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، الكل متعاونون متحابون ، الكل يعملون للكل كما تعمل حجيرات البدن الواحد وأجهزته لصالح البدن كله ، وينقلون الإعازات صادقة صريحة سريعة أسرع من لمح البصر .

المقالة الحادية عشرة

ما ومن هو الأصلح للحكم ؟

الحكومات القائمة حتى اليوم إما كانت :

١ - حكومات دكتاتورية مطلقة كالتى مرت في العصور الغابرة في عصر في عهد الفراعنة وفي العراق في العهد البابلي والآشوري ، وفي عهد اليونان والرومان والأكاسرة ، تلك الحكومات القائمة على الحكم المطلق وما يرثيه الملك دون رعاية المصلحة العامة وعلى هذه سادت العصور الغابرة وتقوم بها اليوم حكومات قامت على يد طغاة انتهازيين أو أوجدتها غايات استعمارية رغمًا على أنف العامة من الشعب حكومة خلت من أي مجلس استشاري واقعي ودستور واقعي مكتوب ، وربما أوجد ذلك المجلس صورياً وكان أعضاؤه المنتخبون ليس من الشعب بل من قبل ذلك الدكتاتور المتنفذ .

٢ - حكومة دينية ذات دستور سماوي وذات كتاب جاء بها الرسل بدعوى من الإله الخالق الأحد الصمد ، وهذه لم تدم طويلاً حتى عادت دكتاتورية تتقمص الاسم الديني دون رسمه وأوامره ونواهيه .

٣ - الحكومات الدستورية القائمة على دستور مقنن من البشر لصالح العامة ذات مجالس تشريعية وتقنينية قامت تلك على أثر وعي شعبي عام وعلى أثر انقلابات داخلية فتقيدت تلك الحكومات بدساتير وقوانين وأنظمة كتيبة وضعها البشر يسير عليها الحكام فاستمرت هذه الدساتير في أحوال مختلفة في شتى الحكومات منها ما سار عليها حكام البلاد سيراً للصالح

العام ومنها لم تتجاوز سوى كتابتها وظل الحكم بيد الملك والأمير يعمل ما يشاء .

وكان للنهضة الصناعية في القرون الأخيرة أثر بالغ في هذه الدساتير فبدل الحكم الدكتاتوري السياسي إلى دكتاتوري اقتصادي تنتعم به أقلية هم زعماء الشركات من شركات الترسن الأمريكية والكارتر الأوروبية وهناك ظهرت الحكومات الرأسمالية وأصبح للشعب طبقة ثرية أقلية متزعمة بيدها الحل والفصل وطبقة أكثرية كادحة مظلومة تكذب ويذهب أكثر جهودها للطبقة الأولى إلى جانب ذلك حكومات رأسمالية قوية يتحكم أقطابها الاقتصاديون من الشركات لا على العامة في الداخل فحسب بل حتى مدت أيديها على انتخابات المجالس في الداخل لتعين أنصارها الذين تضمن منافعهم ومدت أطرافها إلى الشعوب والدول الضعيفة لتتحكم بها أخص تلك التي لها ثروات معدنية وأهمها النفط لا تسيطر على ثرواتها بل لتسيطر على رجال الحكم وتبتلع تلك الثروات بأزهد الأثمان وتحول لهم صادراتها وصناعاتها ومن نتيجة ذلك لتبقى لها القدرة على تلك الشعوب وتسد أفواه رجال الإصلاح ومثقفى تلك الشعوب وتحملهم صادراتها بأعلى الأثمان كان لا بد لها من قمع وغل أي حركة إصلاحية والوقوف حجر عثرة لتوسعة ما يسد حاجاتها من موارد زراعية وصناعية وحيوانية وغيرها وتبقى تلك البلاد فقيرة من تلك النواحي وبحاجة لها فاستمرت بخلق الفتن والحروب في الداخل والخارج لتدمير عمرانها وتخريبها وتأخير مناهل الزراعة والتجارة والصناعة والمعارف والسياسة بها وزجها بالحروب الخارجية والداخلية وكَم أفواه المصلحين والواعين بل والضغط عليهم لدرجة تشريدهم في بلادهم وزج شبابها بالحروب الطاحنة كما نجده اليوم في الشرقين الأوسط والأدنى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وعلى أثر هذه الضغوط في البلاد الرأسمالية وعلى أثر استفحال الرأسمالية ، قام رجال الاقتصاد بوضع قوانين مناهضة للرأسمالية وظهر من جراء الظلم الفاحش على العمال والزراع في الحكومات الرأسمالية نظريات

تريد الحد من هذا الاستغلال فاختلقت الشيوعية وهي التطرف الفاحش ضد الرأسمالية ، إذ في الوقت الذي تسلب الرأسمالية جهود العمال لنفعها وأن الحكومة الرأسمالية تؤيد تلك الأقلية لهذا السلب ، وفي الوقت الذي يحق للرأسمالي استخدام الأيدي العاملة بأقل الأجور ، على حساب جمع ثرواتها وجهودها لمصالحها الخاصة وأن هذا الرأسمالي يستطيع امتلاك الموارد الحرة من أرض وحياة وحتى الغابات وسمك البحر لحساب أقلية لا يسد جشعها كل ذلك وأعمالها كله غصب وظلم في الداخل والخارج لمحض كسب القدرة المالية والنفوذ على اقتصاديات العالم .

فخلقت الحاجة النظرية الشيوعية التي أرادت القضاء على يد الرأسمالي قضاءً مبرماً ونهائياً فجعلت كل الثروات الطبيعية من أرض ومناجم عامة ومراكز صناعية وزراعية وتجارية مهمة كلها ملك للدولة وليس للفرد إلا أن يمتلك حق كده بل ذهبت أبعد من ذلك وقامت مقام الرأسمالي بالتجاوز على العامل والزراع وسلب نتائج ذلك الكد ان حددت ما يعمل ويضع وان نتائج كد العامل يعود للدولة والدولة تعطيه دون اختيار منه قدراً معيناً والباقي يبقى في خزانة الدولة ، وسلبت من العامل حق الاختيار في العمل الذي يريده كما سلبت منه حق الاعتراض والتنقل وكثيراً من حرياته الأخرى تحت كابوس من الخوف والإرهاق ، وجعلت الصحف والإذاعات كلها تحت سيطرة الدولة والفرد ما هو سوى آلة جرداء تعمل كما تأمره به القيادة للحزب الشيوعي وتحت كبت وضغط . وويل للأحرار من النقد وويل لأفراد الشعب من الاعتراض ، فلقد قضت الحكومة الشيوعية في سنينها الأولى بالموت على ١٩ مليون وسجن أكثر من خمسة ملايين وتشريد ما يساوي من المساجين لإرغام الشعب بالطاعة العمياء وتجريده من أي نقد ودفاع .

لقد كان الفرد في الحكم الرأسمالي مسلوباً على تلك الشاكلة وأصبح اليوم في الحكم الشيوعي أشد سلباً ورقيةً وتعاسة ، والحرب الباردة بين النظريتين قائمة على قدم وساق والمواد الحربية المدمرة في أشد مراحل التدمير والتخريب وقد أوجد الخصمان الرأسمالي والشيوعي وسائل تدميرية

دفاعية وهجومية كما مرّ تلك التي بإمكانها من تدمير مضاعفات الكرة الأرضية وإماتة أضعاف بل وعشرات أضعاف سكانها من الأحياء ، ومن المؤلم أن النفقات الباهظة المصروفة من المتخصصين تكفي بعضها لسعادة الجبهتين ، بيد الغرور والكبرياء ، والغرائز سدت على العقول وآراء الحكماء الأحرار منافذ للنصح .

ومن المؤسف أن الخصوم واثقون أنه إن قامت حرب كبرى فلا منتصر من أي منهما وإن الدمار والشقاء عام لا محالة ، وإن الحرب ربما قامت لأقل طلقة طائشة أو خطأ لآلة حاسبة ومصدر شيطاني ، وكل الوسائل التي يتوسلون إليها لوقف الخطر المحقق ناقصة غير كافية بل غير مجدية إذ لا تبعث على الثقة ، وفيها محل عظيم للشك وسوء الظن ، وليس هناك سوى سبيل واحد لطريق النجاة ذلك الطريق الذي لا محالة وإنه يجلب ثقة الجميع ويقضي على المخاطر ويقمع الحروب والمخاضات ويبعث للبشرية العصر الذهبي المليء بالسعادة والثقة والالفة فما هو ذلك السبيل يا ترى ؟ .

كانت الرأسمالية قائمة على أسس غير طبيعية ومثلها الشيوعية كما مرّ ، فالأولى استغلت الأقليات حقوق الأكثرية الكادحة ووضعت لنفسها قوانين موضوعة باسم الحرية ، من حرية التملك وحرية العمل والحريات الأخرى وكل غاياتها من هذه الحريات إطلاق يد الأقليات الانتهازية في حرياتها للسلب والاعتداء على حريات الأكثرية في الداخل وحريات الشعوب الأخرى في الخارج وقد قبضت على وسائل الدعاية ومراكز السياسة من صحف ومجلات وتلفزيون وراديو وغيره لنشر كل ما هو لمبالحها وكمت أفواه المحررين والكتّاب في الحكومات الرأسمالية بشتى وسائل الاقناع أو الارهاب أو أية وسيلة تدرك بها مقاصدها على العامة من الأشغال واللهو واللعب ، وكل ما يصرف عنهم الأنظار . وأما الشيوعية فكم الأصوات بشتى أنواع وسائل الشدة والرغبة وسلب الحريات مطلقاً كما مرّ من قبل .

وما ذكرناه أعلاه عن سلوك الشرق والغرب يتجلى في كليهما هو إنما ضياع الحقوق المادية والمعنوية لغالبية أبناء البشر المسيرين تحت نفوذ هذه

الحكومات القائمة ، وخلاصة الأمر هو ضياع ما مرّ من حرياتهم في القول والعمل ، ضياع نتائج كدهم وتديبرهم وإبلاؤهم أو شقاؤهم ، بالجهل الاجتماعي والفقر والمرض وسوقهم إلى قوانين ورسوم موضوعة ونظريات ثبت خسرتها ، وبعدها عن قوانين الفطرة والطبيعة والعقل السليم ، تلك التي كانت أهم موارد الشقاء والبلاء وإذا استطاعت جهود البشر أن تستعيد كثيراً من حقوق كانت مضاعة وتصارع الحكومات والسلطات وتهبّ مكافحة بيد كلما جاءت بنصر عاد الانتهازيون للغلبة وجاؤوا بنظريات أمثال الحريات المتحرفة في الرأسمالية المجحفة بحقوق الأيدي العاملة الكادحة ، وتلتها النظريات الشيوعية القائمة لكسب حقوق الأيدي العاملة الكادحة وإذا بها أهم سالب لها وأشدّها سلباً حتى للحقوق المعنوية من خسران الشعوب من حرية النقد والاعتراض واختيار ما يعمل ويقول وبالتالي ظهر بطلان سيرة كلا الجهتين الرأسمالية والشيوعية .

واليوم كلا المتخاصمين القائمين على تلك النظريات الباطلة عملاً والمسببة لشقاء شعوبهما وشقاء العالم الثالث الغير المنحاز وجرها لمعارك مهلكة لا ينجو منها أحد أي جر العالم الحي للفناء بلا أدنى شك ، ذلك لإصرارهم على أمور خاسرة ، فهلاً كان من الأصح ترك تلك النظريات المرهقة والعود للسلوك الفطري الطبيعي لإقامة حريات مفيدة بنيل المنفعة الفردية والجماعية وخالية من إيصال الضرر إلى الأغيار وتوفيق الجد بالمعاونة والاخوة والرقق والبر والإحسان ونشر بذور المحبة ، أي قيام الحرية البدنية والفكرية ، حرية العمل في التجارة والصناعة والدراسة والكتابة والنقل والانتقال والنشر ومهما يهواه الفرد والجماعة على شريطة أن لا يسلب حقاً للنفس والغير ويسلب الراحة والسعادة بشتى طرقها ودون مسّ بكرامة أو جنية وأي حق مادي أو معنوي للغير ، وأن نسير مطبقين أسس القوانين الطبيعية الأقرب لنا وأهمها ما ذكرته الاستنارة من سلوك الحجيرات في البدن الإنساني وسلوك الأجهزة وقيامها كحكومة البدن الواحد من التعاون والسهرة للقيام على نفعه وصدّ ضرره بصورة منظمة دائمة للفرد والجماعة .

أعود لأكرر ما هي علل الخصام العالمي ؟ وما السبيل لعلاجها؟
والوقاية من الحرب المدمرة ولا بد من معرفة الحقيقة والداء المتأصل للوقاية
والكفاح!

وهل علة الخصام اختلاف النظريات لإدارة الحياة البشرية الصالحة؟
أم هي اختلاف الميول وتضاربها ؟ أم هي الأنانيات والغرور للأقليات الفردية
والجماعية وغريزة حب الظهور والقبض على دست الحكم ؟ أم أن السياسة
الانتهازية لبعض الأفراد والجماعات تقتضي من إقامة هذه الفروق وخلق
وإرسال النعرات العقائدية والقومية والعصبيات الطائفية والدولية؟ أم هناك
علل نفسية للبشر تقوده دوماً للمخاصمات وهي من مستلزمات حياته لا
يستطيع العيش بدونها ، أصبح أن هناك أفراداً لا يروق لهم الهدوء ، لا
يروق لهم أن يجدون بشراً يعيش وادعاً آمناً ويجد في قرارة نفسه إشعال
الفتن وخلق البغضاء وتعكير المياه وصفو عيش الآخرين بقصد الصيد في
الماء العكر ، لا أشك أن البشر فيه كل الصنوف المختلفة فيه الذئب والأفعى
وفيه العقرب وفيه الهزار وفيه النحل المشكل للعسل وفيه من كل الطبقات
ذات الخير وذات الشر بيد أين هي العقول المدبرة أمام هذه الغرائز المدمرة
تارة والمعمرة أخرى ، كيف يتغلب الطيش والرعونة إلى هذا الحد فيترك هذا
البشر هذا الإنسان الذي يرى ويعلم بحقائق الأمور من الخير والشر فيستهويه
طريق الشر على الخير .

إن الذي لديه العقل السليم والحكمة والتدبير ويتأمل في سلوك هذه
الدول العظمى وسياساتها تجاه أبناء جلدتها من البشر هذا السلوك الصادر
بالخير والمثير للشر ، القائل بحقوق البشر والقائم على سلب تلك الحقوق
أي منطق هذا أو أية غاية يريد لها إن نظرة صغيرة إلى الأعمال القائمة بين
الهند في الداخل والهند وباكستان ، إلى الشرق الأوسط ودوله من إيران
والعراق وأمراء الخليج ولبنان وسوريا والأردن والسعودية والارتباك في شتى
أنحاء العالم الدول العظمى والصغرى ، الهاز لأركانها والتطاحن القائم وما
خلقته السياسة الغربية من الفتن الدائمة والقلاقل القائمة ، وهضم الحقوق

وسفك دماء الأبرياء واغتصاب أموال الخليج بما فيه من دول وأمراء وإقامة المجازر وسلب أعز ثرواتها وأموالها وتحويل الأسلحة لها بأضعاف الأسعار ووضع المراقبين العسكريين وأهم الأدوات الحربية في السعودية التي كانت في أمان وليست ذات حاجة لكل ذلك وتشريد المثقفين والأحرار أو زجهم في السجون بعد الفتك بهم من القتل والتعذيب دون ذنب اقترفوه .

وتسلط الأيادي الانتهازية على الشعوب في هذه الدول دون أن تجد شعوبها رحمة أو عطفاً أو ملاذاً تشتكي إليه ، كل هذه قائمة ليلاً ونهاراً بعلم وعمل من هذه الدول وشركاتها المسلطة على رقاب البشر والصادحة بأعلى صوتها أنها تتابع تثبيت حقوق البشر ومساعدة الضعفاء .

إن الحياة المادية القائمة عليها الشركات والجماعات السياسية والاقتصادية في العالم الرأسمالي ، وما تدسه الدول الشيوعية لبث أغراضها وزعزعة كيان خصومها ، هي الأخرى الباعثة لهذه الويلات في العالم ، إن فقد المعنوية وفقد الروح الإنسانية والأخلاق الكريمة لصدد الاعتداء والخصومة وفقدان روح الإلفة والمحبة وإدخال السعادة على ذوي الاحساس والشعور ، وقمع مصادر الفساد تلك التي صدحت بها رسل الله وكتبه المنزلته الحاملة للمعنويات ، ومنها الآية القرآنية : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . والأخرى : ﴿ وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ . الواقع الذي لا مرأى فيه ان كل تلك المظالم والفساد إنما ينبعث عن قلوب وأفكار غير إنسانية ملحدة كافرة بالمبادئ الحققة وروح الإنسانية والإحسان المنكرة للحق ويوم الحساب ، المنكرة لله المبدع الخالق المقاصص الواقف على السراء والضراء والذي لا تعزب عنه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

فعلل الخصام ما هي إلا علل مادية تثيرها غرائز حب المال والجاه وطلب النفس ، الأنانيات والغرور ، لكثيرها أغراض خاصة لسلب حقوق الآخرين بأية وسيلة ارضاء وإشباعاً لجشع وطمع وغضب صريح باسم الحرية وحقوق الإنسان فهي بعرفها وما تعمله يمثل الحرية وحقوق البشر ومن

امتنع أو عارض أو اشتكى أو قاوم أو فرّ كان المانع الجائر المتجاوز ، هذا هو عرف السياسات القائمة ، ولا يمكن تغيير الوضع ووقف الحروب والمخاصمات ما دام الحل والفصل بأيدي الزمرة الأولى من الانتهازين الماديين ، وليس لنا أي أمل للإصلاح وطلب ذلك من ذئاب كاسرة وحوش متظافرة ، إذ كيف نطلب العدالة والرحمة ممن يفقدها و « فاقد الشيء لا يعطيه » .

فالبشر لا يصلح إلاّ بصلاح زعيمه ، فالناس على دين ملوكهم ، وما دامت هناك أقلّيات بيدها الحل والربط وهي بؤر الفساد وجب قمعها أولاً وانتخاب من يصلح للإمارة والحكم . بيد أية إمارة وحكم؟ نعم ذهب الماضي بأدواته وأسلحته التي كانت الحروب تقضي على خصم ويتنصر الآخر فيني كيفما يريد ، أما اليوم فإن وقعت حرب فهي تدمر العالم بما فيه الخصمين ، فإذاً إننا اليوم في عهد جديد ، وهو حقاً جديد بأجهزته التي قربت السمع والبصر وقربت المسافات وبأسلحته التي إن استعملت في الحرب دمرت الكل ، فإذاً علينا تدبير الأمر ونحن أمام أمر واقع لا سبيل لنا غير التسليم ، وهذا التسليم هو الطريق الوحيد للنجاة من الدمار والسعادة من الشقاء والحياة من الموت والعدالة الاجتماعية والمساواة البشرية ، من الظلم والقساوة والاجحاف والاعتداء .

علينا اتخاذ سبيل طبيعي وأسس فطرية وسلوك إلهي يحمل روح التعاون والبر والإحسان ، روح التقوى والعقيدة بعظمة الله المسيطر الواقف على أدنى الحسنات والسيئات والمجازي لها والأمر بالخير والنهي عن الشر ، نحن اليوم في حياة جديدة لم يسبق مثيلها ، إما عناد وإصرار على نظريات فاسخة وقواعد وقوانين موضوعة وضعها البشر لأغراضه وقد دلت لليوم على فسادها . أو اتباع قوانين نظرية طبيعية أوجدها الله الواحد الأحد الصمد وهي ثابتة قائمة قد مرّ ذكرها في كتابي الحكومة العالمية المثلى ، ومرّت في كتابي القانون الأساسي تلك التي حكم الله بها كل موجود من جماد وأحياء ، قوانين ونواميس لا يجوز تغييرها والتلاعب بها ، وما نراه من

الحروب والخصام والتدهور وعدم الانسجام وما نراه من الشقاء والدمار إنما هو لمخالفتنا لتلك النواميس الكونية ولا سبيل لنا إن شئنا الحياة الرغيدة إلاً باتباعها ، وما أتبعها إلاً المتقون الذين اتبعوا أوامر الله في نواميسه وتجنبوا نواهيه .

ولا بد لنا من مصلح رباني جمع الله فيه كل الطاقات والخصال الحكيمة المدبرة . واتباع قوانين يُراعى فيه ربّ العمل والعامل ، والفرد والجماعة ، والسائد والمسود ، حقوق الله حقوقاً طبيعية فطرية بين كافة الأطراف تشملها العدالة والمروءة والمساواة ، والإخلاص والأمانة في العمل ، وبذل المجهود ونظرة الرحمة الإنسانية ، فالإنسان أخو الإنسان وكفوئه وأن يراعي فيه جميع الأطراف العدالة والانصاف والتعاون لسد خلة الفرد والمجتمع والدأب المتواصل للنفع العام والخاص ودفع الضرر العام والخاص كواجب لا يحمل المنة شأننا شأن حجيرات البدن الواحد وأجهزته من قيام كل منها لخدمة نفسه والمجموع ، رؤية لا يدخل بحسابها الكسل والتقاعد ، ولا المنة والغرور ، ولا أية خصلة تعود عليها وعلى الباقين من نوعها بالضرر ، والمصلح المنتظر هو سيد الكل وخادمهم الراعي الأمين المجد الأفقه والأروع القدوة الصالحة الذي يحفه الصالحون ، والقاضي على الفساد وارباب الفساد ، تلك هي أسس المصلح في دولته ، وتلك هي سنن الله وقوانينه الطبيعية الفطرية في خلقه من خالفها شقي ، ومن اتبعها سعد وقد حان زمان تطبيقها على يد المصلح المنتظر .

كيف نحظى بالمصلح المنتظر ؟ أهو رسول إلهي ؟ أو هو نخبه البشر؟ ينتخبه الأقوياء ؟ ينتخبه العلماء والحكماء؟ تنتخبه الأكثرية العامة؟ أينهض متى توفرت فيه الشروط الطبيعية والروحية والزمنية ؟ هل نستطيع إدراك تلك النواميس والشروط بحواسنا وإدراكنا؟ وهل لإرادة البشر دخالة لتعجيله واستنهاضه؟ ألّه طاقة وعلم وتجربة تميز عن طاقتنا وتجربتنا؟ وبنية فوق بنيتنا؟ لتتحرى عظماء البشر من حكماء وعلماء وأنبياء ورسلى ، ولتتحرى

بعض حكومات الحشرات وأنظمتها ، ما هي ميزة أميرة النحلة والنملة ، والأرضة ؛ ولله في خلقه شؤون .

أيجوز أن يتزعم العالم وينجيه من ورطته أحد هؤلاء الزعماء القائمين على الدول الكبرى والصغرى؟ نعم أم لا؟ ولماذا؟ .

كيف نهض وتقدم محمد وهو الأمي اليتيم؟ من بين تلك السلالات الضعيفة الغارقة في الجهل والتعصبات الجاهلية المتوسلة بالأوثان والأصنام ، المتنايزة المنغمسة بالمفاسد والأوباء الاجتماعية والعقائدية المجهولة ، الفاقدة لمصادر العيش التي شحت عليها الأرض والسماء حتى لا يطمع بها طامع ولا يحسب لها من جيرانها الأقوياء من أكاسرة وقياصرة حساباً ، فيتقدم بتلك الفلول المتطاحنة والعقول المتشاحنة فيؤلف منها القوى البدنية والمعنوية وحدة فيدك بها الشرق والغرب ، واليوم نحن البشر بحاجة إلى نصير يفعل فعلته وعسى أن تكون بشارته صادقة في حفيده وما ذلك على الله بعبير .

وعجل الله بخروجه ، فيأتي به وقد واتتنا الشروط وتوافرت العلامات وهذا الحسُّ بالحاجة الملحة ، وإننا لمنتظرون وكلنا أمانٍ وآمال ، فأرنا اللهم ربنا الطلعة الحميدة والغرة المجيدة ، وأصلح اللهم شأن هذا البشر المتناحر التائه بالغني والضلالات ، والمتلبس بالنفاق والخدع والجامع للمظالم والبدع ، فعبادك اللهم بيد الطغمة المتجبرة والعصبة المتكبرة بين الخوف من الدمار والهلاك والرجاء بالنجاة والفكك ، مما تلم بهم من قلاقل وفتن مربكة ومذابح ومجازر مهلكة ، لا يقر لهم قرار ولا يجدون سبيلاً للخلاص والفرار ، فعجل اللهم نجاتهم وأسعد حياتهم بآية من آياتك وفرج من خيرك وبركاتك .

نعم : وبعد تلك الكلمة أعلاه وما ذكرته في كلماتي الماضية من توفر الشروط العلمية والزمنية وتلهف البشر وحسُّه لنجاح ، لمنقذ ينتشلهم من أيادي طغمة تدفعهم غرائزهم وعواطفهم بعيداً عن الحكمة والمنطق السليم

كأطفال طائنين أو أمناء عابثين ورغم وضوح العواقب المشينة الفادحة والهوات السحيقة الواضحة والمصير الجهنمي المبيد والخراب المهين الشديد ، هذه الطغمة العابثة بمقدرات الشعوب رغم انفها والمستهترة بحقوق البشر التي تتغزل بها وتظاهر منافقة بالدفاع عنها وهي بأعمالها ألد خصوم هذا البشر المهضوم حقه بأيديها والمسلوب رزقه في نأديها. هذه الطغمة الفاقدة لحنان الأب الرؤوف وحكمة القائد العطوف ، كالوحوش المكشرة عن أنيابها التي يحسبها الأغبياء ابتسامة ، والمتقنعة بقناع الأبرياء الذي يعدها البلهاء احتشاماً ، أنهم خالون وفارغون من أية خلق كريمة وعدالة حكيمة وأدب وإحساس بالبر والإحساس بروح الإنسانية التي نادى بها روح الله سيدنا يسوع ، المدعون أنهم يسلكون سبيله ويدنون بدينه في إنجيله ، فهم فاقدو روح الدين والعدالة وفاقد الشيء لا يعطيه .

نعم إننا ننتظر تطبيق أوامر تلك الصفوة لنحذو خطاهم خطوة فخطوة . مما أمر به أولو العزم من البشر وبشروا به أخص سيدنا إبراهيم وصفوة الرسل من ذريته ، أخص منهم موسى وعيسى وخاتمهم محمد (ص) ، الحاملون لمشعل الحرية والإنسانية والخلق السامي ، والدعوة إلى مسالك السعادة والأخوة والمحبة والبر والإحسان .

وإن لم تكن أوامرهم سارية بالدعوة لليوم فعلى خليفتهم بما يحمله من علم باطن من السلوك الصارم مع القساة الجبابرة والانتهازيين ، ومن يتحين الفرص من هؤلاء المردة لقطع دابرهم ودابر كل فاسدٍ مفسدٍ وفساد بما ألهمه الله من علم وأخص ما أمره الله به من هذا الطمع ولا تستطيع أن تقول ذلك وتستدل به على ما سار عليه الأنبياء والرسل أخص من أصبحت بيده أزمة الأمور مثل محمد (ص) فلم نجده يقضي على من تظاهر بالإسلام عمن أبطن النفاق والشرك من أمثال أبي سفيان ومعاوية وأمثال أولئك الذين كان لهم علم بما يحملون من بغض وحسد وكراهية للإسلام ، وما فعله آل أمية أخص معاوية بخيار الصحابة وما فعله مروان وآل مروان بهم وهناك ما يدل على علم محمد بذلك . فلماذا لم يستأصل شأفتهم هم ومن عارض الإسلام

وأدخل وأخرج من أحاديث نبوية كاذبة سببت التفرقة في المذاهب في الدين الواحد ، كل تلك تجعل للمعترض الحق في النقد ، بيد هناك أمور في القرآن عن مصاحبة سيدنا موسى كليم الله وهو من أعظم الرسل ومن أولي العزم ويطلب مصاحبة الخضر ليقف على بعض أعماله ويتعهد بعدم الاعتراض عليه ، ورغم ذلك حينما يجد من الخضر ثقب السفينة التي أفلتهم ، وإقامة الجدار لمن أبوا أن يضيفوهم وقتل الغلام ، تلك الأعمال الدالة على سلوك غير منطقي فبين له العلل إن أراد مفارقتة وبالتالي قال له انه كان مأموراً من قبل الله ولم يفعل من نفسه .

ونحن لا نشك أننا بحاجة إلى قمع دابر الفساد والمفسدين وإلى قوة باطنة وخارقة من الله ومدبرة في المصلح المنتظر به تتظافر الشروط والقوى لإقامة الحكومة العالمية المثلى على وجه هذه الأرض ، نحن بحاجة لمصلح أعطاه الله ما لم يعط غيره من علم باطن وتدير لتحكيم أسس شريعة الله ، وإقامة دولة حق أساسها العدل والانصاف والبر والمحبة والإحسان والرفقة ، مقرونة بالعلم الباطن وأوامر الله الخفية ، دولة الأخيار المصلحين ونكالاً للطغاة الطالحين دولة تقيم بها أصول قوانين الله ونواميسه الطبيعية الفطرية مشفوعة بروح العدالة والاعتدال ، هذا الاعتدال شرط من تجنب الإفراط والتفريط والزيادة والنقصان في استجابة الميول الغريزية . فمثلاً كالاعتدال في الأكل دون زيادة أو نقصان أو في كلاهما يحصل الضرر وقبله الزيادة والنقصان في الأحوال الجنسية إذ في الزيادة يورث الضعف ، والنقصان يورث أمراضاً روحية ، والاعتدال هو الأصل وهناك آيات قرآنية في الأمر : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ ، وقوله تعالى ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ ، وأمثال ذلك ، وقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في وصيته لابنه جعفر الصادق عليه السلام : يا بني خذ الحسنة من بين السيئتين ، فما نقص سيئة وما زاد سيئة . وقول رسول الله محمد (ص) لعلي : يا علي هلك فيك اثنان : محب مغالٍ ومبغض مقالٍ ، مثل من بالغ به وغالى فيه وقال إنه الرب كما فعل قبله النصارى في

يسوع المسيح أو من حقره وأوجب سبه ولعنه في عهد معاوية وخلافة الأمويين ، فالعدالة يليها الاعتدال من الشروط التي تلزم في المصلح المنتظر ، كما تلزمه التقوى وهو أن يكون الله دوماً محسوباً نصب عينيه رقيباً له يحاسبه في الصغيرة والكبيرة في أوامره ونواهيه ، وأن يشعر في قرارة نفسه بالمسؤولية التي قالها محمد (ص) : كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته وللمصلح أعظم مسؤولية أمام ما يحمله من السيطرة والقوة والإدارة وما هي بحاجة له من حكمة وعلم وتقوى تلك هي أسس المصلح في دولته . .

مدير محطة الإذاعة العربية في واشنطن المبجل :

إني أحد المستمعين لإذاعتكم العربية كل يوم

وكنتم أذعتم يوم ١٩٨٥/١١/٤ خبراً عن قرب اجتماع الرئيسين الأمريكي والسوفيتي بغية الوصول إلى تخفيف حدة التوتر والحد من الأسلحة المدمرة وربما الوصول إلى سلام شامل . وطلبتم رأي المستمعين حول ذلك .

وإذ كنت مهتماً كل الاهتمام لسلام العالم . وقد بدأت إحدى موسوعاتي منذ أكثر من ٢٥ سنة في ثلاث أجزاء باسم :

- ١ - الحكومة العالمية المثلى .
- ٢ - القانون الأساسي لهذه الحكومة .
- ٣ - المصلح المنتظر بنظر أهل الأديان والآراء .

والكتاب الأخير جمع أحد عشرة مقالة أكملته بالمقالة الثانية عشر للجواب على سؤالكم . أرجو بحض منكم بالقبول والنشر ولكم مني مزيد الشكر والامتنان .

جواد جعفر الخليل
قاضي متقاعد ومحامي سابق

وأخيراً أعلن لمقامكم أنني سأستمر على الكتابة وهناك نظريات لنجاح ما عرضته أعلاه والوصول إلى توحيد العالم البشري واستتباب الأمن والسلام ، وأنا مستعد لتقديم المقالات السالفة والتالية حسب طلبكم وبانتظار طلبكم .

المقالة الثانية عشرة

جواب إذاعة محطة أمريكا بالعربية من واشنطن بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٥

في التاريخ أعلاه أذاعت محطة إذاعة واشنطن في الساعة الخامسة بعد الظهر أن الرئيسين الأمريكي والروسي سيجتمعان للبحث حول تحديد وتحقيق القوى الذرية فما رأي المستمع الكريم عن نتيجة ذلك الاجتماع؟

أقول : لا شك أن حادث اكتشاف القنبلة الذرية بلغ من الأهمية بمكان لم يحدثه أي حادث سابق أخص وأنه اكتشف من لدن خصمين مختلفين في العقيدة ، وثبتت أضراره التدميرية ثبوتاً قاطعاً ، وتسابق الشرق والغرب في أسلحته التدميرية حتى أعلن الدكتور كولد فالدهايم قبل سنين في دور زعامته لهيئة الأمم المتحدة أن المتخاصمين قد أحضروا مليوناً من القنابل الذرية ، تلك التي تكفي للقضاء على أمثال الكرة الأرضية . وقد أعلنت اللجان والمؤتمرات العلمية ، ورجال الإصلاح عن سوء العاقبة من الحرب القادمة وأنها متى بدأت من أي جانب ، فسوف تقضي لا على البشرية فحسب بل على كافة الأحياء في البر والبحر والهواء ، ولا تترك لها منتصراً بل الكل حكام مبار لهذا أتقدم مجيباً على سؤال الإذاعة بما يلي :

- ١ - من يمثل الرئيسان؟ .
- ٢ - حدود صلاحيتهما السياسية .
- ٣ - حدود صلاحيتهما العلمية والمنطقية .
- ٤ - حدود اتجاهاهما الإصلاحي العالمي .

٥ - اتجاه العالم الدولي .

٦ - إحساس الغالبية .

٧ - إحساس القلة ذات العلم والحكمة .

٨ - هل يدرك بهذا الاجتماع إصلاح ونجاح تام .

٩ - ما هو سبيل النجاح؟ .

١٠ - هل اكتملت الشروط للوحدة؟ .

١ - من يمثلته الرئيسان الأمريكي والروسي؟ أهما يمثلان دولتيهما؟ أي الدولة الأمريكية والدولة الروسية؟ أم يمثل كل منهما حزبيهما؟ أي يمثلان شعبيهما؟ أم يمثلان جبهتيهما؟ أي الجبهة الغربية بما فيها من دول رأسمالية والجبهة الشرقية بما فيها من دول شيوعية ، وعندها يوجه سؤال لو صح ذلك ، فمن يمثل الجبهة الثالثة المحايدة؟ وهل الجواب على كل سؤال يمنح كل واحد منهما القدرة السياسية والشرعية حقاً على متابعة المقررات؟ هذا وكل رئيس يعرف أن طرفه ليس له ذلك التخويل وتلك الصلاحية المطلقة للبت المفروض على الباقيين وهناك من يعتبر ويعتد برأيه وربما كان هذا الرأي أصلح لولا ما يحمله الرئيس العربي أو الشرقي من الاعتداد الخاص بنفسه وممثلته الذين انتخبوه للزعامة وحسب وإن أضرب بغيرهم مادياً أو معنوياً .

٢ - حدود صلاحيتهما السياسية؟ أي لأي حد سياسي قد خُوِّل كل رئيس للمفاوضات والبت في الأمور عن جبهته المارة أعلاه ، وهذا الفرض سوف يطبق تطبيقاً تفرضه السياسة الرأسمالية التي سنشرح نواقصها التي يجب تعديلها ، ومثلها ما تفرضه السياسة الشيوعية وما تحمله من انحرافات يلزم تعديلها . تلك التي ثبتت أخطاؤها النظرية في التطبيق والجارية بحكم القهر والغلبة .

٣ - حدود صلاحيتهما العلمية والمنطقية؟ وهي الأقرب للشرعية والثقة لقرىها من العدالة الاجتماعية والفطرية الطبيعية البعيدة عن القوى القهرية المجردة ، فالصلاحية العلمية المنطقية تقوم على أسس ثابتة متينة في حكم

القانون الطبيعى المستحكم الذي يفرض اتباعه العقلاء والمجربون والذي يعطي نتائج مفيدة للفرد والمجتمع والذي خلا من أي غرض خاص وعواقب وخيمة ، وعلى هذا هل يحمل الرئيسان مثل هذه الصلاحية والبث فيها للصالح العام دون رعاية صلاحية خاصة ؟ لا أرى أو يراه غيري في هذه واقعية صادقة . . .

٤ - حدود اتجاههما الإصلاحى الذاتى ؟ إن الموضوع بالغ من الأهمية لدرجة قصوى ، مما يفرض بل ويحتم أن يحمل كل من الرئيسين من القدرة الذاتية الشخصية من حكمة وعلم وإرادة وتشخيص وبصيرة لحل المعضلات العامة والخاصة ، حلاً يوصله للنتيجة المتوخاة من الإصلاح العام والأهداف القريبة والبعيدة ، وهدم بؤرات الفساد والمفسدين وإقامة الصلاح والفضيلة العامة المؤدية لسلام البشرية من العواقب المشينة ، وشوقه إلى الوئام والسلام والحياة الأفضل والأسعد .

فالروح والقدرة الذاتية تختلف في الأفراد ، فمنها ذات طاقة ضعيفة لدرجة تقف مكيلة الأيدي من تسيير نفسها ، وتحتاج لمن يسيرها ، وثانية لها القدرة الذاتية لتشخيص مصالحها ، وتتقدم هذه القدرات لإدارة العائلة والعشيرة ، والقدرة الإدارية لجموع أو مجموعات بشرية كقبيلة أو مدينة أو إمارة كبيرة ، وربما لدولة صغيرة أو كبيرة ، ومنها التي لها قابلية طبيعية لإدارة أمور سياسية وأخرى اقتصادية وأخرى لشؤون اجتماعية كما هناك من القابلية لإتقان أمور رياضية ، وأخرى لاتقان أمور فيزيكية أو كيمياوية ، وهكذا في شتى سبل الحياة . وأعظمها من كانت فيه اللياقة للمجموع وأكملها بالعلم والتجربة ، وهناك ذاك الأخلاق السامية والتممايزة بالحلم وضبط النفس وبعد النظر ومسايرة الأمور واللياقة الفائقة ، لوضع كل شيء مادي ومعنوي في موضعه ، وأعظمها من كان دوماً فطرياً ومنطقياً يراعى المصالح العامة ويتبصر بالعواقب والنتائج ، ويحمل روح النبل والإيثار الإنسانى ويميز الخير من الشر ويتبع الفضيلة دون أن تتغلب عليه العواطف والميول والغرائز المشينة ، ونظرته الشاقبة تقوم على العدالة الاجتماعية ، وهناك النفوس القاهرة ،

والشريرة والانتهازية الخاصة ، وذات الأغراض والمنافقة ، وتعرف كل منها من أعمالها ونتائج أعمالها وسلوكها والرجال مخابر لا مناظر ، إذ ربما كان المنظر جميلاً بيد المخبر وبيلاً ، وهكذا اللياقة الذاتية إذا اقترنت بالعلم والتجربة كانت قد كملت فيها المؤهلات الخاصة في كل موضوع ، وعلينا دوماً وضع الشيء في موضعه إن شئنا الإصلاح ، وإلا كان العمل مُخرباً ، فليس من اللياقة وضع رجل الميكانيك مهما بلغ من الخبرة في مكان الطبيب أو المزارع أو رجل الاقتصاد أو مدبراً لمختبر كيمائي أو فيزيكي ، محاسباً رياضياً أو ما شابه إذ وضع كل من ذكرنا في محل الآخر ، إن وضع الشيء في غير موضعه قد يؤدي إلى التأخر والتدهور كترميم عضو في البدن بعضو آخر مهما بلغ مقامه في الأهمية كترميم الكلية أو الكبد بالقلب وعضو السمع بالبصر وما شاكله .

٥ - اتجاه العالم الدولي؟ قلت العالم الدولي من الدول الغربية والدول الشرقية والجهة الثالثة لدول العالم الثالث واتجاه نظرتها بالنسبة لمفاوضات ومقررات الزعيمين ودرجة ثقتهما بهما إذ كل واحدة تهمها مصالحها الخاصة قبل العامة ، وحتى ما تهتم به أقطاب كل شعب في الدولة قد لا ترتضيه الأكثرية الشعبية حتى في الداخل ، وتختلف أحزابها بالنسبة لرمي كل من منهاج الزعيمين وترى في مسيرتها كتابة ارغماً قد يكون هناك ما هو أجدر للبحث فيه وأجدر في تقريره وانتهاجه ، وبصورة أوضح هناك مصالح خاصة للأحزاب السياسية للولايات المتحدة ، وهناك مصالح خاصة لشركات الترسات الأمريكية العظمى ، وهناك مصالح داخلية للولايات ، ودونها المصالح العامة للشعوب الأمريكية التي ربما اتجهت أهدافها بصورة معاكسة للآخرى ومثلها الاتجاهات الخاصة للأحزاب الشيوعية في الداخل والخارج ، وما تحمله نفس الشعوب هذه من التباين والتضارب في الداخل والخارج وأثر كل منها في المصلحة العالمية وتوجيهها من النظرات الخاصة إلى العامة ورعاية العدالة الاجتماعية بحد سواء لأفراد البشر .

٦ - إحساس الغالبية؟ يا ترى نظرة الزعيمين وأهدافهما لأي حد تتفق

مع المصالح العامة والأكثرية الغالبة ، وما هو إحساس الأغلبية من مجموع الدول والدويلات والأفراد والجماعات ، ونحن نرى بأن أعيننا أن سلوك الدول العظمى للآن إنما تراعى بها المصالح للأقلية المتنفذة دون رعاية الأقل طاقة وقدرة ، ولطالما ذهبت مصالح الأكثرية حتى في الدول العظمى هدراً لطيش أو غايات خاصة ناهيك ما تتلقاه الدول والشعوب الأخرى من إجحاف ومظالم بعيدة عن العدالة الاجتماعية والانصاف ولل بصير الواقع على ما تثيره المصالح الخاصة في الدول الرأسمالية والشيوعية في شعوبها طوراً باسم الحريات وطوراً باسم حقوق البشر وبأسماء مشوهة كم نجده من التجاوزات والتعديت وسلب الحريات ونشر الفتنة وإقامة الحروب والمفاسد في الداخل والخارج مما لا يخفى على المدقق البصير . . .

فالعالم الدولي لا يخلو من اتجاهات ثلاث : (١) الرأسمالية . (٢) الشيوعية . (٣) العالم الثالث . والأولان هما بؤرة شقاء العالم ! ورب متعجب في هذا القول وكيف ذلك : وعلى سبيل المثال أقول : على حد المثل المعروف : خير الأمور أوسطها .

أو ما قاله حكيم يوصي به ابنه^(١) يا بني خذ الحسنة من بين السيئتين ، إذ دوماً حد الاعتدال في غريزة الجوع هو حد الاعتدال الوسط فما قل أورث الضعف وما زاد أورث التخمّة وتعقبها الأمراض . ومثلها الانفاق فالتبذير سيئة والتقتير سيئة وخيرها الوسط ، ومثلها الغريزة الجنسية : من أمسك عنها أصيب بمرض الهستري وهي سيئة ومن أفرط بالأمور الجنسية أصيب بالنورستانيا وضعف الأعصاب وما تولده من المساوىء ، وهكذا في شتى شؤون الحياة وشتى الاستفادات من الغرائز الأخرى .

أقول : إن الرأسمالية أطنبت بالحريات وحقوق الفرد والجماعات وأفرطت فيها حتى بعدت عن حد الاعتدال وزلت عن أصول الحرية والحقوق فهي سمحت للصبيان والشباب والرجال والنساء بالحريات ، مطلقة

(١) ما أوصى به الإمام محمد الباقر حفيد الحسين (ع) لابنه جعفر الصادق (ع) .

لهم ما شأؤوا دون مراعاة أخلاق وصحة وأدب واقتصاد ورعاية للآباء والمربين والمعلمين ، فتركهم يتناولون المشروبات الكحولية والمواد المخدرة ويقيمون الحفلات المزرية بالأخلاق ويزجون أنفسهم في نوادي القمار ويرتادون كل أنواع الموارد الجنسية دون حساب عواقبها فيقعون في الاعتياد على المخدرات والاستهتار بالآباء والمعلمين ، والاتصال الجنسي المؤدي للأمراض الجنسية من جهة ، وإلى الحمل والاسقاط وترك أطفال يكونون عبئاً على الدولة وسلوك الشباب والشابات سلوكاً لا يكفل لهما الحياة الزوجية الشريفة هذا إلى الاعتياد على المسكرات والمخدرات وما تؤدي به من سلوك في الحياة غير شريف وأحياناً مزرية وأخرى مهلكة ومنها بيع وشراء وحمل الأسلحة التي طالما سببت قتل أفراد بريئين .

وحريرات أخرى اقتصادية في المصانع والمتاجر والمزارع والمعامل والامتلاك والتجارة التي يقع فيه الأفراد ضحية للأقلية الجشعة وخلق صنوف من أجهزة القمار والألعاب التي يقضي فيها زمناً ضاراً غير مجد ولا نافع سوى ما يضحيه من وقته وماله ويعود فاقداً قواه وماله ، وغاضباً على المجتمع وما يؤدي ذلك من سوء الأخلاق والسلوك وبالتالي الشقاء للفرد والمجتمع . وباسم الحرية ما يتاجر به الأفراد والشركات ، ويشيع ويبت من أنواع الأسلحة والمواد المخدرة تلك التي تقوم به شركات المخدرات وشركات الأسلحة وشركات النفط وغيرها ، فالمخدرات تفرض من طرق الحيلة والمكر والدعاية وشتى الطرق الأخرى لما فيها من فوائد اقتصادية رغم أضرارها وشررها وقد أصبحت وبالأعلى على الفرد والمجتمع في الداخل والخارج . . .

وأما الأسلحة فهي الأخرى وما تجره الحريرات الماضية على الاستهتار ، وهذه التي تباع دون رعاية على الأفراد في الداخل وتفرض على الشعوب الأمانة في الخارج بإلقاء الفتن والنفاق والشقاق بين الطوائف والمذاهب والعقائد والدول لإقامة الحروب والمنازعات وتكفيينا نظرة في الشرق والغرب بل توجه إلى إسرائيل ولبنان والعراق وإيران لتري ما فرض

عليها من ذلك وكيف أُلقيت الفتن وقامت الحروب وذهبت مئآت الألوف ضحايا دون غاية وجدوى ، ودون قصد سوى لسلب أموالها وإزهاق أرواح خيرة شبابها وقتل وتشريد خيرة رجالها وإلقاء الرعب على جيرانها من دول الخليج لشراء أعظم طاقات الأسلحة وبذل مواردها النفطية الثمينة بأبخس الأثمان في سبيل غايات مصالح هذه الشركات النفطية ومختلف الأسلحة دون جدوى ، وشعوبها وشعوب العالم الثالث بحاجة لمختلف العون المالي والعلمي والأدبي والصحي .

تلك هي بعض الحريات في الدول الرأسمالية المتظاهرة بالعلم والأدب والصادحة بحقوق البشر . هذا الحق المهضوم بأيديها ونواذيرها ، وهي المالكة لأنواع الدعايات العالمية وتَصِمُّ كل من قاومها بالخروج والإرهاب ، وبما تجريها من الجنايات العظمى دون حساب .

وأما الشيوعية فهي الأخرى التي وردت الميدان بإصلاح حال العامل المتدهور في الدول الرأسمالية والمغلوب على أمره بيد الأقلية من ذوي رؤوس الأموال والشركات الصناعية والزراعية والتجارية تلك التي تستخدم العمال وتستحوذ على نتاج أعمالهم ودون أن تسدد لهم سوى الجزء اليسير من نتيجة كدّهم مرغمة إياهم بقبول ذلك .

هذه النظرية الشيوعية التي جاء بها كارل ماركس ومن سار على خطاه ، وكل قصدها ترميم ما لحق بالعامل من جيف وما لحقه من سلب حرية وحق ، هذه الشيوعية هي الأخرى جاءت على الطرق الأخرى المسيئة لسلب الحقوق والحريات ، جاءت بعصبة قبضوا على زمام الحكم بالقوة وسلبوا كل أفراد الشعب من حقوقه في الأجرة وأرغموه على العمل في المعامل والمزارع والمتاجر وغيرها وسلبوا كل نتاج عمله سوى النذر اليسير وحرّموه من حق في اختيار العمل ومدة العمل وابدال العمل والتملك للنقل والانتقال والقول والكتابة والنشر والانتقاد والتظلم بل تركوه آلة مسلوية الحرية والحقوق يسرونه كيف شاؤوا .

تلك أفراد الرأسمالية وهذه ضدها الشيوعية ، تلك الرأسمالية الجالبة لشقاء البشر باسم الحرية والحقوق المستهجنة وهذه الشيوعية السالبة للحرريات والحقوق الطبيعية والمكتسبة .

ولم تبق الرأسمالية على حالها بل تقدمت نحو الشيوعية بالضرائب الكبيرة ووضعت ضماناً اجتماعياً للفرد بيد تركت ذلك الافراط المشين أعلاه في الحرريات وظلت تعين شركات الأسلحة والنفط وغيرها الغاصبة والسالبة لحقوق البشر بصورة مروعة .

وتقدمت الشيوعية تشاطرها القسمة بنفس الطرق من بيع الأسلحة وإثارة الأهوال والخطوب في العالم ، وكل منهما يعرف حق اليقين الأعمال المزرية حيثما ينسبها لغيره ويبيده وسائل الدعاية والنشر وويل لمن خاصمها من الأفراد والجماعات حتى توصمه بأنكر الأعمال وأقبحها .

٦ - حساب الغالبية؟ لا أبداً الغالبية إما في غفلة وانشغال أو جهل مطبق ، أو مأخوذون بالدعايات ، أو شغلهم العوز والمحن أخص في العالم الثالث ، ما مأخوذ على أمرهم رغم علمهم ...

٧ - إحساس القلة ذات العلم والحكمة! وهم أشد الجميع شقاء ، حيث تذهب صرخاتهم هباءً في واد ، أو لما تستكمل الشروط لإنجاح دعوتهم ونشر إصلاحهم ، ولا بد لهم يوماً تستكمل الشروط وقد قبل إذا ضاق الأمر اتسع ، والحاجة أم الاختراع . وهم تحت كبت الإذاعات والاهمال من الدول الكبرى . ولا بد من يوم تتجمع الشروط وتظهر الحاجة للمصلح المنتظر الذي ترنولطلعته الجموع المغلوبة على أمرها ليهزم به الفساد والمفسدين ، ولا بد من يوم تندحر به الرذيلة وتسود الفضيلة وتقوم حكومة الحق والعدل ، وتفوز القلة الفذة الحكيمة على المنافقين الانتهازيين الحاكمين ..

٨ - هل يدرك الرئيسان بهذا الاجتماع إصلاحاً ونجاحاً ؟ ..

ترى مما مر هل يحمل الرئيسان الصلاحيات والمميزات المؤهلة لمثل

هذا الإصلاح من عدة جهات مرّ وذكرناها ، من المؤهلات الذاتية الطبيعية والعلمية والخلقية والأخلاقية ، وهل هما إذا قطعاً أمراً سيتحقق السلام بصورة دائمة وعامة ، وهل انهما يحملان من حسن الظن الواحد للآخر للجزم على خلع سلام جزئي أو كلي ؟ وكيف يثبت الواحد للآخر وللأطراف المشرفة على سيرة الرئيسين على صحة ذلك ؟ نعم إن ما قام به كلاهما للآن في داخل دولتيهما وخارجها من المصالح العامة والخلق الرفيعة لم تبرهن على تلك الثقة ، وإن توافق فبشروط تبقى وهلة وجيزة ثم تنقضها أغراض وعوامل قائمة إذ هناك تعديات ومظالم ، تجري ولا زالت من طرق هذه الدولتين وفي عهد هذين الزعيمين أعمال مخالفة ومناقضة لقوانين الأمم المتحدة والخلق الرفيعة والعدالة الاجتماعية ، منها ما يجري في أفغانستان وكمبودجيا وما يجري في الشرق الأوسط بين الدولتين المسلمتين المتجاورتين بتحريرض وتمويل من الغرب والشرق وما يجري في فلسطين ولبنان ، وما تدعُ لها دول الخليج دعاً لشراء أسلحة واتباع سبل تهدر بها أموالها ، وتسلب منابها البترولية بشتى الطرق بين الخوف والهلع ، تلك التي إن كان للرئيسين يد مصلحة إنسانية وإحساس بحقوق البشر ورعاية عاطفة بشرية لعادت الحياة إلى مجاريها ولما أُقيمت المجازر في الدول الشقيقة المتجاورة دون هدف واقعي ولما قامت الحروب المصطنعة ، وقد تكلم الزعيمان قبيل اجتماعهما بأنهما مستعدان للمفاوضة والأعمال الإصلاحية وتعميم الثقافة بين البلدين ومبادلة الموارد الرياضية والثقافية بيد ما أحلى الكلمة الأخيرة التي فاه بها الرئيس « ريكن » بعد خطبته المنمّقة بأنه سيعمل كل ما يزيد التقارب مما مرّ ذكره بين الشرق والغرب بيد يجب أن لا نذهب بعيداً في التفاؤل . .

أقول : هل يمكن التفاؤل بالتقارب والمصالح الخاصة هي الطاغية ، والنوايا وسوء الظن لا يمكن أبداً الإعراض عنها ولا يمكن أبداً التغاضي وعدم الحذر وهناك الأقليات المتخالفة المسيطرة على دست الحكم . بل لا زال على دست الحكم نفس الحكام ذوي الآراء المتناقضة عن بعضها والنظريات المتخالفة والنوايا المتباعدة .

إن بذور الإصلاح يجب أن تنشر وتعمم من نفوس جبلت على الفضيلة من غير الكتلتين ، يجب أن تصدر من كتلة لا تفرق بين أفراد البشر أولاً تحرمه من حقوقه العادلة من قمع الفساد ونشر الفضيلة وسيان عندها كل واحد من أفراد البشر ولا يفرق ويميز ويرفع كفة الواحد على الآخر سوى الروح الإنسانية ومكارم الأخلاق والعلم المقرون بالفضيلة والإحساس بالعاطفة إلى هذا النوع على حد سواء وأن يقوم الايثار والمحبة والحكمة مقام الأنانية والطيش والعداء ، وعليه لا سبيل في هذا الاجتماع إلى سلام يعم البشرية طالما من وراء أغراض متباينة ومصالح خاصة .

٩ - ما هو سبيل النجاح؟ .

إن للسلام والفضيلة والعدل الاجتماعي وإدراك المساواة أصولاً وأسساً ورجالاً يتميزون عن رجالات الشرق والغرب ويقصدون إلى هدف واحد وعقيدة واحدة فطرية طبيعية وقواعد وقوانين فطرية طبيعية مقرونة بالعلم والخلق الفاضلة التزيهة بيد أفراد حسبوا خدمتهم وظيفة إنسانية مجدودن حكماء يريدون جادون يتميزون بالإيثار مثاليون بعيدون عن المنة والأنانية ، بل هي كالوظيفة الذاتية التي يقوم بها المخ المشرف على أعمال البدن الإنساني المختلفة وبأجهزة البدن وأعماله والمؤتلف والمتعاون الواحد للآخر بذأبه ومعاونته لنفسه وغيره على حد سواء ، يرسل الإيعازات صادقة أمينة ويتلقاها من مصادرها بصدق وأمانة ويسير ككتلة واحدة لخدمة هذا البدن الإنساني .

وبالتالي يجب أن تقوم في العالم على هذه الكرة الأرضية دولة عالمية مثلى واحدة على شاكلة الجسم الإنساني بقوانينه الفطرية الطبيعية والتعاون والجد والدأب للعمل كل في اختصاصه وأخذ نصيبه العدل ، وأن تكون الخدمة والدفاع والهجوم وظيفه عامة ، وأن يتساوى أفرادها في الأفراح والأحزان ، إن أصيب طرف صغير أو كبير في أقصى أطراف البدن يهب البدن بما لديه من حول وطول لإنقاذه وإصلاحه ولا يهدأ إلا بعود السلام والأمان لذلك العضو هكذا يجب إقامة حكومة عالمية مثلى ، والمشرفون

على إدارتها ومصالحتها لهم مقام المخ المحاط لصونه بأشد أنواع الصيانة ، وهو حائز على قوة تصله الأخبار صادقة ويوحىها صادقة ويمدّه الجميع بما يحتاج ويجد الجميع بما يلزم كوظيفة يقوم بها هو وكل عضو صغير أو كبير تحت إشرافه بإخلاص في كل لحظة .

١٠ - هل اكتملت الشروط لقيام هذه الدولة العالمية المثلى؟ . اليوم كل الشروط جاهزة وما مر زمن سبق هذا العصر اجتمعت فيه شروط قيام دولة عالمية مثلى مثل هذا العهد . ونحن إذ نشبّه هذه الدولة بدولة البدن الواحد الذي يضم بلايين الحجيرات المختلفة في خدماتها ومئات بل آلاف الأجهزة القائمة الدائمة في العمل والمتعاونة فيما بينها ، في الخدمة والإحساس والإسعاف والدفاع والهجوم والأفراح والأفراح ، وسد الاحتياجات المادية والمعنوية رغم قيام كل منها بعمل يخصها دون سواها وعدم إمكان ترميم العين إلا بالعين والسن إلا بالسن فهي متعاونة ولكل مميزاته الذاتية ، وتصلها الإيعازات والأنباء بلحظة وتصدر منها للأطراف بلحظة ، متقاربة في الماديات والمعنويات صادقة وسريعة بالأنباء وعلى عدة وعدد وجاهزة لصد الأعداء وترميم الخراب وإرسال الاحتياجات . هذه المميزات ضرورية للحكومة العالمية المثلى ، وهذه المميزات والصفات لم يتم قيامها على وجه الأرض ولم تنهياً للمجموعة البشرية من قبل ، أما اليوم فقد تقربت الأفراد البشرية وجماعاته بالسمع والبشر وسرعة الامدادات وترميم الخراب وتعميم المعارف والعلم والحالة الاجتماعية من العلم والعمل ، وما اكتشفت من الأجهزة السلوكية واللاسلكية ، وأجهزة الحمل والنقل البري والبحري والجو بما تملكه من سرعة وطاقة وحافطة الكمبيوتر وغيرها ، تلك التي قرب الإحساس والشعور والإلفة وضم الأفراد والجماعات لبعضهم ، وتعميم الوعي بكل وسائل الدعاية الصالحة بما تضمه من أدوات وإمكانات وإمكان ضمان الفرد والجماعة وضمن حقوقه وحرياته النافعة وقصم الضارة وتعميم السلام والسلامة ، والوثام والسعادة ، والحياة الاجتماعية العادلة والتساوي بالحقوق والاحتياجات وحد كل ما يضر بالفرد والجماعة مادة ومعنى . .

نعم اليوم كل شيء جاهز ، واليوم وحده يشعر الأفراد والجماعات بالحاجة لتوحيد العقيدة واللغة ولا يتم ذلك إلا بحكومة عالمية موحدة ذات هدف واحد ، بها تنهى المنازعات البشرية على اختلافها من عقائدية وطائفية ، جنسية ولونية ، وغيرها ، والكل يشعر كم بهذه الوحدة من ضرورة وكم بها من خصم لأنواع الرذائل والفساد وضم لأنواع الفضيلة والرشاد . .

والحاجة أم الاختراع لقيام الزمرة الصالحة المشكلة مقام المخ المهيمن على جسم هذه الحكومة العالمية تحت نفوذ سلطان عادل يقصم مفاصد الشرق والغرب ويوجه الجميع إلى المقام الأسمى والحياة الأفضل وقد برهنت التجارب أن هناك في هذه الخلقة معاجزاً ونبوغاً وإن الشروط إذا اكتملت ، والإحساسات إذا توحدت ، وأدرك الجميع وأجمعوا على ضرورة والحاجة سيجود الناموس الأعظم بحل هذه المعضلة ويسهل الإسعاف ويتم العلاج وإننا لمنتظرون بما تنبأ به الأنبياء المرسلون ودعا إليه ووعد به الحكماء الصالحون من قيام الحكومة الصالحة على يد الزمرة الصالحة ، كما جاء في الكتب السماوية كالزبور والقرآن الكريم : * إن الأرض يرثها عبادي الصالحون * والعاقبة للمتقين . . *

المقالة الثالثة عشرة

الحكومة العالمية المثلى هي السبيل الأمثل لسلام البشرية وسعادتها

كيف نحقق تلك الوحدة؟ كيف نحقق الوحدة ودونها العقائد السياسية ، والدينية والجنسية واللون ، واللغة ، والعادات المختلفة وغيرها ودونها الغرائز ، كالأناثيات وغريزة حب المال والجاه وحب السيطرة والمنابزات والحرص والجشع والشره والنفاق ، ودونها المنافقون والانتهازيون والمغرضون ، ودونها السياسات المختلفة الفردية والجماعية والحب والبغض والحسد وسوء الظن وحب الانتقام وحب النفس ودونها كثير وكثير من المزايا والصفات المتجاوزة حد الاعتدال حتى تصبح سيئة ، أو القاصرة عن حد الاعتدال مثل البخل والجبن والكسل والجهل وما شاكل حتى تصبح هي الأخرى سيئة .

فكيف نحقق الوحدة ونبدأ بتقاربنا في العقيدة؟ بالتربية والتعليم الصالحين ، ونهج أصول العدالة الاجتماعية والخلق السامي ، ونبذ الخصال والمساوىء أعلاه ، وحس الرحمة والإلفة واعتناق مبادئ الأخلاق السامية وفي مقدمتها التآخي والإيثار والصفح والبر والإحسان وإبدال العداء بالمودة والمنابزات بالملاطفات والتباعد بالتقارب ، والحس بوحدة الخالق المبدع المهيمن الواقف على السراء والضراء ، بوحدة الوجود ، بوحدة الخلقة الإنسانية من أصل ونوع وعناصر وأجزاء واحدة من ماديات ومعنويات واحدة ، الحس بضرورة وحدة النظر والسمع والذوق وبقيّة المزايا والصفات

الإنسانية وغيرها ووحدة العقل ودلالته على الخير والشر والفضيلة والرذيلة وتعليم فاتباع سبل الفطرة الطبيعية كسيرة الحجيرات وأعضاء البدن الإنساني .

كل تلك الإحساسات خير مثار لتأمين الوحدة وإقامة دولة عالمية مثلى أساسها العدل الاجتماعي ، والبحث في الطرق الموصلة للشمع والشم ، والوقاية من مسببات الفرق والتباعد والخصام والعداء بل وأرقى من ذلك إبدال سوء الظن بحسن الظن والكبرياء بالتواضع والشراسة بالصرامة بحسن الخلق ولين العريكة ، والجشع والطمع بالسخاء والإيثار ، والخوف والجبن والتردد بالاستقامة والثبات والجد والإرادة ، والوقية بالآخرين بالبر والإحسان .

ولو دققنا ويحشنا عن مسببات التفرقة والعداء وشرحناها على بساط البحث تلك التي جرت الويلات والشقاء لكافة البشر وتعمقنا في عللها لتأكدنا جميعاً القوي والضعيف والسيد والمسود والغني والفقير والعالم والجاهل ، إنما هو الخروج عن الاعتدال والصراط المستقيم وبالتالي الخروج على المنطق السليم إذ باتباع الفضيلة ونهج سبل الخير توصلنا دوماً للسلام والسلامة وراحة البال والإلفة والمحبة والمودة والصدقة ، وبالتالي السعادة وعكسها اتباع سبل الشر والرذيلة مهما حققنا بها من الماديات ، فهي بالتالي توصلنا إلى عذاب النفس والشقاق والنفاق والخوف والحذر وسوء الظن والعداء والخصام وتعب النفس وعذاب الروح .

وعلى هذا الأساس نعود لتشرح حسنات وسيئات كل من الرأسمالية والشيوعية والغاية المتوخاة منها وخروجها عن مسلك العدالة مسلك الفضيلة وثم تباعد كل عقيدة ومسلوك عن الآخر ثم التناحر والخصام حتى بلغ السيل الزبى والمستقبل الموحش وخطر الحرب المدمرة ، والوقاية هنا خير من العلاج ، والعلاج مما حصل ليس له سوى درب واحد لا غير يلزم ولوجه ، ولوجه سهل ممتنع فما هي الغاية من هذه الإنحرافات والمخاضات والجميع إنما يطلبون العدل والرفاه الاجتماعي وضمنان سعادة البشر

وحسب . . وبأبى كل فريق الخضوع والرضوخ للقول الفصل والاتجاه إلى ما فيه نجاته ونجاة غيره وسعادته وسعادة غيره . .
العود للتقارب كوقاية وكمقدمة للوحدة :

مرّ وذكرنا مزايا ومساوىء وحسنات وسيئات كل من العقيدة الرأسمالية والعقيدة الشيوعية وكيف أفرطت الرأسمالية في الحريات حتى أصبحت بعد حسناتها في بؤرة السيئات ، وكيف خنقت الشيوعية الحريات حتى زجت نفسها في المساوىء وضياح الحقوق الفردية والجماعية وكلاهما يقصدان الحفاظ على حقوق البشرية بيدّ كلتاها زلّتا عن الحقيقة عن نقطة مفترق الطرق إلى قطبين متخالفين وظلاً يسيران متخالفين ومتباعدين على مرور الزمان وتزداد خصومتهم ووسائل الدمار حتى بلغا ما هما عليه الآن بينما يهدفان البلوغ إلى إسعاد الفرد والمجتمع ، بيدّ ولأسف رغم إحساسهما بالزلة لم يعودا لتصحيح الأخطاء والتقارب وجمع الشمل تحت لواء واحد وأصول طبيعية واحدة تلك التي هي أسس الإلفة والوفاء وبالاتجاه للوحدة : وكيف ذلك؟

نبدأ أولاً بذكر نقط الخلاف وتشخيص العلل .

نعم بالعودة إلى حد الاعتدال في الجبهتين الغربية والشرقية لتأمين حقوق الفرد والجماعة المسلوقة ، للأصول الطبيعية الفطرية .

فالإنسان حيوان متمايز عن بقية الحيوانات بعقله النامي وغرائزه وعواطفه الغير الثابتة والخارجة عن حدود الاعتدال كما مرّ ، إذ ترى ثبوت تلك في الحيوانات على مستوى واحد دون أن تتدرج إلّا تلك التي دربها الإنسان وبعث بها قوى مكتسبة كتدريبه للكلب وبعض الحيوانات الضارية والطيور وجرها للتعايش السلمي معها ، أو مع بعض الحيوانات الأخرى ومنها التي استعملها في السيرك وحدائق الحيوان ومثلها النباتات ، بيد كل منها تعود لحالاتها الطبيعية الفطرية متى أهملت ولم تتدرج مثل الإنسان إلى الحضارة والمدنية ، وحتى تلك التي لها حياة منظمة ومنسّقة من الحشرات كالأرضة والنملة والنحلة رغم مزاياها المعاشية والاجتماعية والطبيعية منذ

آلاف السنين بل ملايين السنين لم نجدها تتقدم وتبني مجتمعاً أرقى وحضارة ، ومدنية أسمى مما هي عليه على طول القرون والأزمان . ويخالفها الإنسان الذي امتاز بنشاطه الفكري من قوى العقل والقوى الروحية والعواطف والميول والغرائز تلك التي بغتت به لتغيير مناهج وسبل ومسالك هذه الحياة وتطورها آخذة به اتجاهاته العقلية من جهة ، وغرائزه من جهة أخرى ، إلى مختلف الجهات ومتناقضات في الحياة ، فتارة إلى سمو المعنى والحكمة ونزاهة النفس والفضيلة والسعادة ، وأخرى إلى إشباع رغبات بأية وسيلة وهدف دون إصغاء لحكمة العقل وخروجه عن ميزان الاعتدال إلى الهوة السحيقة والرذائل ، ومنها إلى شقائه ذاتاً أو شقاء من يحيط به الأقرب فالأقرب حتى يعم الأفراد والجماعات بل ويتجاوزها للأجيال القادمة ، ويسير طيشه وهواه للاعراض عن المنطق السليم لذاته وغيره ، وهذا ما نراه متفشياً في المجموعة البشرية وقد خلق من الحياة الطبيعية الحرة السعيدة التي كان بإمكانه أن يدرك بما لديه من قوى معنوية آفاق السعادة والهناء ، وإذا به في النكبة والشقاء ومختلف الويلات والنكبات ، لهذا اليوم الذي وصل به علمه لاكتشاف الأسلحة المدمرة وإلى وضع عقائد نظرية أو رقابة للخصام والعداء ، تلك التي يابأها المنطق السليم تلك كانت في مسالك الرأسمالية وانحرافاتهما عن مجال العدالة الاجتماعية باسم الحريات والحقوق البشرية .

أما الشيوعية : التي قامت نظرياتها على دعم حقوق الأكثرية العاملة المغصوبة ، والحد من استهتار الأقليات من ذوي رؤوس الأموال واستهتارهم وغصبهم لحقوق العامة من العمال والزراع وقطع دابر القسوة والظلم والاجحاف التي يصيب الفرد والجماعات ويسلبهم نتاج أعمالهم ، ويقصد إعادة الحريات والحقوق المسلوبة ويقصد نشر الرفاه والسعادة الفردية والجماعية وإطلاق سراح هؤلاء الأكثر من قيود وأكبال الأقلية المجحفة لحياة أقر لعيونهم وأوسع مجالاً لهوائهم فقد وضعوا لذلك مراحل ، في أولها مضايقات للعامة حتى يكمل إشرافهم وتعم أنظمتهم ويأمنون من أضدادهم بهذه الوعود يصلون العصر الذهبي والضمان الاقتصادي العام وإذا بهذه

العصابات هي الأخرى وضعت أسساً وقيداً وأكبلاً أشد وأقسى على العامة والخاصة وضيقوا على كافة الحريات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فتجاوزوا غضب الرأسمالية واستهتارها ببعض الحقوق إلى هضم للأفراد والجماعات هضمًا لم يكن بالحسبان وقيداً على كافة أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم وسلباً وخناقاً على حركاتهم وسكناتهم وأموالهم وأعمالهم وأفكارهم وخنقاً لأنفسهم وآهاتهم وصراخهم ومرت السنوات وعشرات السنين منذ ١٩١٧ لليوم والحرّج يزداد وما يجب أن يصرف على سعادة الأفراد والمجتمعات يبذل للأسلحة المدمرة وتغلبت عصابات على دست الحكم وسارت مسير عصابات الرأسمالية في الخارج لإلقاء الفتن والشغب والاستحواذ على القبائل والإمارات والممالك بالدعايات الفارغة والشعوب وباسم الحريات المسلوقة ونشرت سمومها وباعت أسلحتها منافسة الرأسمالية في الخارج وزادت الطين بلة والجراحات آلاماً وهي بعد سبعين سنة والأفراد والجماعات البشرية مكبلة بالقيود والاصفاد ومسلوبة الحقوق والحريات مستمرة بطيشها رغم ما تجده في الحيف والظلم في العالم الرأسمالي ورغم كل المنكرات فهذه الرأسمالية هي أحسن حالاً منها وأقر عيناً .

وكلاهما الرأسمالية والشيوعية لما تنبّه إلى الحقيقة التي تترجح بها البشرية من أدوائها التي هي بؤرتها ، وأن ما يرجى من الشيوعية والرأسمالية إنما هو الاتجاه المتباعد بينها عوض التقارب ووقف كل ما يضر بالفرد والجماعة تحت إشراف أفراد قلائل حكماء وأطباء اجتماعيين لازالت تذهب صرخاتهم ونصائحهم هباء من كتاب وعلماء نفس وعدول من ذوي الرأي الصائب والحكماء .

تلك كانت نقط الخلاف وتشخيص العلل وما بعدها سوى أصول الوقاية والعلاج .

أصول الوقاية والعلاج : تلك التي توصلنا للوحدة فالوقاية يقصد بها الحد من التورط ممّا يخشى من الانجراف إلى مسببات الحرب المدمرة ،

وبما هيا لها من الأسلحة المدمرة وتوجيه الخبرات والابتكارات إلى الجهات المصدرة والموقفة لهذا الانجراف والانحراف وتوجيه الخطى من النوايا والأقوال والأفعال المسببة للخلاف والخصام للسلام والوثام وإبدال الجهود الراقية لتهيئة الأجهزة الرامية للتخطيط والتهديم ، إلى الإصلاح والترميم والنفع العميم ، وقطع دابر الفساد والمفسدين . . .

المصالح والأهداف المشتركة : قلنا المصالح والأهداف المشتركة لنقطع دابر الأهداف المشتركة في المفاسد كأهداف الغرب لإقامة المناورات الخادعة ، وسلوك الطرق المشينة وتهيئة المخربات والمدمرات الوقعية بالشرق ومثلها الشرق من الجد للوقعية بالغرب ، ولو بذل كل منها بعض ما يذله لأمثال هذه النوايا والأفعال الرذيلة لإقامة الفضيلة مقامها ، ولو نظر الفريقان أو الفرق المتناحرة في أصول الحياة ووحدته الخلقة والمميزات والصفات لهذا البشر الحامل للمؤهلات والمشاعر والجوارح والأعضاء المتناسبة المتناسقة المتشابهة ، إلى هذا البشر المنحدر من أصل واحد والقائم من المبدأ إلى النهاية إلى غايات واحدة من السلوك والرامي إلى هدف واحد هو الحياة الرغيدة ، وإقامة الأخوة والإلفة والمحبة وكل عوض الجد لتخطيط أخيه واضرام نار العداة والخصام وما يصيبه هو وأبناء جلدته من النكبات لو عدل أفكاره وسار سيرة طبيعية كحجيرات البدن الإنساني للتعاون والتعايش السلمي ، وتسديد الواحد للآخر ، لو بدل الخطة كم كان سعيداً ، والآن للتقرب إلى الوحدة وتشكيل دولة عالمية واحدة ، تعالوا يا أبناء الشرق والغرب ، يا أبناء البشر ، إلى القول الفصل لنزيل بعزم خطط المحتكرين والمغرضين الدنسين في جهات الاقتصاد ، والسياسة والاجتماع ، من أحزاب سياسية وتكتلات اقتصادية واجتماعية من السياسات الكاذبة المنافقة الداعية لحقوق البشر والمتكررة البشرية والظالمة لها ، وإلى الجمعيات والشركات المتعاملة بالمخدرات والأسلحة والمصالح الاقتصادية التي تبذل لأغراض أقلية تقض مضاجع البشرية جمعاء وتزج الأفراد والجموع للخصام والحروب ، وإلى تلك القابضة على وسائل الدعاية والنشر

الكاذبة المناقفة ، تعالوا لتبديل هذه المناهج مبدئياً في الجبهتين ، ولا نحرض هذه على تلك إلا بقصد المصلحة العامة والنفع العام البشري ، وان نحمل روح الإلفة والوفاق والبر والرحمة والحب والمرحمة للقريب والبعيد ، تعالوا لإحلال هذه المعايضة نشرها متساوية صادقة لكافة الأفراد والأمم البشرية ، وبعدها توحيد العقيدة الصالحة بالله الخالق الباري المهيمن الرحمن الرحيم ، وأن تكون العدالة الاجتماعية التي تحملها الحكومة العالمية كحكومة بدننا مقياساً نسير عليه من التعاون والإلفة وإيصال الخير ودفع الشر وحذف وقمع كل ما يضر بالنفس والغير باسم الحقوق البشرية والحريات ، ومتى بلغنا هذه المرحلة فقد قربنا جميع الأضداد من الشرق إلى الغرب وبلغنا بالشيوعية التي تنتظر السيطرة والخلاص من خصومها لوضع الضمان الاجتماعي القائل : « لكل فرد ما يحتاج » وإطلاق حريات الأفراد المادية والمعنوية من حرية العمل والمسكن والتجارة والصناعة والزراعة والتعليم والكتابة والنشر وتوحيد العقيدة والرأي والسلوك واللغة والنقل والانتقال وتعميم الترفيه والتعليم الصحيحين المعتدلين اللذين يُراد بهما تدريب الأطفال والشباب والرجال والنساء على سلوك معتدل خال من الإفراط المؤذي للطيش والاستهتار أو الكسل والخمول تربية ، وعلماً يعرف الأفراد أن هناك واجبات ورعاية منطقية بينهم وبين مربيهم من آباء وأمهات ومعلمين ومربين اجتماعيين من حكماء وكتاب وأن هناك واجبات متقابلة بينهم وبين كافة الطبقات من الاجتماع القريب والبعيد وأن هناك واجبات أخلاقية يلزم رعايتها في شتى الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأن هناك نوااميس طبيعية وقوانين إدارية وشرعية تجاه النفس والغير يلزم مراعاتها ، وأن البشر كل يلزمه خدمة ومعاونة الآخر خدمة وظيفية كخدمة حجيرات البدن الإنساني الواحد للآخرى من دانيه وعاليه فرضاً اجتماعياً دائباً خدمة تعود نتائجها المفيدة لا للحجيرة وحسب بل لكافة حجيرات وأجهزة البدن الواحد وأن ما يصيبه من علة وألم يصيبها حتى تعود وتستعيد سلامتها . .

وهيهات أن يسود القرار والاستقرار البدن وطرف من أطرافه يحس

بالعوز ويشعر بالألم أو الكد أو الجوع والمضايقة من عامل داخلي أو خارجي حتى أعادته لحالة الحر السوي وترى البدن كله متكافلاً من أقصاه لأقصاه في السراء والضراء والأفراح والأتراح والراحة والتعب والصحة والمرض تكافلاً وظيفياً وطبيعياً وفطرياً بما يصدر من الايعازات المستمرة من الجزء أو الأجزاء للكل وعكسها من الكل للجزء من الحجيرة والأعضاء لمراكز الحس في المخ وتعميم هذه للتأهب والمساعدة ورفع الضرر والتأهب للدفاع والترميم ولا يعود قرار البدن حتى عودة الحالة الطبيعية المتعادلة للمركز المتأثر أو الداعي للعون ، وكل ما يجري إنما هو وظيفة طبيعية خالية من المنة ، هكذا تجب الحياة الاجتماعية بين البشر وأن يحس كل فرد بما يحسه الفرد الآخر مهما تباعدت الشقة ، وأن يكون هذا الإحساس والتأهب للعون وسد الخلّة وظيفة طبيعية مهما اختلفت الوظيفة أو نوع العمل ومركز الفرد طبق العمل والوظيفة في الجسم الإنساني ، والواقع أن الحياة البشرية يجب أن تقام على أساس التعاون والصميمية دون أن يكون في المجتمع الإنساني الذي نراه اليوم من اغتنام المغانم والأرباح لحساب زمرة أقلية لا على حساب الأكثرية سواء في داخل الدول أو الشعوب أو خارجها ، وغصب دول أو شركات أو عصابات بشئ الوسائل المجحفة ، وسائل الحياة المادية من تجارة وصناعة وزراعة وغيرها ووسائل الحياة المعنوية من سياسية واجتماعية واحتكار وسائل الدعاية والحكم والسيطرة ، أقلية بزعمها على حساب هوية القول والعمل بها وقهر الأكثرية استخفافاً أو إرهاباً أو خديعة أو إرغاماً على حياة القسوة ، الحياة المجحفة الغير العادلة وغير المتكافئة وتجبر بذلك التعاسة والكرهية والحياة البعيدة عن المساواة الطبيعية المفروضة ، وهذه الأقليات المتجاوزة بسلوكها الاقتصادي والاجتماعي المجحف ، أما وإنها فقدت حس العاطفة البشرية وحملت منطقاً منحرفاً أو لا تشعر بالحقيقة وفي كلا الحالتين فهي غير كاملة الهناء والسعادة . . .

كلا وألف كلا ، إن الهناء والسعادة الواقعية هي القائمة على القناعة في أداء الواجب والحسن بالإرشاد وإدخال السرور على النفس من طريق

الأخلاق السامية والبر والإحسان للآخرين ، وما يتلقاه منهم من حب وتكريم والحق أن سيد القوم إنما هو خادهمم والسَّادُّ لعوزهم المادي والمعنوي والسَّاعي في الخير والفضيلة على حد ما جاء في القرآن المجيد : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، والبلاغة الربانية في الآية : ﴿ ومن يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها ﴾ .

لقد بنى أفلاطون جمهوريته على أساس خلقي عظيم حينما بحث عن الحكومة وعن الزعيم الذي يتقلد الحكم في حكومته ، فانتخب أعظم الفلاسفة علماً وعملاً وتجربة وحكمة كما قسم الحكومات وبين خيرها وشرها ، وقد أجاد في الكثير منها ، بيد ظل مغلوباً أمام أمر واحد لم يدرك له علاجاً ومخرجاً وهو تغلب وانقلاب عسكري يقوم به انتهازي عسكري ، ويطيح بدولة الحكماء والفلاسفة وإعادة الحكم بيد غير أهله ، وهذا اقض مضجعه .

هذا الأمر حتى حسب إقناع الشعب في دولته من طرق نفسية وروحية ولم تتواتر الفرص لوضع ما يمنع مثل هذا الانقلاب القائم على الغرائز البشرية ، تلك التي اعتقد إمكان الامتناع من قيام مثل ذلك الانقلاب من طرق روحية ونفسية وعقيدة تلهم النفوس للكف عن مثل ذلك ، وربما لم يتوصل إلى ما جاء به الأنبياء ودعوا إليه من إثبات العقيدة الدينية بالله الواحد الصمد الخالق المصور المبدع القائم والمحاسب على الحسنات والسيئات تلك التي بشر وأندر بها الأنبياء ، لاطاعة الله وأولي الأمر والأتقياء للفضيلة ، والامتناع عن الرذيلة ، والإيمان بمراقبة الله للسلوك البشري وبلوغ المؤمنين المتقين لأوامر الله ونواهيه فيما يجلب لهم خير الدنيا والآخرة .

هذا وإن سلكوا الحق والصراط المستقيم وكان العدل والعفو ديدنهم والبر والإحسان معدنهم ، ذلك الإيمان المالك لقلوبهم والمبني على العقل الصائب والمنطق السليم ونواميس الفطرة والباعث لسعادة الفرد والجماعة ، حيثما يدعوهم إلى موارد الصلاح والسداد ويردعهم عن الضلال والفساد ،

ذلك الإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة التي تبعث بهم بقوة الإرادة لانتخاب الأحسن وتحمل الجهود وبذل المجهود وتحطيم القيود ، وبذلك الإيمان تستأصل بؤرة الفساد وبه تعمم وتشاد مناهج السداد والدواء .

أقول : وللوحدة البشرية ، وترسيخ أصول الحكومة العالمية تلزم الموافقة على كل دولة شرقية وغربية لوضع حدٍ للمحتكرين والمفسدين الذين اتخذوا اسم الحرية درعاً في الدول الرأسمالية لبلوغ مآربهم الدنية ومقاصدهم وجشعهم .

أعيب الدين من الخبيثين وربما حق للأكثرية ذلك إذا ما تطرقنا للمذاهب والأديان المختلفة وما قامت به من الخرافات والأغراض الخاصة أو المباني المزرية وهذه الأديان التي فرقت البشر وعقائدهم وحطت من عزائمهم وفرقت بين أذواقهم ، بيد يجب أن لا ننسى العقل السليم والمنطق الحكيم ولا نطلق العيوب ونجحف بالحقوق ونخل بالموازن إلا على أساس متين يحكم به العقلاء والحكماء على حد قول الحكيم :

حدّث العاقل بما لا يليق ، فإن صدّق فلا عقل له ، وحدّثه بما يليق ، فإن كذّب فلا عقل له .

إذ هناك بين العقائد والآراء المارة الذكر موارد سخيفة وأخرى حكيمة وهي لا تختلف عن آراء الحكماء وعلماء النفس والفكر والكتاب ، وعلى حد القول المأثور: الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل . وهناك العقائد والأديان التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون والحكماء والعقلاء من العلماء والمتبحرون والأذكىاء المفكرون بأنها جمعت أصول العدالة الاجتماعية وأسس النوايس الطبيعية ولاءمت البشرية في سلوكه وسيرته لحفظ موازينه ومقاييسه في كافة شؤون المعنوية والمادية الصائبة وإدراك الحياة السعيدة والحياة الاجتماعية الرغيدة لما حوته من أصول تهذيبية واقتصادية وسياسية وما تحتاجه من إسداء العون والإيثار والإلفة والمحبة والتعايش السلمي ، والبر والإحسان ، والعفو والتواضع والشعور والإحساس المشترك بسد الخلة

والعوز والحاجة للغير القائمة على المثل العليا والأخلاق الفاضلة ، تلك التي هي من حجيرات الحياة الإنسانية والقائمة عليها دولة البدن الإنساني بين حجيراته وأجهزته الباطنية المارة الذكر ، وهذا الدين القائم على تلك الأصول والإيمان فيه مناهج الخير المطلق والحياة السعيدة . .

والحق إننا بحاجة إلى انقلاب كبير لتغيير هذا السلوك البشري الخارج على الأصول الفطرية وأسس الاعتدال تلك التي اعتاد عليها خلال كل هذه الدهور والقرون المتوالية . . .

المقالة الرابعة عشرة

الإنقلاب الأكمل

البشر بحاجة إلى انقلاب عظيم لبناء حياته على العدالة والكرامة والمساواة والخلق السامي، والسلوك المبني على العلم والمنطق، واختيار الأحسن دوماً وكل ما يسوقنا إلى الوحدة والاتحاد والإلفة والتعاون، والحب والبر والإحسان، والسلوك الأفضل والأرقى ويردعنا عن مهاري الشر والكراهية، والتشتت والغرور والأنانية والتجاوز والخصام، والظلم والاعتداء وما فيه إضرار للنفس والغير، نحن بحاجة إلى :

(١) إلى دين وعقيدة فيه الصفات المارة، دين يحرضنا على الجد وبذل الجهد لبلوغ الكمال وجمال النفس ويردعنا عن كل قبيح، دين وعقيدة تجتمع فيهما الحسنات ويخلوان من السيئات لبناء مجتمع نقي من الشوائب والأمراض المادية والمعنوية مجتمع يسير في حركاته وخطاه للنفع العام دؤوب في جدّه وإرادته، غير متقاعس أو متكاسل في نهجه، الثقة وحسن الظن تزيده همة ونخوة إلى النجاح والسلام والسلامة وتسوقه دوماً بإرادة تنبع من يقين وإيمان قد ملك النفس للنزعة الصادقة إلى الحق والتسامح والصفاء، والبر والإحسان وكسب الثقة من الآخرين مما يسديه كل فرد لغيره من خدمة نوعية أخلاقية إنسانية نابعة من روح تكن الإخلاص والوداد لبني نوعه بشهامة ونبل وتصميم وعزم، وأن تكون تلك في حسّه وشعوره وظيفه تملك نفسه وتلهم روحه : انقلاب على نظريات الشرق المجحفة الهاضمة لحقوق الفرد والجماعات وحررياتهم المادية والمعنوية، انقلاب

على قمع النظريات الشيوعية التي ثبت أنها كبلت الأبدان والأفكار ، وانتزعت الحقوق والحريات وقيدت الأحرار والمفكرين وسلكت سبعين سنة ونيف سبيلاً بالطيش والضغط بقصد ردع بعض الاجحاف من أقليات على الأكثرية العاملة بتراضي وتعاقد عدوا فيه خروجاً على العدالة الاقتصادية رغم حرية العامل والمستهلك وباسم الرفاه واليسر ، أججوها حرباً شعواء وآثاماً نكراء على نفس الأكثرية التي أرادوا نصرتها فغصبوا كل الحقوق المادية والمعنوية منها بقصد إعادة بعض الحق المهضوم والاجحاف المقصود هذه الشيوعية ولما تنتصر وقد ثبت أنها البلية المستنكرة والإرهاق الأكبر التي عبّت شعوبها في سجون نكراء ووزنانات جرداء ومحقت ما لها من مال وحيلة ورجاء إلى خيبة يائسة ونجاة من ورطتها بائسة ، محرومة من كل ما منحها الله لعباده من النعم أن تملك أو تقول أو تفعل حتى التظلم والاستجداء أو الهرب في أجواء الأرض والسماء .

أما الرأسمالية فهي الأخرى باسم الحريات انهاك الأقلية للأكثرية ، ونشر الاجحاف والفساد بالخداع والإرهاب .

حقاً ان الشيوعية لو فتحت يوماً أبوابها لشعوبها وسمح لها القول والعمل والتنقل والتملك ترى ماذا ترى وماذا تسمع ، ومثلها الرأسمالية وهل ترى غير نشر الفساد والفتن والجور والمحن .

ولو قام اليوم الموعود عند أهل الأديان السماوية يوم القيامة ، يوم الحساب، اليوم الذي يجازي على الخير والشر أمام الرب، الواقف على الصدق والحقيقة فماذا يقول الشيوعيون عن الشيوعية الذين ضيقوا الخناق على خلق الله ، أو جيء بالجهة الغربية وزعماء الدول الرأسمالية من سياسيين وزعماء وشركات المخدرات ، وشركات الترسست المستوردة الذهب الأسود ، وشركات الترسست المصدرة الأسلحة المدمرة ، والعصابات المدمرة والباعثة على الفتن والحروب والعصابات المؤسسة للرجال الدكتاتوريين للزعامات المصطنعة القائمة على القتل والإرهاب والفتك بشعوبها لصالح المستعمرين . ترى إن جيء بأرباب الدعاية من النشر والقول وأولئك الذين

صيروا الحق باطلاً والباطل حقاً وكل مدلس ومنافق وظالم وحائق ، وجيء بالأبرياء المقتولين والمعذبين والمسلوبة أموالهم وحقوقهم وحررياتهم المادية والمعنوية ، وجيء بزعماء استبدوا فأجحفوا وتمادوا بالطغيان إشباعاً لأهوائهم وأذنانهم وأعوانهم ومحاموهم ، وجيء برجال الفكر والحكمة والرأي الذين ذهبت صرخاتهم هباء بل خنقوا أصواتهم وعذبوهم وشردوهم شر تعذيب وتشريد ، وربما عجز الظلم عن وصف ما جناه البشر على البشر عامداً مع سبق الإصرار وتمادي في الشر والرديلة .

ترى لو قامت محاكم العدل والقصاص الإلهي الواقف على السراء والضراء كيف تكون الولولة والهمهمة من طغاة نادمين أذلاء شهدت عليهم أعضاؤهم . وأزكياء أجراء حسنت سيرتهم ، ترى هل خلق العالم عبثاً؟ وجاءت هذه العقول والخلقة المتناسقة صدفةً وتزول كجارية ، ويتساوى الصالح والطالح نهاية المطاف ، والظالم والمظلوم دون حساب ولا كتاب ، ولا ينكر أن هناك رأيين : رأي ملحد ينكر الله الخالق ، ورأي يقول بالخلقة الكونية بما تحويه من حيوان ونبات وجماد ، إنما هي من خلقة رب أبدي أزلي يحمل كل صفات الكمال خلق وأبدع وكون وقادر مهيم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها ، ويجازي على الحسنة والسيئة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن صفات كماله العدل ومن عدالته القصاص في الدنيا والآخرة ، وهو الذي أنشأ النشأة الأولى سينشئ النشأة الآخرة ويحيي الموتى ويجمعهم ليوم القيامة ويحاسبهم ويقاصصهم .

تلك نبذة مختصرة ، ونحن نسأل العقلاء بما يحكمون به وأي النظريات أحق أن تتبع منطقاً لسبيين .

السبب الأول : أي النظريتين أقرب وأجل للذوق العقلي وأقرب للفهم وأقرب للقلب .

السبب الثاني : أي النظريتين أنفع حالاً ومآلاً لنا نحن البشر ،

ونحن إذ نعمل ما نعمل في دولة ذات حكومة منتظمة ذات قوانين وأنظمة كيف نراعي قوانينها وأنظمتها في سلوكنا ونبتعد عن جميع المجالات التي فيها مؤاخذه ومسؤولية خلاف أو جنحة أو جناية كما نراعي المسؤوليات الاجتماعية في ماله مراقبة وتماس اجتماعي بين الناس ونحذر أن لا تؤاخذ عليها ، ومتى أحس الكثير بعدم المراقبة والعيون ربما لم يقيد نفسه بالقانونين الدولي أو الاجتماعي وعمل ما يشعر بأنه أنفع له في الحال أو المآل وقد يكون ذلك مضرًا له في الحال أو المآل أو مضرًا بغيره أو الاجتماع وربما أدى به للقيام بتلك المخالفة لشعوره لمصلحة أو لذة آنية أو في المآل وانه أضر بالجامعة أو أفراد آخرين ، ومتى كان يشعر بالمراقبة والجزاء المسلم فهيهات اتيانه تلك الخطيئة إلا إذا أجبر عليها أو فقد قسماً من مشاعره أو إرادته أو اشتبه وأخطأ .

وعلى هذا الأساس ان العقيدة وان الدين الذي يؤمن به من يؤمن بالله وهيمته ، وقدرته وعدله وقصاصه ، وانه يعلم السر وأخفى ، وأنه أقرب للإنسان من حبل الوريد ، هذا الإيمان وهذا الدين الذي يأمر بالعدل والرحمة والبر والإحسان ، والإيثار والعفو والأخلاق الفاضلة ، وعدم الاعتداء على النفس والغير ويأمرنا بالفضيلة ويجازي عليها بالحسنة عشرة أمثالها وينهى عن السيئة ويقاصص عليها ولا يمكن أبداً أن تخفى عليه نية أو قول أو عمل . فأني رقيب وحارس هذا للفرد من وقوعه في الخطيئة ، نعم إن الإيمان الواقعي في هذا الدين من أهم الواجبات الاجتماعية ، والخلق السامي وخير حافز لمنع المساوئ والامتناع عن الخطايا ، إن هذا الدين وهذه العقيدة يجب أن يعتنقها البشر ويكونوا تحت لواء عقيدة واحدة تؤلف بينهم في السراء والضراء ، وتجلب لهم السلام والسلامة ، وتكون خير عون لجمع البشرية تحت لواء واحد ، ومن حسن الحظ أن هذا الدين هودين آيينا آدم ، ورسلنا الداعين إليه من نوح وإبراهيم وكل الأنبياء المرسلين من سلالة سيدنا إبراهيم عليه وعليهم السلام والصلاة ، وترى في التوراة دعوات من الله على لسان موسى كليم الله ، والأنجيل من سيدنا عيسى روح الله وما أمر به ودعا إليه من أرقى العواطف والأخلاق الكريمة لجمع البشر إلى

السعادة ، وخاتمها القرآن المؤمن بما دعا إليه الأنبياء قبله ، وقوله في القرآن المجيد حين يخاطب به أهل الكتاب :

﴿ قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ .

وكيف دعا للوحدة وتأليف الكلمة بقوله : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ .

وما جاء بخلقة الله وعظمته في الكتب السماوية وما جاءت في الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والقرآن من أحسن البضائع والمسيرة الحسنة والمعاملة الفذة ، وهذا الدين يمتاز حقاً عن العقائد والأديان المنتشرة بين البشر والتي سببت التشتت والتفرقة والمخاصمات والتباين بينها وازاء المستعمرين الماديين في الطنبور نعمة واتخذوا الأديان وسيلة لبث الفرقة والفتن بينها لتضعفهم والتغلب عليهم واستغلالهم لمقاصدهم ومنافعهم الخاصة ، بيد الدين المار ودين إبراهيم الخليل وأحفاده ، وهو دين الفطرة والطبيعة ودين الإلفة والمحبة والرحمة لتعميم السعادة بين البشر حيث لا يفرق بين مختلف البشر إذ ينسبهم لأب وأم فهم إخوة ﴿ وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فالأتقى هو الذي يتقي الله في حلاله وحرامه وأوامره ونواهيه وما أحلى سورة الحجرات في القرآن الكريم في جميع آياته أخص الآيات ١١ و١٢ و١٣ ، وفي الأخيرة حين يقول : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والله عليم خبير ﴾ ، فالناس أخوة وفي الحديث النبوي : يُلزم الفرد أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها .

وقول الإمام علي في عهده لمالك الأشر حين يوصيه بالرعية في قوله : (والناس إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق) .

والحديث النبوي المأثور لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله في

المسلم قوله : المسلم من سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وقوله : الدين المعاملة ، وفي أخرى الدين الأخلاق ، وقوله من لا عقل له لا دين له . وترى في القانون الأساسي للحكومة العالمية المثلى لموسوعتنا وهو « الكتاب الثالث » الأسس الاجتماعية الراقية تلك التي جاء بها الدين لسعادة ورفاه البشر فالدين والعقيدة والإيمان بالله ورسله وكتبه ، وعدالته ويوم القيامة من أبدع وأروع الأسس لبناء الحكومة العالمية المثلى وأسس الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية ، وبالتالي السعادة والسلام والإلفة والمحبة . والعلم والأخلاق الكريمة والعقل السليم من أهم الأسس لاعتناق الدين المؤدي للفضيلة وبناء المجتمع السعيد .

ولا يشك بصير أننا بحاجة إلى انقلاب واقعي يخلصنا من الرأسمالية وافراطها ، بخروجها عن حدود الاعتدال إلى طريق منحرف مقلق ومؤلم وموهن للبشرية ، بإطلاق الحريات وتسلب الأقليات الطاغية لبث مقاصدها المجحفة بالكيد والخداع والإرهاب والإرعاب وجرحها للمفاسد المادية والمعنوية .

ويخلصنا من النظريات الشيوعية تلك التي أصبحت كابوساً جاثماً على الأجسام والأرواح وباسم الخير تمثل الشر كله وباسم الإصلاح وإعادة الحقوق المسلوقة للأكثرية العاملة كانت السالبة الأثمة المهرقة والظالمة الجائرة المجحفة ، قيدت الأفراد والشعوب وعمت الرعب والإرهاب ونشرت بذور الفساد والفتن بدعاوى كاذبة ووعود باطلة^(١) .

إننا بحاجة لإنقلاب يخلصنا من تلك النظريات الفاشلة ، والعود إلى أحضان الطبيعة وما تحمله من حريات وافرة حقيقية ، ونواميس فطرية

(١) أخرجت الإحصائيات كما ذكره المردوري أبو الرسل في أسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة ومعضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام ص ٧٢ ، انه كان من نتيجة العنف الارهابي في مبدأ الشيوعية الروسية قتل ١٩ مليون في روسيا لتثبيت الشيوعية في الأيام الأولى والحكم على مليوني نسمة بعقوبات فادحة مختلفة ونفي من الناس نحو ٤-٥ ملايين وألحق بها إلى اليوم أعظم وأعظم .

إننا بحاجة لانقلاب يضع رقابة الله وحسابه دوماً ودوماً نصب أعيننا تلك الرقابة التي يلتزم بها العلماء المؤمنون والخلص المتقون ورعاية الحق والعدالة المقرونة بالعمو والبر والإحسان لنقلب السيئة حسنة والكراهية وداداً والتشتت والفرقة وحدة ومعاضدة ، والضمير والوجدان حكماً وعندها السلام والوثام والهناء والسعادة وبلوغ الحقيقة .

وأما ما توحدت عقائدنا وإيماننا خالصه نزيهه للاتجاه إلى الخير والابتعاد عن الشر وما يضم ذلك من محاسن واجتمعت الكلمة وتوحدت الأغراض واتبعنا السبيل السوي الخالي من الإهمال أو الخروج العادي من الافراط والاثباط ، تخلصنا من مغريات الغرب وإجحافه ومثبطات الشرق وأعرافه وأهدافه وكان قصدنا وعقيدتنا وتفاهمنا وأنظمتنا ومفاهيمنا وسلوكنا ونظرتنا للحياة واحدة واحدة لا سواها .

فليس بعدها أنانيات فردية أو قبلية أو طائفية أو عنصرية أو لغوية أو لونية ذاك ويجمعنا أب وأم وحس وشعور لنفس الاحتياجات من ضرورة وغير ضرورة في الحال والمال والكل يشملنا حياة وممات ومآل متساوية قد تساوينا بالسمع والبصر والذوق والحر والبرد والميول والغرائز والأهداف، إذا دققنا في الاختلافات الفردية والجماعية في هذه الحياة ما كانت سوى اختلافهم عن هذه العقيدة الموحدة الرامية إلى الانخراط إلى سمو المعنى في اتباع الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة والاطاعة الخالصة لله الواقف على أدق الغوايا والأقوال والأفعال والعدل المقاصص عليها، وأنه ينطبق على البشر في المخلفات والموافقات الآية القرآنية: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ لأن المتقين بهدفهم الأسمى الواحد كلهم يرمون لإطاعة الله في أوامره ونواهيه وإن هذه الأوامر والنواهي القائمة على نوااميس فطرية طبيعية إنما يراد بها رفاه وخير البشر وسعادته فالعلماء الأتقياء متحدون في العقيدة والمبادئ فلا خلاف بينهم وإنما الخلاف في المنحرفين عن تلك الأصول وهي اتباع نظريات خاطئة وقوانين وأنظمة موضوعية وضعها المغرضون

لأغراض خاصة أو اعتبارات خاطئة لا تتفق مع المبادئ والنواميس الإلهية الفطرية المنطقية والأخلاقية الكريمة ، فيتفق العلماء الأتقياء ويبقون متحدين وأخلاء صادقين وينحرف عنهم أولئك الأخلاء المغرضين أو الجهلاء الضالين أو المنافقين الذين يشوهون الحقائق ويضعون الحق مكان الباطل والباطل مكان الحق بعلم أو جهل بُغية تحقيق غاياتهم أو غايات من استحوذ عليهم بعيداً عن الحق والعدالة وبعيداً عن الإيمان بمبدأ الحق وبعيداً عن رقابة الله وطاعته وبعيداً عن مبادئ الضمير والوجدان والعقل السليم .

لعمري إن التعاسة التي يجنيها البشر على نفسه إنما هي ابتعاده عن الإيمان بوجود خالق مهيمن قدير محاسب ومراقب للصغيرة والكبيرة، والعبث بنفسه وغيره ، دون حذر وخوف، هذا الإنسان الذي لم يتعظ بالماضي والحاضر ولم يرعوي بالتجارب ويتبع ميوله وهواه الطائش دون وعي وحساب فيسلك السبل العائرة الوعرة ودونه سبل الخير والرشاد هذا الإنسان المتطبع منذ العصور المتطاولة على ذلك السلوك والمعتاد على ما هو عليه اليوم والذي تلعب به ميوله وهواه وغرائزه الجامحة، هذا الإنسان الذي يقف أمام تلك الغرائز في أهوائه رغم تأنيب الضمير والوجدان مخالفاً توجهات العقل والخروج من دائرة الاعتدال ومناهج الحق والعدالة .

هذا الإنسان بحاجة ماسة لانقلاب من لدن فرد أو جهة توجهه بقدرة خاصة إرهاباً أو ترغيباً وتطبيعاً، إلى النهج السالم النزيه بقيادة حكيمة من ذوي الأخلاق والاجتماع وتوجيههم وقاية وعلاجاً ودّعمهم إلى سبل الإصلاح ومعاهد التربية الصالحة وإبعادهم من المجتمع حذر افساده حتى يتم شفاؤهم أو تركهم في معاهد أو مستشفيات لكف وصد عاديانهم وتحسين سيرتهم تحسيناً يؤمن شرهم وعدوانهم أماناً قاطعاً ، ثم إدماجهم في جماعات بلغوا أوج الكمال لتعديل ما اعوج منهم ، هذا إلى سد حوائجهم إذ الحاجة أم الاختراع سواء للخير أم الشر ، وبعدها مراقبتهم مراقبة دقيقة حفظاً لهم وللمجتمع النامين فيه ، وقاية من الذلة والعثرة والعودة إلى المرض الخلقي

والانقياد مرة أخرى للانحدار إلى هوات الفساد ، هذه المراقبة ضرورية بصورة دائمة طالما للغرائز والأهواء سلطان دائم على بني الإنسان ، عصمة له بالتوجيه والنصيحة والإرشاد الذاتي بالتهذيب النفسي من كل سبل التربية المدرسية والاجتماعية والنوادي والاجتماعات الصالحة ومطالعة الكتب المهذبة ، والمحيط السالم بعيداً عن بؤرات الفساد على اختلافها الجنسي والاقتصادي والسياسي ، والأهواء والميول ، وحذار استحواذ الغرائز على سلامة العقل وحكمة النفس والإرادة المنبعثة من العلم والحكمة والتقوى برقابة حكيمة دقيقة مستمرة .

جمهورية أفلاطون :

تلك التي قدمتها وهي التي أشغلت بال أفلاطون لتنزيه جمهوريته وسلامتها واستمرار دولته القائمة تحت قيادة الفلاسفة في مسيرة سالمة ، وفي مأمن من الطغاة الانتهازيين أو العسكريين المحافظين على الأمن الداخلي والخارجي ، وجعل الشعب في وعي دائم دفاعاً عن انقلاب يعود به إلى الفساد ويهدم ما بناه ، والعود القهقري ، لذا وجب السهر على الإيمان العام والاعتدال في المتعة واللذة وعدم الخروج عن هذا الاعتدال من استباحات اقتصادية وجشع وحرص فيها ، والاستهتار والاستباحات الجنسية والخروج عن الاعتدال في غريزة حب النفس وحب المال وحب السيطرة والظهور من طرق تؤدي بالانتهازيين للانقلاب والإيقاع بالغفل ، والحذر كل الحذر من أمثال هذه الغرائز والطمع والتطميع والشره ، والتجريء على حق من حقوق الآخرين أو حق عام ، تلك يجب أن تراعي بأصول علمية وقائية وبدقة وسهر دائم والحذر كل الحذر من الخدعة والمكيدة التي قد يدبرها ذوي النفوس المنجرفة والمنافقة من تضعيف حكومة العدل والإطاحة بهما وعودها للشروع والاجحاف .

وبعد وضع أفلاطون أسس جمهوريته كان حريصاً كل الحرص على قيام تلك الجمهورية التي بنى أساسها على المباني العلمية الدقيقة وجعل الفلاسفة ركنها الركين لإدارتها وحيث كان واثقاً أن هناك عوامل ربما تطيح

بهذه الجمهورية أو تزلقها عن مقاصدها ، احدها الجانب الاقتصادي والثاني العامل الجنسي وهما العاملان الأساسيان ، لذا بحث في التجارة الخارجية وأثرها على الأوضاع السياسية ومن جهة أخرى أراد إشباع أمراء وحكام جمهوريته من الجهتين الاقتصادية والجنسية لتفرغهم بالتفكير إلى العدالة الاجتماعية وإشباع ميولهم من الناحية الاقتصادية بتسديد إحتياجاتهم المادية من بيت المال . كما وضع بينهم المراكز الجنسية بشكل مشاع لسد هذه الرغبة وبنظره أنه سد باب التفكير والانشغال النفسي في هاتين الغريزتين اللتين قد تخللان بآرائهم وتشغلانها عن ضروريات الإدارة العامة . وكان فكره مضطرباً من غريزة حب الظهور وحب السلطة وخشية الانتهازيين الطامحين المندفعين بحكم تلك الغريزة التي قد تتغلب على عقولهم وحكمتهم ، أخص منهم أمراء الشرطة والدرك والجيش أو أولئك الذين بإمكانهم استغلال العامة الجاهلة وإثارة ميولهم وأهوائهم وآرائهم تطمיעاً أو ترهيباً للانقياد والثورة على أسيادهم وهو يرى أن الأكثرية العامة الجاهلة إذا استطاع الانتهازي الخطيب ، أو القائد المخادع من تحريك ميولهم وغرائزهم وأهوائهم للإغراء لإثارتها ، واستطاع من هياجهم واندفاعهم ، فمن العسير عندها إقناعهم وهم في حالة الهياج للإصغاء إلى المعقول والخضوع لأنه يرى إذا ثار الرعاع تحطمت أمامهم موازين العدالة وذهبت نصائح الحكماء وإرشاداتهم هدرأ ، لذا كان يرى الأجدر له من تدبير نفسي للحد من هذا القيام بقناعة نفسية واقية وبعث عقائد في نفوسهم تكون تحذيراً لمثل هذا القيام ، وحتى لو كان ذلك العامل النفسي خرافياً ، وربما لم يخلد بفكره . نتائج الإيمان بالله ورسله وكتبه وأوامره ونواهيته بالطاعة لله ورسوله وأولي الأمر وأمثال هذه الأوامر والنواهي الواردة في التوراة والإنجيل وأخص القرآن ، ونسي دعوتهم لوحدة الخالق وهيمنته وحسابه ورقابته حول تلك الاطاعة في سلوك الفضيلة ونواهيته في الابتعاد عن الرذيلة والطيش ، وكيف جعل الكتاب والسنة مرشدين قائمين على تهذيب النفس ، وكيف أمر بالصلة الدائمة بين البشر وربهم بالدعاء والصلاة اليومية ليغفر له زلاته ويهديه على سبيل الخير وكسب مرضاته ، وحثه على الاجتماع في المساجد ومعاهد

الدين ، ينتقي الإرشاد وتعاوده نفسه أفكار الحكمة الإلهية وعدم الخروج والجنوح للشغب ومتابعة الهوى .

كل هذه الزلات والانحرافات يمنعها الدين القويم ويأبأها المؤمنون المتقون العالمون حقاً بأصول الدين والحكم الإلهي وقوانينه الفطرية ، تلك التي لو ملكت النفوس والعقول لما انصاعت لنظريات باطلة من النظريات الرأسمالية الجامحة والغاصبة للحقوق الفردية والجماعية باسم الحرية ، والنظريات الغاصبة للحقوق والحريات الفردية والجماعية باسم استعادة الحقوق وهي ألد الغاصبين لها .

هذه الشيوعية التي قامت بأيدي انتهازية وعلى أسس هياج العامة الأكثرية الجاهلة ، كيف أودت بالمؤمنين وأجحفت وظلت مظالمها لا تنفك تترى وتعبث وما تركت حقاً ولا حرية إلا سلبته ، تلك التي كان يخشاها أفلاطون على جمهوريته وتلك التي أنكرت قدرة الله وقوانينه الفطرية في عباده وتناهت في إنكار الله وقدرته وأنكرت على المؤمنين الموقنين بالله سلوكهم الطبيعي المنطقي .

الشيوعية تخالف نظريتها: قامت النظرية الشيوعية من لدن كتاب ، مثل ماركس ذلك الذي كان في بلاد رأسمالية صناعية وطغت فيها أقليات من الشركات الصناعية حيث حلت محل الأيدي العاملة وأجحفت بحقوق الأيدي العاملة واستغلّتهم والمستهلكين في مجال صناعاتها ولم تقدم للعامل نتاج عمله العادل واستحوذت على أكثرية ما حصل من نتاج بكدهم وجهدهم ، مما أهاب ببعض الكُتّاب الاقتصاديين الاجتماعيين بوضع نظريات بقصد وضع حد لهذا السلب ، وغصب حقوق العمال والكادحين في مجال الصناعات الضخمة الحالة محل الأيدي الفردية ، وقد استغل هذه النظريات انتهازيون باسم إعادة حق وشرف العامل المحروم المسلوب حقه وحرية ، دعا إلى قيام حكومة شيوعية تحقق رغبات الأفراد والشعوب في المجال الصناعي والزراعي .

وعوض أن تقام في شعوب رأسمالية فقدت ذلك الحق تلك المهضومة
 المسلووية مثل انكلترا وألمانيا وفرنسا وأمريكا قامت بها عصابات يرئسها
 انتهازيون طغاة يشعرون بالحرمان تحت نفوذ سلاطين مستبدين مثل قيصر
 روسيا ، وفي عهد اختلت فيه الموازين وانتشرت دعوات المصلحين لإنهاء
 الاستبداد فهبت هذه العصابات وعلى رأسها أمثال لينين المطارد والمتمرد
 على الدولة وفي خلال الحرب العالمية الأولى التي دكت بكثير من العروش
 وامتدت الفتن للإطاحة بالامبراطورية الروسية المنافسة في المجال
 الاستعماري للدول الاستعمارية مثل انكلترا وفرنسا وألمانيا ، الدول الصناعية
 المنافسة لانكلترا في مجالاتها السياسية ، وفي هذه الحرب العالمية وجد
 لينين وعصبته الظروف السائغة للإطاحة بالامبراطورية الروسية وإقامة دولة
 تطالب بالحقوق المهضومة من قبل البلاط ، تلك حقوق الشعب وتخليصه
 من هذه الزمرة الحاكمة الغاصبة الجائرة ، وإقامة دولة تعطي للأكثرية العاملة
 العامة ما أضاعوه من حق مادي ومعنوي ، وإذا بهذه العصبية تزج بالأمة
 جمعاء في سجن جديد ، مغلق تحبس به أنفاسها وأبدانها وتضيّق عليها خناق
 العمل ، إلّا ما ترتثيه هي وتعطيه من نتاج عمله ما يدر منه بالكاد وتمنعه من
 اختيار نوع العمل وكميته أو الاعتراض أو الامتناع أو النقل والانتقال ،
 والكتابة والنشر ، وتمنعه من حرية التملك ، زمرة تضع يدها على كافة
 الموارد الطبيعية والصناعية والتجارية والحرف والمكاسب ، وتمتلك كل
 شيء وكل قدرة باسم الدولة . وإذا أراد الشعب الاعتراض فلم يجد سوى
 الفتك الذريع كما مر وأعيد قهراً إلى الهزيمة بعد قتل ١٩ مليون نسمة وزج
 أكثر من مليونين في السجون مع تعذيب و٤ - ٥ ملايين منفيين حتى جاءت
 الحرب العالمية الثانية وكاد الشعب أن يتخلص حتى عاد استالين ذلك
 الطاغية وأقام المذابح والتنكيل بالمخالفين وأغلق الباب الحديدي على
 الشعب المقهور وهو محروم من أية حرية وحتى الخروج من النطاق
 الحديدي إلى بلاد الله ، وهكذا كانت الأكثرية الجاهلية بنظر أفلاطون هي
 علة العلل لإقامة مثل هذه الحكومات الدكتاتورية بيد الانتهازيين الملحدين .

واليوم أشد العصور وعياً وعذاباً للواعين أخص في بلاد شرقية لا تسمح بأية نوع من الحريات أخص منها حق إبداء الرأي والنشر وحتى الاستغاثة وحتى الهروب والفرار ، في هذا اليوم الذي تقاربت فيه وسائل السمع والبصر والنشر والدعاية والراديو والتلفزيون ، وسرعة الحركة في الأرض والماء والسماء وتطورت وسائل الدفاع والهجوم هذا اليوم قامت جهات ثلاث على وجه الأرض الجبهة الغربية الجامعة للدول الرأسمالية الشرقية الجامعة للدول الشيوعية ، وجبهة ثالثة هي المحايدة عن الشرقية والغربية ، والجميع يحسون بعد أن تمادت الجبهتان الأوليان في الحرب الباردة وتسابقوا في تهيئة أشد الأسلحة الذرية وغير الذرية المبيدة المفضية لا للمتخاصمين ان انبثقت شرارتها من أي صوب ، فهي لا تبقي ولا تذر حياً من الجبهتين ، بل القضاء المبرم على كل جسم حي من إنسان وحيوان ونبات ، هذا الخطر المحدق اليوم هو أهم الدواعي للتقارب ورفع الخصومة والوفاق وقطع دابر الحروب ، دابر العداء والنزاع وإقامة كل واقع وأسس السلام والوئام والتقارب ، بل لا يمكن ذلك حتى الانتهاء جميعاً إلى دولة عالمية واحدة ذات مصالح مشتركة متعاونة عادلة ذات حقوق فردية وجماعية متساوية تشملها جميعاً قوانين ثابتة طبيعية وفطرية منطقية وأخلاقية تقام على أسس العدالة الاجتماعية تحت إدارة سلطة من خيرة الخبراء في أي مجال من مجالات الحياة ذات هدف وسلوك متحد .

المقالة الخامسة عشرة

كيف يكون الانقلاب لتوحيد السلطة في العالم ؟

إنه الحل الوحيد لوقف الصراع وإقامة السلام في العالم ، بعد أن ثبت لكافة الأطراف أن الخصام نتيجه كما نرى ، بذل الجهود دوماً لكشف أسلحة مدمرة لا ينجو من خطرهما أي فرد من البشر فيكون منتصراً ، والخير كله الذي يحس به الأطراف وهو وقف هذا الصراع ، وما يبذل فيه من نفقات باهظة تكفي لإصلاح وإسعاد العالم والبشرية ، بل توجيه كل تلك الجهود للتعيمير عوض التدمير والتخريب ، والتقارب عوض التبعاد ، والمحبة والألفة عوض العداء والتشتت ، وإقامة أصول العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد والجماعات ، عوض هضم حقوقهم وإرغامهم على المسالك المشينة ، إن هذا الحس عام وشامل لكافة الجبهات وأخص منهم الخبراء والعلماء والأمراء ، فما هو الداعي للاستمرار في الغي والخصام ، وهل هو جهلٌ ورعونة ، وسوء ظن كل جبهة بالأخرى ، أم هناك أمور أخرى يلزم حلها وكيف السبيل القاطع لحل هذه المعضلة قبل فوات الأوان .

(١) هل هناك إمكان حل اختياري يصممه الأطراف ، بأيدي مصلحة يحترمها الجانبان ويثقان بحكيمتها؟ .

(٢) أم لا حل إلا بالقوة وقيام جبهة ثالثة تتغلب علمياً واجتماعياً وسياسياً ، قوة متنفذة قهراً ، قوة خارقة مثل تلك التي تنبأ بها المرسلون السابقون المار ذكرهم ، وبشارتهم بقيام دولة الحق بقيادة مصلح يملأ

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد مرّ ذكرهم في مقالاتنا السابقة . .

أعود لشرح وتفصيل كل منها :

(١) قيام الحكومة العالمية الواحدة بحل يتفق عليه الأطراف بعد الجنوح إلى الأمر الواقع الذي لا مناص منه ولا مفر إلا اللجوء إليه وهنا يقوم بعدة عوامل :

أ) قيام دول محترمة كبرى يتمون إلى عالم محايد لها مقامها ووزنها المحتوم من الجبهتين الشرقية والغربية ، ومعروفة بالمنطق السليم والحكم الديمقراطي السليم مثل الدولة الصينية وإن كانت شيوعية بيد هي الوحيدة من الدول الشيوعية التي خدمت شعبها الممزق وجمعت تحت لواء واحد وخدمته خدمات اقتصادية وسياسية واجتماعية كبيرة ، وألفت بين أطرافه وكونت منه دولة محترمة ذات كيان : هذه الدولة امتازت بعدم تجاوزاتها الاستعمارية ، وبعدم بث الفتن والفساد والظلم والتعدي والتجاوز على غيرها لذا هي دولة محترمة غير متجاوزة ، خادمة خدمة صحيحة لشعبها الكبير وحافظة لحقوقه ولم تقم بما تستنفر منه الشعوب الأخرى من الدول الغربية الرأسمالية أو الشرقية الشيوعية . ويلي الصين الهند وهي الأخرى رغم تشتت شعبها وتفرقه إلى مذاهب وأديان ، ورغم ما أدت هذه العقائد المتشاكسة إلى تضعيف الكلمة وتضعيف السياسة والاقتصاد بيد تسودها حكومة أقرب للديمقراطية والسلوك العادل ، هذا السلوك الذي جعلها محل الاحترام بنظر العالم مضافاً إلى ما تضمه من العدد الهائل من النفوس والأرض وما تحويه من خبراء وعلماء والمزايا الأخرى مثل الصين لها وزنها واحترامها في العالم أجمع . وهناك دول أثبتت وزنها المنطقي والسياسي أمام العالم كله بالسلوك السياسي السوي وما لها ذات وزن سياسي وضبط في شعوبها مثل الدولة السويسرية الصغيرة والدولة السويدية وأمثالها . ونكتفي بذكر هذه وإن كانت هناك دول صغيرة ومتوسطة أخرى أعرض عن ذكرها لبعض نقاط الضعف التي قد ينسب لها وتذبذبها قهراً سياسياً واقتصادياً لإحدى الجبهتين رغم سلوكها

الديمقراطي في الداخل والخارج أمثال استراليا وكندا والبرازيل والأرجنتين واضرابها . .

وحيث الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل فربما تقدمت دول من الكتلة الرأسمالية لها مقامها العلمي والسياسي والاقتصادي الممتاز مثل انكلترا وهي الأم المكونة لدول الكمنولث وزعيمتها السياسية المحنكة والتي هي في أشد نقاط الخطر وكما قال ابنها البار راسل وتنبأ بتدميرها ومحوها من الوجود إذا قامت الحرب الثالثة . وفرنسا أو ألمانيا وأحزابها أو دول شرقية هي الأخرى ممتازة بتقدمها العلمي والصناعي والاجتماعي مثل جكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ورومانيا ، ويجد الكل للوساطة ولمحض الخدمة البشرية وطالما الأخرى معرضة لخطر المدمرات إن قامت حرب وجدت بالوساطة للوفاق وإقناع القطبين العملاقين أمريكا وروسيا على وضع أساسي يجمع ويوفق بينهما ويقر بهما لتشكيل دولة فدرالية موحدة ، وإن كان لهما عقائد مختلفة فيمكن تقريب هذه العقائد على الشكل الآتي . فالشيوعية مثلاً إنما تحارب خصمها خشية أن ينتصر هذا الخصم عليها ولكنها في الحرب المقبلة لا يوجد منتصر والخصمان يعودان مدمرين، مدحورين، ذليلين وهذا أقل ما يمكن أن ينتج عنها إن لم نقل إن كلاهما يمحيان من الوجود وإن بقي لهما أثر فالعود القهقري للجهل وحياة أرقى ، مما كان الإنسان في الدور الحجري المسلوب العاري الفاقد لوسائل الدفاع أمام عوارض الطبيعة ، والشيوعية قسمت حياتها إلى أدوار ، فهي اليوم تقدم للفرد على قدر إنتاجه وهي في الحقيقة لا تعطيه إلا القليل من الإنتاج وتستغل الأكثر للإنتاج الحربي في دفاع وهجوم والنفقات الباهظة في هذا السبيل فإذا اطمأنت من الخصم وسطوته سوف يكون الاتفاق كله لسادة شعوبها، وسيكون الضمان الاجتماعي مضموناً عوض إعطاء كل فرد على قدر ناتجه إلى الضمان الاجتماعي والدور النهائي الصالح الذي تحكم به الشيوعية ولما تقرره وهو إعطاء كل فرد ما يحتاجه وتوزيع الناتج الفائض للرفاه العام والإصلاح العلمي والمراحل الصناعية والزراعية والصحية والتربوية وغيرها . وتعود

الحريات المسلوقة للافراد والمجتمعات وتعود العدالة الاجتماعية ظاهرة متجلية .

أما الدول الرأسمالية فهي الأخرى التي تزداد نفقاتها الدفاعية والهجومية سنة بعد سنة ، والقائمة على رقابتها الشيوعية في نطاق الأسلحة الدفاعية والهجومية وما تبذله في هذا السبيل في المجالات الحربية ، وقيام شركات الترسر والأحزاب والعصابات المتآمرة للحصول على أعظم الأرباح من أي طرف اقتصادي وسياسي مهما حصل فيه حيف وهضم للحقوق الداخلية والخارجية ، ومن دونهم الانتهازيون والاستغلاليون . هذه الدول الرأسمالية الغنية فهي أخرى بها العود إلى بذل نفقات الهجوم والدفاع وما يبذل على التجنيد في جميع المراحل والمقاصد من تعريض هذه النفقات للرفاه العام ، وما يبذله كل خصم للوقية بخصمه من التدميرات الخلقية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، كلها ستبطل ويكون السير كله لهدف واحد وهو النفع الفردي والاجتماعي العام دون محابة واجحاف ، بل على أصل تعاوني وخدمة تعاونية ، وبالنتيجة بلوغ السلام والسلامة والسعادة العامة والحب والخدمة والإلفة والوحدة ونشر الأخوة والصفاء .

أعود للقول إذا قامت الحرب بين الجبهتين الغربية والشرقية ، وحسب تنبؤ الخبراء العسكريين ، وقد مرّ ذكر ذلك وهو الخير العسكري الأمريكي المار ذكره حين سئل قبل أكثر من عشرين سنة من هذا التاريخ ، والسؤال كان من رجال الكنكرس الأمريكي بهذه الصيغة : ما رأيك لو كانت هبوب الرياح شرقية وغافلنا روسيا بحرب الصاعقة الذرية ، كم يكون بنظرك القتلى من الجانبين؟ والإجابة كانت ذلك اليوم الذي لم تتطور فيها الأسلحة الذرية ، كما هي اليوم ، ولا بلغت أنواعها وكمياتها الهائلة على ما هي عليه اليوم ، وقد كان جوابه مدهشاً حقاً حيث لخصّ قوله وأجاب مائتي مليون قتيل روسي و١٦٠ مليون قتيل من الولايات المتحدة وأوروبا بكاملها .

ترى أي خطر يهدد أوروبا ، أوروبا هذه أم الحضارة والثقافة والمدنية تمحى عن بكرة أبيها بما فيها من علماء ومثقفين وصناع ومكتشفين ، أوروبا

بكاملها الشاملة لانكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا والنمسا وغيرها من الدول الغربية ومثلها الدول الأوروبية الشرقية ويدرس أثرها ويضيق وإذا كانت الريح شرقية فسوف تحمل البلاء لليابان والفيليين وغيرها . .

أقول : والصين وكل دولة أخرى تحمل الرياح لها الذرات السمية القاتلة . .

فهلا يجدر بأوروبا ودولها العريقة العظمى حرصاً على بقائها ، أن تكون حاملة هذا المشعل الأول للسلام ، والطالبة لإقامة الدولة العالمية المثلى ؟ وتكوّن كلها دولاً فدرالية ذات مصالح متعاونة ومشاركة فيها وبناء نظام جديد غير النظام الفعلي القائم بقوانينه وأسسه ومصالحه . نظام تربوي أخلاقي طبيعي يحفظ لجميع أفراد الأرض حقوقاً متساوية بالانخراط والدخول في موكبها وتعطي كل جهة حقها العادل من احتياجاتها المتكافئة لعملها وخيرتها وجدها ، كخدمة حجيرات وأجهزة البدن الواحد المتعاونة وكل منها تتلقى احتياجاتها في مقر عملها ، وكل منها تخدم الأخرى ويكون رعاية كل جهاز في هذا البدن الإنساني مناسباً لحكم وظيفته ومقامه ، فمثلاً حجيرات الجلد تختلف نوعاً وغذاءً وكفاءة عن حجيرات القلب وهذه عن حجيرات المخ ، وهكذا الأجهزة الأخرى تختلف كل منها أمداً للحياة فحجيرات الجلد قد تموت لأمد قصير بينما تطول أعمار حجيرات القلب والكبد ، وأما حجيرات المخ فهي الدائمة الباقية ومتى ماتت حجيرات الجلد استعوضت بغيرها ، بيد حجيرات المخ دائمة وماتت منها خسره الجسم ، وكل منها تأخذ غذاءها المناسب لها ، وإذا كان نوع الغذاء يختلف ونوع العناية لدرجة أهمية حجيرة العضو بيد كل حجيرة في البدن تأخذ حاجتها الضرورية لها ولا تجد حسداً أو عتاباً وازدراءً من هذه لتلك ، وهكذا يجب أن تكون العدالة والمساواة بين البشر بالنسبة لمقامهم وحاجاتهم ، دون أن تكدر جهة موارد الرزق والمنعة لها دون غيرها ، كما تفعله الأقليات الانتهازية والأمراء الغير العدول ، كلاً أصل المساواة وأصل

العدالة يجب رعايتها وما يدخر فهو للجميع على حد سواء ، وما يحمله الدم للبدن ماراً بالأجهزة والحجيرات ، فيأخذ كل حاجته الضرورية وما بقي زائداً يدخر للجميع ، دون أن يحبى هذا ويحرم ذلك ، فالكل سواء في كل شيء كل حسب حاجته وما يناسبه في مقامه ، هكذا البشر . .

وعلى هذا الأساس تسيير الأمور ، وربما كان الخبراء المستشارون والعلماء والحكماء لهم مقام الرأس ، والمهندسون مقام القلب ، والكيميائيون لهم مقام الكبد ، وهكذا تكون الحاجة والعناية والمساواة قائمة في التوزيع والعناية والحراسة .

وبعد إطلاق الحريات جمعاء من عمل وصناعة وتجارة ودراسة ونشر أفكار ونقل وانتقال وحريات المعاملة والأكل والشرب وغيرها ، سوى ما يعود بالضرر على النفس والنفيس فهي بحاجة لتحديد وشروط على قدر ضررها العام والخاص ومثلها حرية التمتع بالجنس وتحديد التوالد والرعاية الصحية البدنية والعقلية ومكافحة أمراضها ، وفرض حدود لتوزيع العمل والنتائج والاستهلاك في مختلف أجزاء الكرة الأرضية بنسبة الحاجة ، وصلاحية المحل واليد العاملة والمناخ ، ومؤهلات الانتاج والتوزيع بشكل يسد حاجة الفرد والجماعة في المنطقة ، ويراعي مصالحه بصورة يكون العيش رغيداً والرفاه عاماً والتربية والتعليم وأصول الصحة متواجدة وعامة والمساواة على وجه البسيطة عادلة ، والوقاية والعلاج يشمل الجميع أينما كانوا ، وأجهزة السمع والبصر والنقل والانتقال شاملة ، وبعد حسن التوزيع لحاجات الأفراد ادخال الفائض للمصلحة العامة ، وبالتالي العمل الجاد لحراسة المجتمع الإنساني تحت رقابة قائمة دائمة صالحة في جميع ما يهم البشر ويوفر له السلام والسلامة والرفاه وحمايته من كل ما يسيء له ويضر به . . .

ولتكن هناك العقيدة والدين الصالح منهاجاً للسلوك السوي مع إعطاء حرية العقيدة والرأي لكل الطبقات شريطة أن لا تضر بالأخرى أو تسيء لها ، وأن تكون المناظرات تحت نظر ورعاية عالمية حكيمة مقبولة من الأطراف ، دون أن تثير كراهية أو عداًء . . .

ومما لا شك فيه أن الوحدة البشرية القائمة تحت نفوذ حكومة عالمية مثلى ستكون موحدة في لغتها العامة مع إطلاق الحرية لأية لغة أخرى تريد جهة اتقانها وهذا التوحيد يسهل التعليم والتربية والطبع والنشر والاعلام في الصحف وأدوات الدعاية ، وهذا التوحيد في اللغة يسهل التقارب والتفاهم وأن تنتخب أسهل اللغات وأرقها وأشملها ، وأن تكون الميزانية عامة والرخاء يشمل الكل في الحالات الضرورية ، وأن ترفع المحاباة لطرف دون طرف إلا في حالة وقاية خاصة أو ترميم أو علاج ، أو ضرورة ومصلحة تهم الجميع ، حكمها حكم المصالح الخاصة والعامة كسيرة الأجهزة والحجيرات في البدن الإنساني ، ونحن في دولتنا العالمية علينا تجهيز هذه الدولة بأجهزة الدفاع تجاه الأعداء والخصوم الداخليين والخارجيين الذين قد يقفون بالمرصاد لمثل تلك الهجمات كالعوارض الغير المترتبة للبدن الإنساني في الداخل أو المكروبية من الخارج . إن ما ذكرته من وسائل للوقاية والعلاج يلزم أن تكون جاهزة في الدولة العالمية لمكافحة الشرور والآفات الداخلية أو مثيلاتها من الخارج .

وختاماً لبحثنا فإن الدولة الموحدة توكل كل عمل لجهة مختصة بذلك العمل ، وأن تكون لها لجان ومراكز اختصاص دوماً وبصورة دائمة تراقب هذا المجتمع الإنساني حفظاً لسلامته وسلامه ، ومن الحزم أن يقف الخبراء والحكماء في كل الدول أخص العربية وأخص منها التي في الجبهة الأولى للخطر ويشد كل من في الجبهتين أياديهم وقلوبهم للتقارب ولا يتركوا الأمور بيد الطائشين الغير المحنكين ولا تترك الفرص تفوتهم بعد أن وثقوا من الحقائق المصيرية وقبل فوات الفرص السانحة .

والنتيجة في آخر المطاف ، بلوغ الحريات والأهداف المادية والمعنوية ، والسلام والسلامة تحت لواء حكومة عادلة عالمية بصيرة حكيمة تضع كل شيء في موضعه وترمي لرعاية المساواة ورعاية الحقوق العامة والخاصة لكل فرد وخبرته وتناجه وسد عوزه في احتياجاته ، ورفع الخصومة وإحلال الإلفة والمحبة والعفو والبر والإحسان ، واعتبار كل إنسان أخاً

للإنسان وخادماً متقابلاً لغيره معاونة اجتماعية ، كأصل من أصول الحياة السعيدة المتكاتفه ، وبذ الخصال التي تعود على الفرد والمجتمع بالعداء والتباعد أمثال الحرص والجشع والأنانية والإفراط في الغرائز وإخراجها إلى الإفراط ، أو التقاعس عنها مثل الجبن والكسل والبخل والعداء وسوء الظن والحسد .

أليست الشيوعية تقصد في آخر المطاف قيام كل فرد بعمل يحسنه بهمة وجد وإخلاص ، وإدراك ناتجه إدراكاً عادلاً منصفاً ، وضمان كل فرد ضماناً لسد احتياجاته من أكل وشرب ومسكن ومتعة - ومنها الجنسية - ودراسة وصحة وحرياته في القول والعمل والنقل والانتقال وكل أنواع الحريات الأخرى النافعة له وللمجتمع والامتناع عن كل ما يضر به أو بغيره تحت شروط وقيد متناسبة يحفظ به حقه وحق الغير .

أليست الشيوعية متى استقر بها الحال وامنت من الخصومة التامة وساد السلام في العالم تنتقل إلى المرحلة أعلاه وبذل الجهود والنفقات لسعادة الفرد وحرياته وسد احتياجاته ، وتعميم المساواة والعدالة بين جميع الأفراد .

والرأسمالية نفسها هلاً تقصد في آخر المطاف نفس الضمان الاجتماعي ، وإطلاق الحريات المفيدة وسد الاحتياجات الفردية على الشاكلة أعلاه ، وتطبيق المساواة والعدالة بين الأفراد ، ونشر العلم والصناعة والثقافة وتأمين الصحة والسلام وبالتالي إدراك الغرائز ورغباتها بأصول عادلة بعيدة عن القلة والكثرة المشينة كما مرّ في المقالات السابقة والابتعاد عن كل ما يضر النفس والغير .

فالإنسان بمميزاته نفس الإنسان أينما كان وأينما حلّ ، وكل احتياجاته وأمنيته ورغباته وأفكاره وحياته ومماته كل يساوي الآخر ، وعلى كل درك ذلك وإن شاء الحياة الرغيدة أن يطلب لأخيه الإنسان ما يطلبه لنفسه ويأبى له ما يأباه لنفسه ، وإن شاء العدالة والمساواة أن يترك الأنانيات والأخلاق التي يكرهها من غيره ويتمسك بما يرجوه من غيره ويعس الواحد بإحساس الآخر ، هذه الحياة التي يجب أن تسود الحكومة العالمية المثلى .

وليت شعري ليس هناك مانع خلقي ومنطقي يمنع ذلك ولا يسلم بهذا
النهج والسلوك ، فهيا نتصالح كاخوة ونهدم ما بناه الخصمان ، بل نبدل كل
مدمر بمعمر ، وكل سيئة بحسنة ، ونعتبر كل إنسان أخاً لنا نسدي له كل ما
نرجو أن يسديه لنا ونأبى وصمه أو إقحامه بما تأبى وصمه لنا أو إقحامنا به ،
وهذا حقاً ما يأمرنا به الله على لسان رسله الأذكىاء الأوفياء ، وهذا هو دين
السلام والإسلام ، دين الرحمة والرفقة ، دين الحق ، والسلام على من اتبع
الهدى .

المقالة السادسة عشرة

ما لا يدرك كله لا يترك كله

تسود الكرة الأرضية دول رأسمالية غربية وشيوعية شرقية متنافسة متطاحنة قلقة في حرب باردة ، وهناك دول وشعوب العالم الثالث التي تسودها النكبات والرزايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لعلل داخلية وخارجية ، فكيف العمل لعلاج هذه الأمراض البشرية ونجاتها؟

أية طرق ومسالك يلزم اتباعها لانقاذ ما ينوء به الأفراد والشعوب وسوقها طوعاً أو كرهاً لاحضان الفضيلة وانتشالها من الرذائل التي هي علة مشكلة شقائها؟ فما هي أقرب وأسهل وأنجع الطرق لانقاذها وعلاجها؟ وقد مرّ وذكرنا أصل العلل . والعلاج الناجع وقلنا لها شروط مكانية وزمانية وذاتية ، ومتى تمت تمكّن ذلك القصد ، بيد واليوم ولما تتم الشروط ، بل وربما طال الزمن عليها ، وإذن ما هي خير السبل لحياة أقل قلقاً وأقل بلاءً بإمكاننا السعي لإدراكها وتخفيف هذه الويلات والحد من أخطارها ؟ بما أوتينا من طاقة وسعي ، إذ ليس للإنسان إلا ما سعى ، وإن سعيه سوف يرى ، مع العلم أنّ ما لا يدرك كله لا يترك كله .

وقد مرّ وقلنا أول العلاج جمع العالم في دولة واحدة ذات أهداف ومرامي واحدة متعاونة متكاتفة متضامنة تسودها العدالة الاجتماعية والمساواة ، وتسلك حد الاعتدال في جميع شؤونها المادية والمعنوية ، وهذا لا يعني أن نترك الجبل على الغارب حتى تتوفر الشروط مع العلم أن السعي والإرادة والجد والطلب من الصفات الضرورية لبلوغ الأهداف ، وإن العلاج

إنما يحصل تدريجياً ، أخص في الأمراض المتأصلة القديمة والقائمة فعلاً ، وما علينا إلا بالتخفيف وإزالة العقبات وتهيئة الأجواء لحياة أفضل ، والقضاء تدريجياً على علة بعد علة والسير حثيثاً في مسالك أقل وعورة وأقرب إلى الهدف بأيدي أطباء مهرة ، إذ هناك أدواء شتى داخلية مستعملة وخارجية مفتعلة لعلاج كل منها قواعد وأدواء ، فما هي علل الدول الرأسمالية وما هي سبل علاجها؟ وما هي أمراض الدول الشيوعية وكيف إصلاحها؟ وما هي أسقام دول العالم الثالث وكيف شفاؤها؟ .

أليس البحث عن أسباب العلل لكل منها أولاً ووضع أصول العلاج والإصلاح ثانياً ، ويبد خبراء مهرة ومريدين مجدين دائبين سهرة هي من أسس النجاح؟ .

ولنتقرب لوضع أسس الإصلاح ، أليس الأجدر أن تتوحد الدول ذات الطابع المشترك؟ وهذا التوحيد يختلف قريباً وبعداً للهدف الذي ترمي إليه لنشر السلام والوثام ونضرب لهذا التوحيد أمثالاً ونميز بين الحسن والأحسن بل وأحسن الكل ، ومنها :

(١) الأمم المتحدة المتشكلة من كافة دول العالم الكبيرة والصغيرة والقائم على رأسها سكرتير الأمم المتحدة .

(٢) وحدة الشعوب الغربية الرأسمالية من الدول الأوروبية الغربية كإنكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا والدول الأوروبية الأخرى والولايات المتحدة وتكاد تكون الأخيرة هي المتزعمة القوية السائرة من الناحية السياسية ككتلة موحدة تجاه الكتلة الشيوعية .

(٣) دول السوق المشتركة الغربية حول المصالح الاقتصادية .

(٤) اليونسكو الجامعة لوحدة الدول من الناحية الثقافية .

(٥) مجموعة دول الكمنولت وهي رابطة الشعوب البريطانية .

(٦) الولايات المتحدة الأمريكية وهي القائمة على توحيد اثنتين وخمسين ولاية أمريكية توحيداً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً لغايات وأهداف

ومصالح عامة بينها ، رغم استقلال كل ولاية داخلياً ، بيد هي متعاونة مع بعضها كجسم واحد ترمي إلى رفاه وسعادة كل ولاية على حد سواء وتغار عليها داخلياً وخارجياً على حد سواء . ومثلها الولايات المتحدة لروسيا الشيوعية رغم اختلاف أنظمتها وقوانينها بالنسبة للدول الرأسمالية فهي ككتلة ذات مصالح خاصة لها ، وككتلة ذات مصالح عامة سياسية تربطها بدول شيوعية تسير لأهداف سياسية لبعضها تحت زعامة روسيا والمسيطرة على دول شيوعية مثل بولندا وجكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية والمجر ورومانيا وبلغاريا سيطرة سياسية . . .

كما أن هناك عالماً ثالثاً يضم دولاً مختلفة المسالك قد يكون لبعضها كيان مستقل قوي يخشى جانبه مثل الصين وأخرى شيوعية مستقلة قائمة بذاتها مثل يوغوسلافيا والبايكا وكوبا وكوريا الشمالية ، وأخرى ديمقراطية لها كياناتها الخاصة بها مثل سويسرا والسويد وفنلندا وأستراليا وأشدّها خلقاً واضطراباً ومسرّحاً لأغراض الغرب والشرق ، تلك الأغراض الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هي دول الشرق الأوسط من عربية وغير عربية أشدها تعاسة وشقاء لما تحويه من المصادر الاقتصادية ومنابع البترول تلك المنابع الغنية التي عوض أن تكون منابع خير لها أصبحت منابع وبالٍ وخلق فتن وحروب دامية بين الجيران والأشقاء وذوي العقائد والأديان الموحدة تلك التي خلقتها الكتل ، وأخص منها الرأسمالية بغية سلب ثرواتها ومثلها دويلات أمريكا الوسطى والجنوبية وأينما وجدت ثروة معدنية ونفطية أمثال أندونيسيا وجنوب أفريقيا الحاوية على معادن الذهب والماس . .

وهناك دول عظمى من حيث خيراتها وساحاتها الواسعة وكثرة نفوسها ، هي مسرحٌ للقلق والاضطرابات لما قام بها من اختلاف العقائد والأديان فكانت مسرحاً لفتن الاستعمار بقصد إضعافها واستغلالها كالهند ، لما فيها من موارد ومصالح تجارية واقتصادية .

٧) وقد وجدنا امبراطوريات في القديم تضم إلى وطنها الأصلي بالقهر والغلبة دولاً وشعوباً إظهاراً لقدرتها مستعبدة إياها استعباد السيد لمولاه بل أشد

رقاً وعبودية، وكما يقال العبد وما يملك لمولاه، وهيئات مهما بلغ الملك المستبد من حسن السيرة والظن والبر والرحمة أن يشمل مستعمراته من المنزل والمساواة ما يشمل به موطنه الأصلي أو يشمل أبناء وطنه بما يفوق على حاشيته وخواصه من العناية والتعم .

وظل الاستعمار القديم جارياً إلى قبيل الحرب العالمية الأولى حيث تغيرت وجهة ذلك الاستعمار شكلياً من وضع ولاية من وطن الدولة المستعمرة على رقاب الدول والمقاطعات المستعمرة لإدارة أمورها كيفما ارتأى ، بغية مصالح لسيده من جباية أموال وفرض رسوم وأنظمة وكل ما هو في صالح الدكتاتور المطاع ، دون قيد أو شرط كما جرى في عهد القياصرة والأكاسرة وقبلهم وبعدهم ، أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد تغيرت وجهة نظر المستعمر وبعد وضع وتشكيل عصبية الأمم ووضع حقوق البشر ورعاية الأصول الإنسانية في الظاهر ومنذ قيام دولة عظمى على وجه الأرض هي الولايات المتحدة الغنية بثروتها واستلامها قيادة أهم الدول المثقفة ، فقد انتقل الاستعمار من ذلك المظهر المزري إلى مظهر مزركش باسم حرية الشعوب ، ونبت الاستعمار إلى استعمار أدهى وأمر ، واتخاذ النفاق والرياء سلماً لنفس الغايات بل بصورة أزرى وأوحش فهي ، أي الدول القوية متى أحست ملمساً سياسياً أو موارد اقتصادية في دولة أخرى ، ويقصد استثمارها خلقت لها شتى الفتن الداخلية والحروب والقتال وأغوت أبناءها أو جاراتها للقيام ضدها ، وهيأت أبعد أبنائها من روح الإنسانية وأغواهم شراسة ونكاية بأبناء جلدته لمحض إرضاء شهواته وغرائزه في حب الظهور والمال وسلطته على رقاب ذلك الشعب وهيأت له الوسائل المادية والمعنوية لتكبير شعبه وأمتة وتقدير موارد بلاده لقمة سائغة لذلك المستعمر الغاشم لتتعم به زمرة أقلية باسم أو أسماء ، وقد بدأتها انكلترا في الهند وحواليها باسم شركة الهند الشرقية حتى استعمرت بقدرتها السياسية أمماً تكبرها عشرات الأضعاف أرضاً وأفراداً وثروة ، وظلّت سيدة مطاعة هي ومن شاكلها في مثل ذلك الاستعمار مثل فرنسا وهولندا وإسبانيا والبرتغال وغيرها .

أما اليوم فقد تبدلت أصول الاستعمار من استعمار مباشر إلى غير

مباشر ونزلت دول أعظم شوكة وقدره ، وتقاسمت العالم وثوراته شركات هي منبع الظلم والأجحاف على شعوبها بما تزيف لها من الحقائق الباطلة وتمحق لها من الأباطيل في الداخل والخارج وهي المستولية والقاهرة والسالبة والرافعة في الظاهر علم الحرية والعدالة وحقوق البشر ونشر الإصلاح .

٨ - وهناك حكومات وأنظمة دعا إليها الحكماء والفلاسفة مثل جمهورية أفلاطون المتمثلة بإسناد الحكم في البلاد إلى زمرة الفلاسفة والحكماء وقيام أنظمة وأحكام يسندوها رجال الفكر أقرب للعدالة ومنها المدينة الفاضلة التي قال بها أحد أساطين الحكمة وهو الفارابي ولما تحقق أساليبها ، وخيرها ما جاء به أولو العزم من الرسل من عهد نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ودعوتهم للإيمان بالله والدعوة للتعاون البشري والبر والإحسان لولا ما تغلب على أصول تلك الأديان الملوك وما جاءت به عصابات من الآراء وقيام مذاهب وطوائف حرفتها عن الأصول المتينة حتى قيام الإسلام في عهد محمد خاتم أولي العزم الثابت بالقرآن والداعي إلى جميع الأديان السماوية بقوله :

﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ . وقوله في القرآن في الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والله عليم خبير﴾ وذلك الذي قال أيضاً في القرآن من سورة البقرة الآية (٢٥٦) : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . . .﴾ الخ . والذي جعل العقل أصلاً من أصول الدين حينما قال محمد في حديثه : من لا عقل له لا دين له .

وما أجمل عهد علي أمير المؤمنين لواليه على مصر أخص منه :
« والناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » .

وكلمة محمد (ص) في خطبه حجة الوداع في وصاياه لا فرق بين

عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، والتقوى هي اتباع الفضائل والاجتناب عن الرذائل ، هي مجموعة البر والإحسان وهي فوق العدالة المقرونة بعد العدالة بالعرف والتقوى أسمى العواطف الإنسانية المميزة بالرحمة والإيثار ورفع كفة الإنسانية ومنبع الجهاد الأكبر « جهاد النفس » ، تلك التي دعا إلى اتباعها سيدنا عيسى عليه السلام وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعلها أساس الخير والفضيلة ومنبعها . وقامت دولته خير قيام في عهده وحسب .

كل ما مرّ طرف من أنواع الوحدة ولا تخفى على القارئ الكريم أيها أقرب للحق والحقيقة ، وهناك حكومات فطرية طبيعية مرّ ذكرها في كتابي الأول أمثال حكومة النحل والنمل والأرضة وما تمتاز به كل منها من النواميس ، وكيف يجب أن تكون لنا درساً وعبرة ، وأرى أعظم كل تلك الأنظمة أنظمة ونواميس البدن الإنساني الذي يشكل بحد ذاته حكومة عالمية موحدة ، وحداثها الحجيرات المختلفة لأجهزة البدن وأصول تعاونها وتكافلها وسيرتها المنظمة وتضامنها مع بعضها وإحساسها وعدالتها الاجتماعية وتعاطفها في الإحساس والشعور والأفراح والأفراح وتساويها مادياً ومعنوياً ، وصدقها مع تلك حكومة الفطرة الإسلامية والتي أكملها بمكارم الأخلاق حينما قال (ص) : إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق .

وقد مرّ وتكلمت عن خير الحكومات العالمية وشروط قيامها الزمنية والمكانية والذاتية بقيادة زعامة تجمع كافة الصفات الفطرية الطبيعية المنطقية والعدالة الاجتماعية تقوم على أسس مكارم الأخلاق ، وقد تقاربت شروطها المكانية والزمانية ، وبانتظار الشرط الذاتي العالم المجرب الملهم الزكي القاضي على رذائل الشرق والغرب والمطبق أحكام ونواميس الفضيلة والفضلاء ، والقامع للرذيلة والأشقياء ، والناشر للسلام والسعادة والهادم للقوض والغواية والغاوين والطغاة الأرجاس .

والآن وبعد هذا الموجز أيقن لنا ونرى ما نراه في الشرق والغرب وما فيه من طغاة متقلدين زمام الأمور ، يعبثون بما تسول لهم غرائزهم ونهماتهم

الشيطنانية من السلب والنهب وإقامة الفتن والمجازر والويلات والنكبات في شتى نواحي هذه المعمورة ، وما نراه من سَوق البشرية إلى الدمار والإتقراض وما يقاسيه هذا البشر المنكود على أيدي هؤلاء الطغاة الباغين ؟ .

أليس الجدير بنا إقامة وحدات وضم صفوف ونشر مبادئ تقلل من غلواء هذه المفاسد ، وتصلح وترمم بعض الخراب كوقاية من بعض العوارض والويلات وعلاجاً لعلل يمكن تقليل شدتها على كاهل هذا البشر التعيس ، وقد شرحنا أعلاه العلل والعلاج القاطع والمهدىء والمخفف؟ ..

أليس الركون إلى التأليف والعمل على خلاف فرّق تسد ، وهو وحّد صفوفك تقو وتتغلب ؟ فكيف تكون هذه الوحدة وليس من طاقتنا توحيد العالم للدولة العالمية المثلى ، فهلا بإمكاننا القيام بخدمات أقرب للسلامة وعلى حد القول المأثور : ما لا يدرك كل لا يترك كله .

وترى بأعيننا اليوم ، توجد دول عظمى يومئ إليها بالبنان، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي زعيمة الدول الرأسمالية الغربية ، وقد كسبت عظميتها بضم ٥٢ ولاية وكونت منها دولة عظمى موحدة ، وتليها في القوة روسيا زعيمة الدول الشيوعية ، وتليها الصين ، وأما دول العالم الثالث فهي عرضة لتلاعب وأهواء الدول الرأسمالية النهمّة والشيوعية .

فما هو الأصلح إذا كان بإمكاننا الإنخراط كدولة أو دويلات إلى إحدى هذه الدول العظمى انضماماً كجزء من كل وعندها يكون لنا ما لكل من دويلاتها من حقوق ومزايا؟ وعندها نتخلص من نهب الطغاة وسلبهم وغواياتهم وفتنهم ونكتسب شوكة وعظمة ، وحقوقاً جديدة؟ وعندها نتساءل : هل فكرت الدول العظمى بهذا الانضمام وهل ترضى به؟ .

كيف السبيل لإقناع الدول الكبرى أن تقبل منا لهذه الدعوة؟ وكيف السبيل لإعداد الدول الأخرى لقبول هذا التآلف؟ .

هل بالإمكان طرح هذا الأمر تخفيفاً للولايات القائمة على دويلات أمريكا الوسطى والجنوبية وكندا للإنخراط إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتكوين دولة أعظم وذات ولايات ربما بلغت المائة ، وذات هيبة وسيادة أكبر ، وانهاء الولايات والقلاقل القائمة من حروب ومخاصمات ونكبات قائمة طوراً في نيكاراغوا وأخرى في شيلي أو الأرجنتين وغيرها على أن تتمتع كل ولاية بقسط عادل مماثل لكل ولاية قديمة لهذه الدولة ، ولها نفس الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامتيازات ؛ وتتجاوز حدود هذه الدولة المتحدة إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا ، وتنخرط دويلاتها إلى الدولة العظمى للولايات المتحدة وتبدل اسمها من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الولايات المتحدة العالمية . وهذه الدولة العالمية تحد من نفوذ الشركات العظمى الاقتصادية والسياسية وتعيد النظر في السلوك الاجتماعي فتحد من الحريات العامة والخاصة ، الضارة بالفرد والجماعة من مادية ومعنوية للحال والمال ، تلك الحريات التي تعود بأضرارها على الفرد والمجتمع من جنسية كالتهاون من الاتصال الجنسي بين الشباب في المدارس والمعاهد ووضع أنظمة وحدود مرفهة ومقيدة من الاستهتار وشد أواصر العائلة والتربية والتعليم المدرسي والعائلي ، والحد من الحريات في المأكولات والمشروبات والتدخين المؤدية للاعتياد والاضرار لمحض متعة آنية ، وحد حرية التجارات الضارة والإعلانات المؤدية للضرر في جميع الأحوال الأدبية والاقتصادية ، وتعميم بيوت الأدب والإرشاد والنفع العام والخاص على لسان الراديو والتلفزيون والصحف وياقي الدعايات ، ومنع كل ما يخل بالموازين الاجتماعية ويدعو للدعارة والفساد والاضرار في الحال والمال ، وتعميم الإرشاد العائلي والمدرسي وفي النوادي والمجالس وتطوير المنتزهات والملاهي من الاستهتار وتفشي الفساد الأخلاقي إلى العكس وإقامة الملاهي والملاعب الرامية لسمو المعنى ، لقوة الجسم والفكر والرياضة والتجوال ونشر المعارف والعلوم المجدية وتنمية الأقسام الصالحة وحد المضرة كما هو في أمور الذرة والكيمياء والفيزياء والطب وغيرها . ولكي لا نبتعد عن أصل المطلوب - نعود لنسأل :

كيف السبيل لإقناع الدويلات الكبرى لضم الصغرى والصغرى للانضمام؟ طالما نجد الأصلح والأقوى والأجدر بذلك؟..

أي الدول تكون جديرة أن تكون النواة الأولى لجمع شمل الأخرى وضمها إليها بحنان وتجله والاستعانة الواحدة بالأخرى كأم تحنو على أولادها، أهل هناك شروط لكل منها؟ وهناك من الدول ذات عقائد وأديان ومسالك تختلف عن الأخرى وعلى ذلك يلزم وضع حد لأية واحدة منها في المجتمع لحد لا يضر بالآخرين وأن يبلغ بذلك النفع العام لباقى الدويلات والخاص للمنحازة، وغير المنحازة.

ربما وجد البعض أن الأجدر للالتفاف حول دولة تقام بها الأصول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وحريصة على حريات الفرد والمجتمع حرصاً لحد غير ضار به في الحال والمآل وغير ضار بمن يحيط به من قريب وبعيد سواء في الماديات من أكل وشرب وتدخين أو تزريق أو سهر أو أتعاب تورثه صدمات تقعه عن سلوكه أو واجباته الضرورية والأدبية، أو المعنويات حيث تثير فيه أفكاراً ونعرات وآراء وسلوكاً قد تؤدي إلى التقاعس عن واجباته الفردية والاجتماعية، أو تخلق فيه روحاً مضطربة وأفكاراً سيئة تحرفه عن التربية الصحيحة والآداب الاجتماعية العامة والخاصة، أو تؤدي به إلى إساءة الظن أو الإحساس بالغرور والكبرياء الشائن، وكل ما يسبب فتوراً للرابطة النفسية والاجتماعية والوهن والضعف النفسي، القائمة على قوة الإرادة والكلمة والحلم والإيثار والتقوى ومكارم الأخلاق، وبالتالي لدولة أقرب لسيرة حجيرات البدن من التعاون والشعور الذاتي بالأفراح والأحزان لما يجري إلى أفراد مجتمعه من حسن وسيء، ويقوم بواجباته الموكلة إليه ذاتاً وطوعاً لا قهراً، بعيدة عن الحرص والجشع والعسف والتجاوز على الغير فرداً أو جماعة بل غايتها النفع العام وهي عضو كأحدها لا كما تسير به الفئات والاجتماعات والأحزاب والشركات من بذل الجهود للمنافع الخاصة وإن ضرر بالآخرين، دولة تحرص على أفرادها على حد سواء وتسير صادقة وصريحة ونزيهة في جمع الأخبار ونشرها بقصد الصالح العام وربما أشرنا

فهرست الكتاب المصلح المنتظر

المقالة	الموضوع	الصفحة
١ -	الصراع المادي وضرورة دمجها بالمعنوي	٧ - ٢٥
٢ -	الانتظار المرير للمصلح	٢٧ - ٣٨
٣ -	هل من مصلح عادل؟	٣٩ - ٤٩
٤ -	ما هي أعظم بشارة للعالم البشري؟	٥١ - ٦٠
٥ -	ما هو واجبنا؟	٦١ - ٦٧
٦ -	مميزات المصلح المنتظر	٦٩ - ٧٧
٧ -	المصلح المنتظر بنظر أهل الأديان والآراء	٧٩ - ٩٧
٨ -	البشرية على الصراط	٩٩ - ١٢٤
٩ -	ما يلزم إصلاحه	١٢٥ - ١٤٢
١٠ -	من سيكسب الحرب؟	١٤٣ - ١٤٧
١١ -	ما ومن هو الأصلح للحكم؟	١٤٩ - ١٦١
١٢ -	جواب إذاعة محطة أمريكا العربية في واشنطن بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٥	١٦٣ - ١٧٤
١٣ -	الحكومة العالمية - هي السبيل الأمثل	
	لسلام البشرية وسعادتها	١٧٥ - ١٨٥
١٤ -	الانقلاب الأكمل	١٨٧ - ٢٠٠
١٥ -	كيف يكون الانقلاب لتوحيد السلطة في العالم؟	٢٠١ - ٢٠٩
١٦ -	ما لا يدرك كله لا يترك كله	٢١١ - ٢٢١

